مُولُود قاسم نايت بلقاسم

شَخصيّة الجزائر الدَّولية

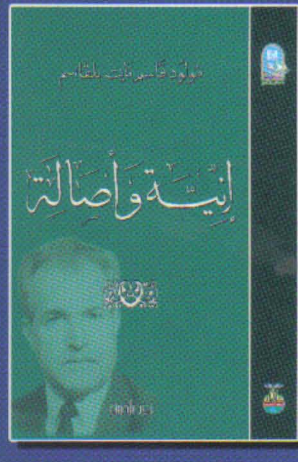
وهيبتها العالمية

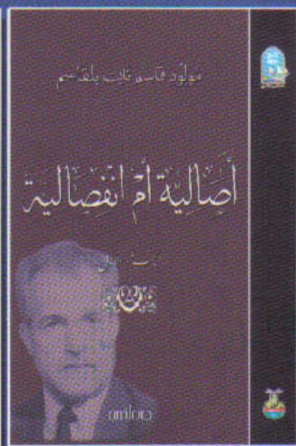
قبل سنة 1830

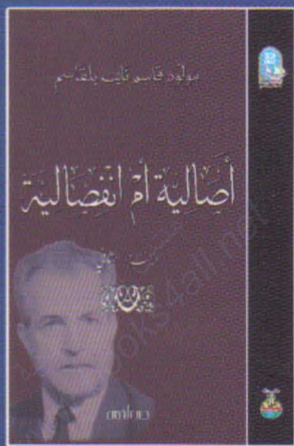


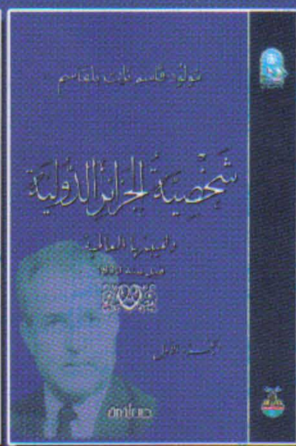
الجُزء الأوّل

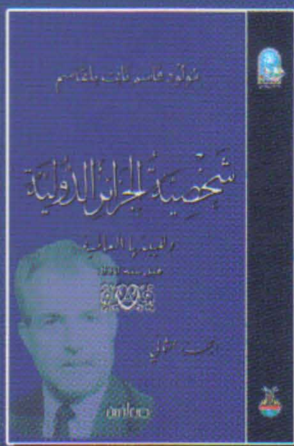
دار الأمة


مولود قاسم نايت بلقاسم
إنية وأصالة


مولود قاسم نايت بلقاسم
أصالية أم انفصالية


مولود قاسم نايت بلقاسم
أصالية أم انفصالية


مولود قاسم نايت بلقاسم
شخصية الجزائر الدولية


مولود قاسم نايت بلقاسم
شخصية الجزائر الدولية

شخصية الجزائر الدولية

وهيبتها العالمية

قبل سنة 1830

مُولُود قَاسم نايت بلقَاسم

شَخْصِيَّةُ الجزائِرِ الدّوليَّة

وهيبتها العالمية

قبل سنة 1830

الجُزْء الأوّل

شركة دار الأمة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب 109 برج الكيفان 16120 الجزائر

E-Mail: oummabooks@yahoo.fr

الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة، 1985

الطبعة الثانية، دار الأمة، الجزائر، 2007

إيداع قانوني: 2007 / 3540

ردمك: 7 229 67 9961 978

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كل ما قيل كما قيلا

فقد باشر الناس الأباطيلا !

مؤمن بن سعيد الأندلسي

« ... وهذا هو نفس ما وقع بالجزائر من تشويه تاريخها ، وتصويرها في جميع عصورها ـ خصوصا في العصر العثماني ـ بأقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية ، وتدرس ـ يا للبلية ! يا للحسرة ! ـ لأبنائها !

« غير أن الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بل : من أبنائها ـ المثقفين بالإفرنسي طبعا ـ من ينكر تاريخها جملة ، ويزعم أن لا شخصية لها .

« لكن لا يمكن للحقيقة أن تبقى مستورة بالأباطيل ، فهي ، كالشمس ، لابد أن تظهر ولو توالت أيام الدجن والغيوم .

« فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدني بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال ، وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال وبعيد الاحتلال ، ناقلا له من كتب ووثائق فرنسية لا غبار عليها .

« هذا إلى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها ، وقضائها ، ولغتها ، وتعليمها ، وبيان غير ذلك من أحوالها لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما في الكتاب .

« ولكني أقول ، بكلمة واحدة : إنه يتحتم على كل مسلم جزائرى أن يقرأ هذا الكتاب · وإنك إذا ختمته ـ ايها المسلـــم الجزائرى ـ لابد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب ··· وتبغض من يجب أن تبغض ··· والحب والبغض سلاحان لازمان فى الحياة ، ولا بقـاء لأمة بدونهما ، إذا استعملتهما فى محلهما » (1) ·

عبد الحميد بن باديس

(1) الشهاب : ج 7 ، م 13 ، ص : 319 ـ 321 ، شعبان 1356 هـ ، (سبتمبر 1937 م)· نقلناها عن الدكتور عمار الطالبى : ابن باديس : حياته وآثاره ، ج 4 ، ص : 34 ـ 35 ·

مقدمة

كنت نويت أن أعنون مقدمة هذه الدراسة هكذا :

« فصل المقال وحد النصال ، فيما بيننا وتاريخنا من الاتصال أو الانفصال » (1) .

إن القصد من هذه الدراسة هو إحكام الصلة بين حلقات سلسلة تاريخ أمتنا الجزائرية العريقة ؛ وإبراز ما كان لها من شخصية دولية متميزة ، ووجود دولي بارز ، وهيبة عالمية أطبقت الآفاق .

وما كنا في حاجة إلى الاستدلال على الشمس في رابعة النهار، لولا محاولات فصم عرى تاريخنا ؛ ولولا اقتطاع فصول رائعة من سيرة أمتنا ؛ ولولا ميل إلى تمزيق صفحات ذهبية من سجل بلادنا ، صفحات تشمل قرونا ثلاثة من تاريخنا الطويل ؛ ولولا « أنهم » ـ أي من تعلمون ! ـ أنكروا لنا فعلا ـ بل ولا يزالون ينكرون حتى اليوم ! ـ ذلك الوجود المتميز البارز، بل وحتى مجرد الوجود كأمة بين الأمم، بل وحتى كمجرد شعب بين الشعوب ، كما سيجد القارئ لذلك في هذه الدراسة أمثلة ،

(1) استيحاء من عنوان لكتاب معروف للفيلسوف الطبيب ابن رشد : « فصل المقال ، فيما بين الفلسفة والشريعة من الاتصال » .

وآخرها في سبتمبر 1982 م ، أي بعد احتفالنا بالذكرى العشرين لاستعادة حريتنا ، واسترجاع استقلالنا ، واسترداد سيادتنا !

تالله إنه لعناد عجيب ، لا يعادلهم فيه إلا حيوان غير نجيب !

وقد ذهبوا في إنكارهم هذا في الماضي – غير مترددين أمام تزييف التاريخ ! – إلى حد الادعاء أن المغرب (الكبير) – ومنه الجزائر ، وهي القلب ، والمقصودة بالذات ! – لم يستطع تكوين دولة يضمن لها الدوام ... فيقول غوتيي مثلا :

« فمن المؤكد أن مثل هذا الهيكل الجغرافي يتحكم في التاريخ. فإليه (– الهيكل الجغرافي أو التضاريس ! –) ينسب دوما هذا العجز لدى المغرب عن تكوين دولة دائمة » (2) .

ثم يضيف مباشرة :

« فمن الصحيح أن المغرب (الكبير) لم يتوصل **أبدا** الى تحقيق وحدة سياسية » (3) .

كما لو كانت التضاريس عائقا أمام بلد ما في الأرض عن تكوين دولة ! وهذا العجز المزعوم ، بسبب الهيكل أو الشكل الجغرافي ، التضاريس ، مما تفرضه الجغرافيا ، وتجعله محتوما – وهي التي لا تتغير – أقرب إلى أن يسمى بـ «العجز الفطري»، « inaptitude congénitale » ، وهو ما لم يتردد بعضهم في تسميته ، فعلا ، بهذا الاسم ، ووصفه بذلك الوصف !

وقد ساير جوليان مواطنه – وقرينه في هذه الرؤية – ، غوتيي ، في هذا التحليل ، « فوضحه » أكثر ، بالإشارة إلى

---

(2) E.-F. Gautier : Le passé de l'Afrique du Nord (Les siècles obscurs) : « Il est certain qu'une pareille structure géographique ne peut pas manquer d'avoir commandé l'histoire. On lui a souvent attribué cette incapacité du Maghreb à se constituer en Etat durable », p. 9 - 10.

(3) Idem : ibid, p. 10 :
« Il est vrai que le Maghreb *n'est jamais* arrivé à l'unité politique ».

ما « للتبعية الاقتصادية » ـ بسبب هذه « الحتمية الجغرافية » ـ حسب غوتيي ـ ، أو « الاقتصادية » ـ حسب جوليان ـ « من دخل في هذا العجز عن تحقيق وحدته بوسائله الخاصة » ، ويؤكد ، في نفس السياق ، أن أية دولة مغربية غير قابلة للحياة (4) .

ونعود إلى غوتيي الذي يردف ، في نفس الفقرة ، فيحكم ، بكل جزم وحزم ، وبدون أي تردد ، ولا رجعة ، ولا احتمال للتعديل ، فيقول :

« إن الدولة المغربية (لبلدان المغرب) هي مثل الفقاع : ينبت في ليلة ، ويتعفن في صبيحة » (5) .

بل وأكثر من هذا وأفظع : فنجد العم جوليان ... نبي التاريخ ، أو إمام المؤرخين ، في نظر كثير منا في هذا المغرب ... (6) يذهب إلى أبعد من هذا ... ويكاد يصف سكان هذا المغرب بأنهم « لقطاء » ، فيقول في الفقرة الأولى ، من الصفحة الأولى ، من الفصل الأول ، من « الكتاب » في التاريخ، في نظر من ذكرنا ، تحت عنوان : « الحالة المدنية للبلاد وسكانها » ، عن نشأة بلدان المغرب ، ودوله ، ومجتمعاته ، ما يلي :

« إن افريقيا الشمالية الفرنسية ، التي تشمل المغرب ، والجزائر ، وتونس ، ليست لها حالة مدنية دقيقة » (7) !

---

(4) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 14.
(5) Idem : ibid :
« L'Etat maghrébin est un Etat champignon qui pousse en une nuit, et moisit en une matinée », p. 10.
(6) انظر دراستنا : « بعض مآثر أول نوفمبر » ، مطبعة البعث ـ قرتا .
(7) Ch.-A. Julien : ibid, chap. 1er, p. 1, 1er paragraphe :
« L'Afrique française du Nord, qui comprend le Maroc, l'Algérie et la Tunisie, ne possède pas d'Etat civil précis ».

هذا فيما يخص المغـــرب عموما . أما فيما يعني الجزائـــر بالذات ، فنجد أغلب مؤرخيهم ، وسائر رجال دولتهم ـ بالنسبة لهؤلاء الأخيرين حتى ما قبل تصريح الرئيس ميتران في مطار الجزائر العاصمة بمناسبة زيارته الرسميـــة ـ ، وكثيرا مـــن صحافييهم حتى اليوم ، ينكرون علينا الوجود كأمة ، والماضي كدولة ، بل وحتى كشعب، حتى كمجرد شعب ، على مر التاريخ !

ويركزون خاصة ، بل وبصفة أخص ، على عهد من أزهـــر عهودنا ، وأمجد عصورنا ، ألا وهو عهد الدايات ، أو العهـــد العثماني ، الذي يشوهونه ، ويصفونه بأنه عهد « سيطـــرة تركية » ، و « حكم أجنبي » ، جاءوا ، هم ، متفضلين علينا ، غير مدعوين ولا مشكورين ، لتحريرنا منه ، ووجدوا ـ مـــع الأسف اللاذع ، الذي يجرح في الصميم ! ـ في المشرق العربي ، ولكن حتى لدينا أيضا ، في الجزائر ، من القوم التبع من يثرثر بذلك ، ويخربشه ، حتى اليوم !

ورفعا للبس عن عهد ـ قلنا عنه ، ونكرر ، ونعيد ، إنه ـ من أزهر وأزهى عصورنا ، ومن أمجد فترات تاريخنا العريق ؛ وإزالة للغشاوة عن أذهان وعيون النشء الطالع والأجيال ؛ قمنا بهذه المحاولة ، وشملنا بها ، في استعراض خاطف ـ ولو بمجرد الذكر ـ العهود السابقة من تاريخ أمتنا الأثيلة الأصيلة ، ولكن ركزنا ، بالدرجة الأولى ، على ذلك العهد الـــذي ركز عليـــه الاستدمار الفرنسي كل التركيز ، ولا يزال الكثير من المخربشين الفرنسيين يركزون عليه ، أو ، على الأقل ، يشيرون إليـــه ، ولو مجرد الإشارة ، بمناسبة وبدون مناسبة ، وأغلب الظن أنهم لن يفتأوا حتى يوم الدين .

ابحثوا لدى جوليان ، أو غوتيي ، أو دوغول ، في كتاباتهم العديدة عن المغرب عموما ، أو الجزائر خصوصا ، هل تجدون

ذكرا لمعاهدة واحدة من تلك السبعين (لا السبع ، ولا السبع عشرة ! بل السبعين !) معاهدة التى عقدت بين الجزائر وفرنسا قبل 05 يوليو 1962 !

نقبوا عند أحد هؤلاء الثلاثة ، هل سيقرع آذانكم صدى تلك الإنجادات العسكرية البحرية التى أنقذت بها الجزائر فرنسا...؛ أو تلك الإسعافات المالية ، والاقتصادية ، والاستراتيجية ، بل وحتى بالمواد الغذائية ، التى استخلصت بها الجزائر فرنسا من براثن المجاعة ، والمتربة ، والبؤس ، فى عهد الثورة الفرنسية ثم نابليون بونابارت !

فى ذلك الوقت كان ملوك فرنسا ، من لويس الرابع عشر حتى شارل العاشر ، مرورا بنابليون بونابارت نفسه ، يعنونون رسائلهم إلى دايات الجزائر هكذا :

الى السادة الامجاد العظام ...Illustre et Magnifique Seigneur Dey de la ville et du royaume d'Alger . بل ونجد أن لويس السادس عشر ، وقادة الثورة الفرنسية ، والجمهورية الأولى ، يضيفون إلى تلك الصيغة إضافتين تستحقان الذكر، أى زيادة على الصيغة المذكورة أعلاه ، وهما : « إلى سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » « Ancien Ami et Allié de la nation française » فيقدمونهما على صيغة « السيد الأمجد الأعظم » !

نعم ! وهكذا الدنيا !

فى ذلك الوقت ... سعى الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية ، جورج واشنطن ، لدى قيصرة روسيا ، كاترين الثانية ، ليقنعها بضرورة الانضمام إلى حلف أوروبى أمريكى ضد ... الجزائر ....ثم اضطر إلى أن يقبل بشروط الجزائر فعقد مع الداى حسن معاهدة ...

وسنة 1814 م ، انضمت أمريكا إلى كتلة سداسية كانت هي السابعة فيها ، وهي الدانمارك ، وهولاندا ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ، وأمريكا ... فأعلنت كلها مجتمعة ، كجبهة موحدة من سبع دول كبرى ، ومتوسطة ، وصغيرة ، حربا بحرية على الجزائر ! نعم ، سنة 1814 م ، !

ثم عادت أمريكا فعقدت معاهدتين أخريين مع الجزائر ... سنتي 1815 و 1816 م ...؛ كما عقدت هولاندا إحدى عشرة معاهدة ...؛ وأنكلترا ـ مع الجزائر ـ ثماني عشرة معاهدة ... نعم : ثماني عشرة معاهدة ؛ ونعود إلى فرنسا فنكرر ونقول : سبعين معاهدة ! نكرر ذلك مثل الاسطوانة ، كما صموا آذاننا بأسطورة « الجزئية التي لا تتجزأ » ، وعدم وجود سابق لنا كدولة ، ولا كأمة ، بل ولا حتى كشعب ، ولا يزالون يكررون !

ثم إن لنا عليها ـ على فرنسا ـ ديونا لم تسددها حتى اليوم ... وليس القمح فحسب ... بل دين عيني أيضا ، بالمال ، نقدا ، وبالذهب !

ولئن كنا لا نطالب فرنسا حاليا بتسديدها ، ولا نقلد هذا « المير » ـ رئيس البلدية ـ السويسري (8) و (9) الذي طالب الرئيس الفرنسي ، ميتران ، بتسديد ديون على نابليون لقرية سويسرية ، فلا أقل من اعترافها بها ، اعتراف بالماضي ، مجرد اعتراف ، وبعد ذلك : فالله يسمح ! (إن شاءت الأمة أن تسمح ، فالمال مالها !) . وإلا فسيبقى على فرنسا دينا إلى يوم الدين !

ومما تقولوه ـ وقد رأينا ذلك منذ حين عند غوتيي مثلا وجوليان ـ في نظرياتهم الحتمية المستندة بسند ضعيف إلى

(8) انظر الشكل رقم : أ ، و أ مكرر .
(9) انظر الشكل رقم : ب .

Le président de la République demain en Suisse

Mitterrand à Berne : une visite dominée par l'économie



Fernand Dornaz, maire de Bourg-Saint-Pierre (sud-ouest de la Suisse), présentant la liste des dégâts causés par Napoléon Bonaparte et ses hommes lors du franchissement du col du Grand-Saint-Bernard le 13 mai 1800. Le premier consul avait alors promis d'indemniser la commune. Mais « l'ardoise » qui se chiffre à 45 000 francs suisses n'a jamais été payée. M. Dornaz espère que François Mitterrand saura se montrer « compréhensif ». Le Figaro 13.4.83

الشكل رقم : أ ‌‌ ‌ ‌ « المير » رئيس بلدية سويسرة .

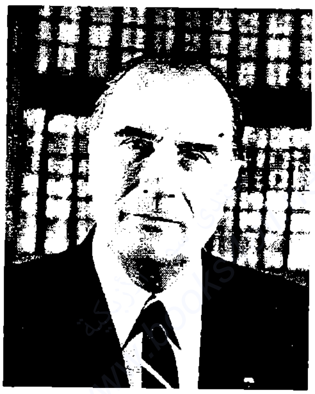
(لعدم وضوح الصورة نعيد كتابة ما جاء فيها ليسهل على القارئ الكريم الاطلاع عليها)

سويسرا : دين لنابوليون في ذمة ميتران !

ضيعة صغيرة شغلت الرئيس الفرنسي وخطفت منه كل الاضواء خلال زيارته لسويسرا في الاسبوع الماضي . فعلى الرغم من انها كانت الزيارة الأولى التى يقوم بها رئيس فرنسي للجار السويسري منذ 73 عاما ، فان العلاقات الثنائية كانت آخر هموم وسائل الإعلام السويسرية ، إذ ركزت هذه في صفحاتها الأولى ونشراتها على حكاية ضيعة صغيرة في جبال جنوب غرب سويسرا لها في رقبة فرنسا دين قديم ، واستغلت الفرصة لمطالبة ميتران الزائر بوفاء هذا الدين .

الضيعة اسمها بور سان بيار ، وقصة ازمتها مع الحكم الفرنسي يعود تاريخها إلى 193 سنة . فـي العام 1800 أخطر قنصل فرنسا الأول نابوليون بونابرت للمرور بهذه الضيعة والبقاء فيها لفترة مع جنوده . ولهذه الغاية سخر نابوليون سكان البلدة في قطع 2037 شجرة صنوبر واستعار من أهاليها 188 جهاز تدفئة وطنجرة استعملها جنوده خلال مرابطتهم الاستراتيجية ، وفقد منها يومها 80 قطعة .

ولكي يظل القنصل الفرنسي على علاقة جيدة مع الضيعة ، ومن أجل الحفاظ على صورة مشرقة لفرنسا في الخارج ، وعد أهاليها بتعويض كل الاضرار التى لحقت بهم . ولذلك جرى تخمين اسعار الطناجر الضائعة ، وقدرت كل شجرة صنوبر بستة فرنكات سويسرية وبدل كل يوم عمل بثلاثة وبعد عملية حسابية بسيطة حرر نابوليون ... (... بالدين) اعترف فيها ان الدولة الفرنسية المدينة لضيعة بور سان بيار بمبلغ ... فرنكا وخمسة سنتيمات تلتزم بتوفيره .



ومرت الايام ، صار نابوليون امبراطورا ، وتوالت الجمهوريات الفرنسية حتى الخامسة ، وتذكرت ضيعة سان بيار الدين . وبعد استشارة رسمية لخبراء في القانون الدولي تبين ان حقها في ذمة الدولة الفرنسية لايموت بمرور الزمن ، ويمكن المطالبة به في اي وقت .

وهكذا كان . ارسلت بلدية الضيعة السويسرية الملف الكامل ونسخة طبق الاصل عن وثيقة الدين النابوليوني إلى قصر الاليزيه ، مرة أيام جورج بومبيدو ، وثانية في عهد فاليري جيسكار ديستان . لكن الرئيسين الفرنسيين الاسبقين أدارا الأذن الصماء .

هذه المرة لم يرد سكان سان بيار تفويت الفرصة عليهم . ويبدو أنهم نجحوا في تأليب وسائل الإعلام السويسرية لمصلحتهم من أجل استغلال وجود ميتران في ديارهم . وقد وعد الرئيس الفرنسي وعلا بتنفيذ هذا الحق الدولي وقرر القيام بعمل رمزي أخلاقي لوفاء الدين القديم . وفي المقابل طمأن ممثلو بلدية الضيعة الرئيس الفرنسي بأنهم يتفهمون جيدا زمن الشح الفرنسي ، ووعدوا بأنهم لن يطالبوا بفوائد الفوائد التى ترفع الدين البونابرتي خلال هذه الفترة إلى ما يزيد على 150 مليون فرنك سويسري فقط لا غير !

الشكل رقم : أ مكرر

عن الوطن العربى عدد 323 (22 أبريل 1983)

هل يدفع ميتران ديون نابليون بــــونـــــابــرت ؟

سيتقدم سكان قرية « بورغ سان بيير » السويسرية بطلب للرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران اثناء زيارته لسويسرا يومي 14 و 15 افريل الجاري ، تدفع ديون نابليون اثناء مروره بالمنطقة.

وقد توقف الجنرال بونابرت بقرية « بورغ سان بيير » مع جيشه سنة 1880 قبل ان يدخل في الاراضي الايطالية ويحقق انتصار مارينغو

واثناء هذه الفترة ابرم القنصل الاول للجنـــرال بونابرت تعهدا بدفع جميع الديون المترتبة عـــــن الخسائر التي يتسبب فيها جيشه ، لكن هذا الوعــد او التعهد المكتوب لم يطبق حتى اليوم .

لذلك قررت بلدية « بورغ سان بيير » ان تكتب الـى السفارة الفرنسية ببرن مطالبة فرنسا بتعويض مبلغ 45,334 فرنك فرنسي بمناسبة زيارة فرانسوا ميتران سويسرا وقد تضمن الطلب الذي تقدمت بلديـــة « بورغ » قائمة تفصيلية بالخسائر التي الحقهـــا جيش بونابرت بالقرية ، واوضحت البلدية أن السكان لا يطالبون بالفوائد المترتبة عن مبلغ الديون ، بـــل يتمنون ان تقوم فرنسا بتسوية ديونها تجاه قريـــة « بورغ سان بيير » وذلك في اطار العلاقات الدولية.

الشعـــــب 23 جمادى الثانيـــة 1403

(12 أبريـــل 1983)

الشكل رقم : ب

الجغرافيا والاقتصاد ــ أن دول المغرب ــ ومنها الجزائر ــ عندما تقوم ــ لا تدوم ــ والدوام لله ! « لأنها ، اقتصاديا ، غير قابلة للحيـــاة » !

ولكن إذا كانت دول هذا المغرب « غير قابلة للدوام » ، أى غير قابلة للحياة ، وفرنسا ــ وأوروبا عامة ، كما هو في النص ــ هى الحياة ، ــ ولنكتف هنا بمثل الجزائر ــ فكيف يساعد الميت صديقه الحى ــ بل المحتضر ــ على الحياة ؟ إن فاقد الشىء لا يعطيه ولكن الجزائر هى التى أنقذت فرنسا من المجاعة ، والمسغبة ، والمتربة ، والبؤس ، فأمدتها بقرض لشراء القمـــح لديها ؛ وأمدتها بقرض آخر عيني ــ أى مالى ــ نقداً ، ذهبا ؛ وأمدتها بمواد غذائية واستهلاكية متنوعة أخرى ، كما أشرنا إلى هـــذا منذ حين !

إذا كانت الجزائر مستنقعات ، وفى حالة إفلاس ، حتى جاء من جاء ... فكيف أمدت فرنسا بالقمح ، وبالقرض الـــذى تشتـــرى **به هذا القمح ، وبقرض ثان** مالى ، نقدا ، وبالذهب ؟

وكيف تمتلىء خزائنها بالذهب ، كما أشاد بذلك التقريـــر الفرنسى الرسمى للجنة التحقيق بعد الاحتلال ، ويؤكده لنـــا المؤرخ الفرنسى غالبير ــ معتمدا على ذلك التقرير ــ إذ يقول :

« وأينما جال المقتصد دينيى فى الأرجاء المختلفة لخزينـــة الدولة (الجزائرية) ، انبهر بكمية الذهب والفضة التى كانت تقع عليها عيناه » ؟ :

« Dans les différentes salles qui renfermaient le trésor, M. l'intendant Denniée avait été frappé de la grande quantité d'or et d'argent qui s'était offerte à sa vue » (10).

(10) Léon Galibert : L'Algérie, p. 326.

ولو كانت الجزائر فى حالة فوضى ، وفتن داخلية ، وتمرد ، والدايات فى واد ، « والشعب الثائر عليهم » فى واد آخـر ، فكيف تقوم هناك دولة تجابه أوروبا ـ بشرقها وغربها ـ التى انضمت إليها ، فيما بعد ، حتى أمريكا ؟ كيف تتمتع الجزائر بتلك « الحصانة الغيبية الشهيرة » ، التى يصفها لنـا المـؤرخ الأمريكى سبنسر برائع الوصف (11) ؟ ويضيف :

« وقد أظهرت الوقائع الثابتة أن مختلف الحملات الأوروبية ضد الجزائر قد أثبتت عجز السياسـة الأوروبية (بالمعـنى الجماعى) حينما جوبهت بأمة قوية فى الداخل ، مصممـة ، متحـدة » (12) ؟

واعود إلى نقطة المعاهدات بملاحظة منهجية فحسب ، تتصل بهذه الدراسة :

قد يلاحظ القارئ أحيانا تقاربا كبيرا فى الزمن بين معاهدة وأخرى مع فرنسا خاصة :

إنى ارجع ذلك إلى سببين ، أولهما : أنه ، فى حالات نادرة جدا ، لا يبلغ عددها أصابع اليد الواحدة ، فالسبب هو عـدم تحرى بعض المؤرخين ، فيقعون فى نوع من التضارب عند ذكر تواريخ عقد تلك المعاهدات . ولكننى أكرر أن هذا بالنسبـة للنزر القليل جدا جدا منها .

أما السبب الثانى ، فهو عدم الاستقرار ، أحيانا فى الجزائر، وأحيانا في فرنسا، كما في عهد نابليون مثلا ولويس الثامن عشر، وتناوبهما على نفس العرش فى ظرف ثلاثة أشهر مرتين ، وعقد

---

(11) سبنسر : الجزائر فى عهد رياس البحر . ترجمة الدكتور عبد القادر زبادية ، ص 151 .

(12) سبنسر ، ص 141 .

كل منهما ، بمجرد رجوعه الى العرش ، معاهدات جديدة مع الجزائر . وهذا هو السبب الراجح .

على أنني ، مع كل التحرى ، لا اكتم القارئ أنه ، حيث إن أغلب المؤرخين والمخربشين الفرنسيين لم يكونوا يبالغون في سرد مناقبنا ، بل في مثالبنا ؛ ولم يكونوا يغلون نحونا في المدح، بل في القدح ؛ وأنهم كانوا ينتقصون جلائل أعمال سلفنا ، ويتجاهلون أمجادنا ، بل وينكرون حتى وجودنا ، محاولين بذلك تعقيدنا ، حتى نبقى راضين بالدون ، قابلين بالبون ، : فقد حرصت على إيراد كل ما وجدته من صالح لنا ، إيجابى في تاريخنا ، مما أوردوه هم بالذات؛ وأنني كنت ابحث، بل أنقب، في المصادر بكل حرص ؛ وأنني ، أثناء بحثي وتنقيبي ، لم اكن أقل حرصا ولا شرها من المنقبين عن البترول والأورانيوم !

ولقد بالغوا في الحذف ، والمحو ، والإنكار ، فلا أقل من أن نسجل كل ما نجد ، وندرج كل ما اعترفوا به ، وأدرجوه !

واختم هذه المقدمة بملاحظتين أخريين موضوعيتين ، هذه المرة ، لا منهاجيتين ، وفي صميم الصميم ، شرحناهما في صلب الدراسة ، ونشير إليهما هنا لإعداد القارئ لهما ، مجرد إشارة ، وهما : حكاية « المروحة » وزعم « كره » الجزائريين إذ ذاك لعهد الدايات ، و « عدم اعتراف الأمير عبد القادر بذلك العهد »...

1) بينا أن حكاية المروحة لم تكن إلا أسطورة ، لا بمعنى أنها لم تقع ، ولكن من حيث كونها سببا للعدوان الفرنسى : لأن ما اعتبره الفرنسيون « إهانات » لهم حدث قبل ذلك مرارا ، ولم يقم الفرنسيون باحتلال الجزائر ، وإن قاموا بغارات عدوانية عديدة ، بينها وحملة 1830 م فرق وأى فرق !

والفرق هو أنهم ، هذه المرة ، تأكدوا من احتمال تحقيق هدفهم القديم ، الذى يرجع ، على الأقل ، إلى 1270 م ، كما شرحنا ذلك بتوسع .

وليس هناك أبلغ تعبير عن صدق هذه الحقيقة من الاعتراف الصريح منهم في وثيقة رسمية مخصصة لجيش حملة العدوان الفرنسي سنة 1830 م ، صادرة بأمر من وزير الحرب الفرنسى ، وضعها بيكى ، جغرافي الملك الفرنسى وابنه الدوق دورليان ، وطبعها طابع الملك الفرنسى ، ومستقاة من تقرير الرائد المهندس العسكرى بوتان ، الذى كان نابليون بونابارت قد أرسله إلى الجزائر سنة 1808 م ، بقصد الإعداد لاحتلال الجزائر (13) !

ماذا تقول هذه الفقرة ؟ تقول :

« وما الحاجة إلى تخصيص الشكاوى والمظالم التى كانت لنا في المدة الأخيرة ضد الجزائر ، **بينما مجرد وجود الجزائر ذاته مظلمة وشكوى كافية بالنسبة لجميع الأمم المتحضرة ، ومبرر عادل دائم لتخريب هذا الوكر للقرصان وقطاع البحر ؟**

« فمنذ مدة طويلة والفلسفة ، والسياسة ، والإنسانية ، والدين : كل هذا كان يتطلب منا إبادة دولة تمثل جميع مفاهيمها خرقا دائما لكل مبدإ أخلاقى ، وتشكل مساسا بكل حضارة » (14) و (15) .

هذا هو السبب الحقيقى إذن لعدوان 1830 م، : النية المبيتة القديمة منذ قرون بخصوص « الدين والحضارة » ، وهما السببان بالضبط اللذان دفعا بجد شارل العاشر ، لويس التاسع،

(13) انظر الشكل رقم : ج .

(14) Aperçu, p. 77.

(15) انظر الشكل رقم : د .

APERÇU

HISTORIQUE, STATISTIQUE ET TOPOGRAPHIQUE

SUR L'ÉTAT

D'ALGER,

A L'USAGE

DE L'ARMÉE EXPÉDITIONNAIRE D'AFRIQUE,

AVEC PLANS, VUES ET COSTUMES;

PUBLIÉ

PAR ORDRE DE SON EXCELLENCE LE MINISTRE

DE LA GUERRE.

PARIS

CH. PICQUET, GÉOGRAPHE ORDINAIRE DU ROI

ET DE S. A. R. MONSEIGNEUR LE DUC D'ORLÉANS,

SEUL CHARGÉ DE LA VENTE DES CARTES, PLANS ET AUTRES OUVRAGES

DU DÉPÔT GÉNÉRAL DE LA GUERRE;

QUAI DE CONTI, Nº 17

1830

الشكل رقم: ج

« tion n'était plus de savoir si on ferait la guerre, mais « comment on la ferait. Le gouvernement a dû porter « dans une matière aussi importante toute la prudence « et toute la réflexion possibles. Sa résolution prise, il « doit l'exécuter avec énergie. »

Telles sont les raisons, tels sont les motifs de guerre qui, dans tout autre cause, satisferaient les hommes d'État les plus scrupuleux ; mais ils sont surabondans, surérogatoires, dans une cause semblable à celle-ci. Qu'est-il besoin, en effet, de spécifier les griefs qu'on a eus dans ces derniers temps contre Alger, quand l'existence même d'Alger est un grief suffisant pour toutes les nations civilisées, une raison juste et permanente de détruire ce nid de pirates et de forbans?

Depuis long-temps la philosophie, la politique, l'humanité, la religion, réclament l'anéantissement d'une puissance dont toutes les maximes sont un outrage constant à toute morale, à toute civilisation.

Il n'a jamais pu exister d'excuse valable de souffrir Alger, que de n'être pas assez fort ou de n'être pas en mesure, par une raison légitime quelconque, pour le dompter. Dès que par les circonstances où se trouve la société humaine, cette opération devient une possibilité, elle est un devoir ; la France, directement provoquée, le remplira.

« l'existence même d'Alger »!

الشكل رقم : د

أو « القديس » لويس (Saint-Louis) ، بعد أن قام بصليبية ضد مصر ، وأسر في المنصورة ، إلى مهاجمة بلدان المغرب ، بدءا بتونس سنة 1270 م ، حيث مات بالوباء !

بقيت نقطة أخيرة لختم هذه المقدمة :

2) النقطة الموضوعية الثانية التى كنت أود أن اتعرض لها فى هذه المقدمة ، بعد أسطورة « المروحة »،هى دعوى « كره الجزائريين لعهد الدايات ، أو العهد العثمانى ، وعدم اعتراف الأمير عبد القادر بذلك العهد » ...

أ) فأما عن الجزائريين عموما ، أى عن الشعب ، فقد سبق أن أدرجنا فى هذه المقدمة تلك الفقرة التى أوردها المؤرخ الأمريكى سبنسر ـ والتى ذكرناها بتوسع فى صلب هذه الدراسة ـ عن « عجز السياسة الأوروبية الموحدة ضد الجزائر حينما جوبهت بأمة قوية فى الداخل ، مصممة ، متحدة » .

ب) وأما عن الأمير عبد القادر ، فقد أوردنا أيضا فى هذه الدراسة نصا له يكذب كل التكذيب هذه المزاعم ، حيث تكلم عن « تجديده لأوامر المتقدمين » ، ويعنى الدايات ؛ وبيناه أكثر فى مقال عن « استمرارية الدولة الجزائرية فى نظر الأمير عبد القادر ، أو : الأمير عبد القادر والخلافة العثمانية » ، صدر فى عدد خاص من مجلة « الثقافة » بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته رحمه الله .

جـ) ونود أو نورد هنا نصين اثنين لطود من أطوادنا عن موقفه من عهد الدايات ، وهو الإمام عبد الحميد بن باديس :

أحدهما وضعناه على صفحة الغلاف ، وهو أبلغ من كل شرح، ومغن عن كل تعليق .

والثاني هو هذا ، وهو أيضا يكفي بنفسه ، تحت عنوان : « كلمة عن الجامع الأخضر عمره الله » :

نأخذ منه الفقرتين التاليتين :

« الجامع الأخضر أحد الجوامع الجمعية الثلاثة الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة .

« أما مؤسسه فهو حسين بك بن حسين (1149 ــ 1167 هـ = 1736 ــ 1754 م) ، فحكم البلاد 17 عاما ، **مقتفيا أثر سلفه في سياسة التعمير والإنشاء ، فنظم المدينة ، وخطط شوارعها ... وحافظ على توطيد الأمن طيلة مدة حكمه . وكما كان له ولع بالعمارة كانت له عناية فائقة بالعلم ...** » (16) ، أي في عهد الداي بابا إبراهيم .

وعندما يقول ابن باديس : « مقتفيا أثر أسلافه » في سياق «البناء ، والإنشاء ، والتعمير ، والعناية الفائقة بالعلم»، وبلسان المدح والإطراء ، فهذا وحده كاف للدلالة عن رأي ابن باديس في عهد الدايات .

وهذا كتبه سنة 1357 هـ (1938 م) ، أي في قمة نضجه ، وفي خاتمة جهاده ، بسنتين اثنتين فقط قبل وفاته ، رحمه الله، وهو سليل زيري بن مناد ، مؤسس الدولة الزيرية في جبال تيطري ، ومن أحفاد باديس بن المنصور بن بلكين ، بعد أن امتدت دولة جده إلى القيروان ، ثم المهدية ، قبل أن ترجع إلينا في شكلها الحمادي ، بتأسيس حماد بن بلكين بن زيري إياها ؛ وهو ــ عبد الحميد بن باديس ــ المعتد بصنهاجيته ؛ والمتمسك

(16) الشهاب : ج 4 ؛ م 14 ؛ ص : 203 ــ 204 ، وقد نقلنا النص عن : الدكتور عمار طالبي : ابن باديس : حياته وآثاره . ج 4 ، ص 36 .

بوطنيته الجزائرية الصميمة ؛ والمعتز بعروبتـه وإسلامـه ، والعامل لهما ، والمضحى من أجلهما .

فلو كان يرى ، مثل بعض اللورينسيين ، ــ وحاشاه ، وحاشانا معه ! ــ فى الدولة الجزائرية العتيدة المجيدة فى العهد العثمانى دولة أجنبية ؛ أو كان يعتبر الدايات أجانب ، مثـل الاسبان قبلهم ، والفرنسيين بعدهم ، لما تردد لحظة فى التنديد بهـم ، وخاصة بعد غيابهم ؛ ولما كتب فى شأنهم ، وفى الدولة الجزائرية فى عهدهم ، ما كتب ... وخاصة ، كما قلنا ، قبل وفاته بسنتين، كما كتب ، رحمه الله ، بسنة واحدة فقط قبل ذلك، (1356 هـ ــ 1937 م) فى تقريظه كتاب المؤرخ أحمد توفيق المدنى : « محمد عثمان باشا » عن ذلك الداى القمقام ، ما هو أصرح من هـذا وأوضح ، أوردنا فقرة منه فى صفحة الغلاف .

فعلا ، فلقد كانت الدولة الجزائرية في عهد الدايات ، خاصة، دولة قمقامة (17) ! فلم تكن فقط عضوا فى مجلس الكبـار ؛ ولا فحسب بين الأكابر ؛ بل كانت على رأس الأكابر ؛ وكـان عهدها من أزهر حلقات السلسلة الطويلة لتاريخنا العريـق ، عهد عزة ، ومجد ، وجهد ، وجهاد ، وشخصية دولية ، ووجود متميز بأرز ، وهيبة عالمية ، ومساعدة للضعيف ، وهيمنة على قوى الشر فى غرب ذلك الوقت وشرقه ، وفى شماله وجنوبه !

خربشنا (18) هذه الأسطر لشبابنا خاصة ، وكأننا نرد على كل ما سمعناه ــ ورددنا عليه في وقتـه شفاهيا وكتابيا ــ أثناء كفاحنا التحريرى هنا وهناك فى الشرق والغرب ، بل وفيما هو أقرب وأدنى ، بل ولا نزال نقرأه ونسمعه اليوم أيضا من حين

(17) بمعنى : عظيمة ، مجيدة ، أو قمقومة فى دارجتنا (لسان العرب) .
(18) الخربشة : الكتابة الرديئة مبنى أو معنى ، أو شكلا أو محتوى ، كما نقول اليوم ، أو كليهما معا ...

إلى آخر ! ولقد صادف هذا الموضوع هوى قديما فى النفس ، فلنبرد به القلب !

أجدادنا أنجزوا جلائل الأعمال ، ولكنهم لم يسجلوها . فلنقم نحن بمثل ما قاموا به ، وأكثر ـ إن أمكن ! ـ ، ولكن لنسجل ما نقوم به ، زيادة على ذلك ، وتكملة له وتخليدا ، ما خلد الانسان ، والخلود لله !

والتاريخ ليس مثل تشريح ضفدعة . فليس هناك تاريخ موضوعى مجرد بمعنى العلوم الطبيعية ؛ وإن الفيلسوف الألمانى فيخته ، كما ذكرناه ، هو الذى كان يقول : « إن التاريخ كالإنجيل، يكتب، ويقرأ، ويدرس بنفس التقديس والإجلال»!

فالتاريخ مرآة للماضى ، ومنهاج لاستخلاص التجارب ؛ ولكن أيضا ، وبالدرجة الأولى : وسيلة لغرس حب الوطن لدى الشباب، فهو الإسمنت الروحى ـ إذ فيه الدين أيضا ـ ، والإيديولوجى، والسياسى ، لتقوية وحدة الامة ، وتعزيز تماسكها ، وتوطيد أركانها ، وتعميق الوعى بتلك الوحدة ، وإذكاء الإحساس بذلك التماسك ، مما يعطيها فى الداخل تصورا واحدا للحياة، ويجندها ويبرزها للخارج كرجل واحد ، لتحقيق ذلك التصور بإرادة فولاذية ، وعزم صارم ، وتصميم جماعى موحد .

فالتاريخ ، بحفظه لكل حلقة (19) من حلقات سلسلة الأجداد والأحفاد ، يؤكد عناصر الشخصية الأصيلة ، المتفتحة فى الوقت نفسه على ضرورات العصر بما لايضر أصالتها ؛ ويعطى الأمة وجها بارز السمات ، واضح القسمات ؛ ويضمن لها وجودا متميزا يكون عنوانا لها ، وبطاقة إنيتها ـ أو تعريفها ـ بين

(19) حلقة بسكون اللام فى المفرد ، لا بفتحها ، خلافا لما نسمعه هذه الأيام ...

الأمم ، ككل قائم بذاته ، وكجزء من كل أكبر منه ويشمله : مغربى ، عربى ، إسلامى ، بل إنسانى عالمى .

فهو الأهم فى كل ثقافة ، والبداية والنهاية ، وبيت القصيد، والزبدة من الكل ، ليس فقط لاستخلاص الدروس ؛ ولا فحسب للتعريف بأجدادنا ؛ ولكن أيضا لغرس الاعتـــداد بالنفس فى الشباب ؛ وتعميق الوعى بالذات ؛ وتقوية الاعتزاز بالوطن ، والتشرف بالإنية الوطنية ، أو بطاقة التعريف ، لأمة كاملــة مجيدة ، هى عنوان المجد ، ألا وهى الأمة الجزائرية العتيدة !

وليس هذا من باب التغنى بالماضى ، والاستعاضة عن البناء الذاتى بما فعلــه الأجداد ، بقدر مــا هى عملية إبراز الأسس الأصيلة للبناء عليها فى انطلاقنا الجديد ، مع الاستفادة مــن تجارب الأمم فى جميع الأزمنـــة ، وأخـــذ ضرورات العصر بالاعتبار .

وباختصار : بناء جديد متين ، على أساس عتيد مكين .

والله إن لاسم الجزائر لروعة، ووقعا، وصدى ! وإن للجزائر فى تاريخها لشخصية دولية ، وهيبة عالمية !

مــــدخــــــل

هناك من بين أمم الدنيا أمة عريقة ظلت مدة قرون ثلاثة متوالية سيدة البحر الأبيض المتوسط ؛ وكانت الخصم اللدود لقوى الشر ؛ وكانت الحكم العادل بين الخصماء ؛ وكانت كلمتها القول الفصل ، كما كانت بحريتها الفيصل ؛ وكانت سفن وأساطيل العالم تقترب من ميناء عاصمة تلك الأمة بعضها بثقة واطمئنان ، وأخرى بوجل وتردد ، أمام هيبة تلك العاصمة التى كان يتردد اسمها بصدى مدو بالغ ، ووقع شديد بليغ ، وهى تطل من عليائها شامخة ناصعة ، بمآذنها وشرفات قلاعها ، على مينائها الذى يرمز تلاطم الأمواج فيه لذلك البحر ، وهو أشبه ما يكون ببركة مضطربة ، يبتلع فيها السمك القوى الضخم السمك الضعيف الصغير !

كانت تلك الأمة من أولى الأمم التى اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776 م ، وعقدت معها معاهدة سلم وصداقة يوم 5 سبتمبر 1795 م ، تبعتها معاهدتان أخريان ؛ كما كانت أول أمة فى الدنيا ، بدون أى استثناء ، اعترفت بالجمهورية الفرنسية الأولى ؛ وأقرضت حكومة الثورة الفرنسية قرضا مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات الذهبية ، بدون فائدة؛ كما أنقذتها من المجاعة ،.بأن أمدتها ، أيام حروب تلك الثورة،

ثم أثناء حروب نابليون ، بقرض آخر لشراء القمح فى بلد تلك الأمة ، بدون فائدة أيضا ؛ وعقدت معها سبعين (70) معاهـدة واتفاقية ؛ كما حمتها مرارا من الغزو الخارجي ، بل وحتى من التفتت والتمزق الداخلى ، إذ استنجدت فرنسا مرارا ، وفى مختلف عهودها ، بتلك الأمة ، من فرانسوة الأول ، إلى ابنـه هانرى الثانى ، إلى لويس الرابع عشر ، إلى حكومة الثـورة ، وإلى نابليون بونابارت ، كما سنرى !

كما كانت تلك الأمة أيضا هى التى اضطرت أمريكا ذات يوم ـ بل طيلة سنوات عشر ! ـ إلى أن تسعى لدى أغلب دول أوروبا فى ذلك العصر ـ ومنها روسيا القيصرية ـ لتقنعها بالانضمام إلى كتلة أوروبية ـ أمريكية ضدها ! وعندما لم ينفعها كـل ذلك ، لجأت إلى الخلافة العثمانية ، علها تمارس ضغطا على تلك الأمة ، طالبة منها الوساطة لديها ؛ ولما لم يجدها ولا ذلك أيضا ، رضخت فى النهاية لشروط تلك الأمة ، وهى مكرهة صاغرة ! فمن هى تلك الأمة ، يا ترى ؟

إنها تلك التى قال عنها موريس طوريز (1) ، الكاتب العام للحزب الشيوعى الفرنسى ، يـوم 11 فيفرى 1939 م ، هنـا فى العاصمة ، : «إنها فى طور التكون خليطا من عشرين جنسا»(2) ! وقال عنها إدغار فور (3) ، رئيس الحكومة الفرنسية ، سنـة 1955 م ، : « إنها لم تكن أبدا أمة ولا دولة فى التاريخ » (4) ! وقال عنها أحد رؤساء جمهوريات فرنسا ، شارل دوغول (5) ، فى ندوة صحافية شنيعة : « لم تكن هناك أبدا ، فى أى ظرف

(1) انظر الشكل رقم : 1 .

(2) Maurice Thorez : Oeuvres Ed. Soc. Paris, livre III, t. XVI, p. 174-186.

(3) انظر الشكل رقم : 2 .

(4) Le Monde, 15 octobre 1955.

(5) انظر الشكل رقم : 3 .



موريس طوريز: تكوّن الأمة الجزائرية

الشكـل رقم : 1



إدغار فور يعزف بمعية المغني
المشهور شارل تريني ...

Edgar Faure joue des variations sur le même thème ...

<< On n'est heureux qu'un temps
Et le reste du temps
L'on attend ! >>

الشكل رقم: 2



الجنرال ديغول

الشكل رقم: 3

من التاريخ ، وبأى شكل كان ، دولة جزائرية » (6) .
« Il n'y eut à aucun moment de l'Histoire, sous aucune forme, d'Etat algérien »

وقال عنها رئيس آخر للجمهورية الفرنسية ، فاليرى جيسكار ديستان ، (7) : « إنها ولدت أخيرا » (8) ؛ كما زعم ميشيل جوبير (9) ، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في عهد بومبيدو ، أن الجزائر ولدت في يوم 5 يوليو 1962 م (10) ؛ وكتبت أخيرا دائرة المعارف العالمية الفرنسية أن أرضها لم يعرف متى تكونت ، فتقول بالحرف ، مترجما إلى العربية ، ثم نصا ، أى أصلا ، بلغة ديكارت ، فيلسوف ، « العقل السليم أعدل الأشياء توزعا بين الناس » !

« Le bon sens est la chose du monde la mieux partagée » :

« فابتداء يتساءل الإنسان : متى تكونت هذه الأرض (الجزائرية) ، التى هى في تسعة أعشارها صحراوية ؟ » (أى جدباء ، جرداء ، قاحلة ، عاقر ، يباب !) فتقول :

« D'emblée, se pose le problème de savoir depuis quand existe cette terre, d'ailleurs désertique aux neuf dixièmes».

كما لو تساءلت عن أرض فرنسا أو واق واق متى تكونتا ! ولم تقصد التكون الجيولوجي ... ولم تذكر طبقات الأرض ... إذن : ما القصد من هذا التساؤل ؟ ثم تضيف الأنسيكلوبيديا الموقرة :

« واسم الجزائر نفسه من نحت فرنسي ، ولا يعود الى ما قبل 1831 م » .

« Le mot Algérie est français et remonte à 1831 »

ونحن نقول : إن اسم الجزائر جزائرى بحت ، محض ، قح ، صاف ، نقي ، أصيل ، أطلقه عليها بلكين بن زيرى ، مؤسس

---

(6) Charles de Gaulle : in Le Monde, 18 sept. 1959 (déclaration du 16 sept. 1959).

(7) انظر الشكل رقم : 4 .

(8) El-Moudjahid, 11 avril 1975.

(9) انظر الشكل رقم : 5 .

(10) Jeune Afrique, 05 décembre 1979.



جيسكـــــار ديستــــــان

الشكـل رقم : 4



ميشال جوبير

الشكل رقم: 5

الجزائر العاصمة ، والمدية ، ومليانة منذ أكثر من ألف سنة وعشرية ، حسب ابن خلدون (11) ؛ وإن اسم فرنسا هو الذى ليس فرنسيا ، بل هو أجنبى ، وبالضبط والتدقيق : ألمانى ! نعم ! ألمانى ! وسنوضحه جيدا فى الأخير !

ثم تقول الأنسيكلوبيديا العليمة بالأمور ، المعلمة للناس ، للعالم : « إن الجزائر لم يكن لها من وجود ذاتى ... وفى الأخير، فهى تحت جبهة التحرير في طور التكون كأمة nation en formation.(12)» وهذا سنة 1980 م ! ولم تصل بعد إلى نهاية المطاف ..! وهذه دائرة المعارف التى تقول هذا ..! ... أنسيكلوبيديا ... نعم ! وعالمية، Universalis ! أى للعالم، إن شئت التدقيق ! الله! الله!

كما كتب أخيرا عنها (عن الجزائر) أحد الصحافيين الفرنسيين (13) فى مجلة « تقدمية »، « يسارية » : « إنها تسعى حثيثا لاسترجاع وثائقها من فرنسا لعلها تجد فيها ذكرا لوجودها فى الماضى كأمة ، ولكنها لن تجده ، لأنها لم تكن أبدا أمة طوال التاريخ » (14) !

وإنها لتلك الأمة التى قال عنها الكاتب المصرى « التقدمى »، « الثورى » ، « الناصرى » ، محمد حسنين هيكل (15) ، سنة 1965 م ، : « إنها لم تكن أبدا أمة فى التاريخ » (16) ! وإنها لتلك الأمة التى كتبت عنها مرة أخرى نفس جريدة الأهرام ، على لسان أحد مخربشيها ، « صلاح منتصر » ، تحت عنوان تنطبق عليه الصيغة العربية : « اسم على مسمى » : « مجرد

---

(11) عبد الرحمن بن خلدون ـ كتاب العبر ـ ج 7 ، ص 207 ، طبعة دار الكتاب اللبنانى .

(12) Encyclopedia Universalis, Paris 1980, vol. 1, chap. Algérie.

(13) انظر الشكل رقم : 6 .

(14) Pierre Nora, in : Le Nouvel Observateur, 07 novembre 1981.

(15) انظر الشكل رقم : 7 .

(16) حسنين هيكل : الأهرام بين 20 و 25 يونيو 1965 م .



Pierre NORA

بيير نورا

الشكل رقم : 6



محمد حسنين هيكل

الشكل رقم: 7

رأى » ، يقول : « إن الجزائر نالت استقلالها عام 1962 م » (17) ! كما لو استقلت لأول مرة ، وكما لو كان ذلك « النيل » لاستقلالها نيلا لأول مرة ، وليس مجرد استرجاع واسترداد ! ثم ها هو آخر تزييف من طرف الإخوة الأشقاء يأتي من قريب ... حيث كتبت مجلة مغربية « يسارية » ، « تقدمية » ، « ثورية » ، هي أيضـــا :

« ان الجزائر تحاول الآن أن تنتقم من التاريخ الذى حرمها الشخصية المستقلة ، حيث كانت دائما تابعة وذيلا » (18) !

بل وإنها لتلك الأمة التى كتب عنها حتى أحـد أبنائهـا ، سنة 1936 م ، أنه سأل عنها الأحياء « بل حتى المقابر » ، وناداها من أعلى المنابر ، وبحث عنها فى أعماق المخابـر ، وتصفح فى التنقيب عنها كل المضابر ، واستنفد فى الاستفسار عنها ريقه ومداد المحابر ، فلا من جواب ولا من صدى ! أو لم توجد أصلا أم أتاها الردى (19) ؟

وربما كان أفظع ما كتب عن تلك الأمة فى هذا السياق، ومع الأسف من احد أبنائها أيضا ، لا شك عن حسن نية أيضا ... هـو ما خربشه أخيرا أحدهم ــ وفي رسالة دكتوراه دولة ! ــ وجعله عنوانا له ولرسالته : « La naissance et la reconnaissance de la république algérienne »

« ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها » فى سنة 1962 م ! ميلاد الجمهورية الجزائرية في 1962 م ! وهذا يكتب وينشر فى 1982 م ! ونحن نحتفل بالذكرى العشرين لاسترداد استقلالنا ، ويأتي المشرف ، جورج أبو سعد ، من المعهد الجامعي للدراسات الدولية في جنيف ، فيزيد الطين بلة ، والطنبور نغمـة ، فى

(17) الأهرام 04 أغسطس 1981 م .

(18) الديمقراطى الحر ، نوفمبر 1981 م ، المغرب .

(19) Ferhat Abbas, in L'Entente, 13 février 1936.

مقدمة الرسالة ، فتكلم عن « نزع الاستدمار في الجزائر ، **وتكون** الدولة الجزائرية » « La décolonisation en Algérie et la *formation* (20) de l'Etat algérien » وبقصد سنة 1962 م ! كما لو ولدت الدولة أو الجمهورية الجزائرية سنة 1962 م ، معززا بذلك دعوى الجنرال دوغول ومن ادعى دعواه ، ولا نقول إنه يشاركه هواه ، ولا أنه قصد ذلك في مبناه وفحواه !

كيف يدعى أحد ذلك والحكومة الجزائرية المؤقتة سمت نفسها : « الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية » **المستعادة** ، المنبعثة، المستجدة، المقامة من جديد restaurée **! وليست المكونة**، **أو المنشأة** instaurée ، خلافا لما كان يقوله دوغول ، بل كتبه في مذكراته قبل موته بقليل (21) !

فاذا كان تزييف تاريخ تلك الأمة من خصومها أمرا «معقولا»، وكان ظلم الحقيقة من ذوى القربى ظلما منقولا ، أفليس الظلم من الأبناء مازوخية (22) صارخة وتواطؤا مصقولا ؟

ولئن لم تعد تلك الأمة الآن في حاجة ، كما كانت أثناء كفاحها التحريرى ، إلى الاستدلال على وجودها دوما ومنذ القديم، **فليس من باب إضاعة الوقت أن تسجل لأبنائها وأحفادها بعض ملاحم عراقتها الضاربة في القدم ، ومظاهر شخصيتها الأثيلة المتميزة ، وعلامات وجودها البارز الأصيل على مر العصور ، بل ومعالم مكانتها الدولية الممتازة ، وانعكاسات هيبتها المهيمنة ، وخاصة في بداية العصر الحديث ، حيث كانت كبريات الأمم ، طوال قرون ثلاثة متوالية ، منحنية تسترضيها ، بل وجاثمة**

(20) El-Moudjahid, 08 juillet 1982.
(21) Charles de Gaulle : Mémoires d'Espoir, p. 102, 105, 120, 122, 123, 126, 130.
(22) مازوخية بالخاء ، وليس بالشين : تعذيب الذات ، من اسم العالم النمسوى مازوخ Masoch ، الذى ينطق به « مازوخ » ، وليس مازوش ، كما يكتب وينطق به بالعربية خطأ .



صورة مصينيصا فى شيخوخته وايام عزه مأخوذة من تمثال له قديم ٠

« أفريقيا للافريقيين ! » مصينيصا
عن : « مدنية المغرب العربى »
ج 1 ، ص 182 ، طبعة أولى
محمد صفر ـ تونس

Mohamed - Chérif Sahli



LE MESSAGE

DE

YOUGOURTHA

يـــوغرطا

الشكـــل رقم: و

ضد السيطرة الرومانية ، أخذ الإطار الجغرافي يتحدد في معالمه الكبرى ، وبدأ الطابع الوطني يبرز ويتأكد باستمرار ، خلال التطور الذي شهدته الجزائر في حقبة من التاريخ تزيد على عشرين قرنا .

« وبالإضافة إلى ذلك أخذت المقومات الأخرى للأمة الجزائرية تتجلى تدريجيا منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، متمثلة في الوحدة الثقافية ، واللغوية ، والقيم الروحية ، وفي ضبط الشؤون الاقتصادية ضبطا محكما يعبر عن إرادة قوية في الاستقلال ، وتمسك شديد بالحرية » (25) .

على أننا نستطيع أن نتساءل : من المسئول الأول عن هذا الطمس الفظيع للحقيقة ؟ ونجيب : إن أجدادنا أيضا مسئولون، على أننا لا نقل عنهم مسئولية !

ففي كتاب صدر أخيرا في فرنسا لمجموعة من المؤلفين الفرنسيين جاء في الفقرة الأولى من المقدمة ما يلي :

« إن المكانة التي تتبوأها الشعوب في كتب التاريخ لا ترجع إلى القيمة الذاتية لتلك الشعوب ، وتعلقها بأرضها ، وحبها لوطنها ، وشموخها بأنفها ، واعتزازها بنفسها ، ومدى شجاعتها ، وعدالة قوانينها ، بقدر ما تتوقف على فصاحتها في الإبانة عن نفسها .

« فالمؤرخون مضطرون إلى الاعتماد على الوثائق الموروثة . وإذا كانت الشعوب لم تسجل أحداثها ، وبقيت خرساء ، بكماء، فالتاريخ سيبقى أخرس أبكم ، ساكتا عنها ، لا يدرجها في سجلاته ، أو يعمد إلى ملء ذلك الفراغ ، الذي يسترعي الانتباه، باستعمال الشهادات الناقصة ، والمجحفة المزورة بالضرورة ،

---

(25) الميثاق الوطني ، ص 1 من البند الأول .

التى تتمثل فى الكتابات الرديئة التى يدلى بها ويتركها عنها جيران أو أعداء ثرثارون » (26) .

كلمة حق أريد بها حق ! وأجدادنا كانوا فصحاء بلغاء من حيث جلائل الأعمال ، ولكنهم كانوا بكما أميين من حيث تسجيلها ، والإبانة عنها ، وإبرازها ، وتخليدها بالكتابة ، بالحرف ، للأجيال ، والتاريخ ، إغراقا منهم فى التواضع ، أو جهلا بقيمة التاريخ ، واستخفافا بأهمية تسجيل الأحداث لاستخلاص العبر ؟

وإن تلك الهيبة التى تفرض الاحترام ؛ وتلك الهيمنة التى توحى أيضا بالخوف عند الضرورة ؛ وتلك الشخصية القوية اللامعة ؛ وتلك المكانة المرموقة الممتازة ؛ وذلك الوجود الدولى المتميز البارز : كل ذلك هو ما تسعى الجزائر اليوم إلى الإبانة عنه ، وهو ما نقصده أيضا ، فى الدرجة الأولى ، بهذا العنوان : « شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، وعلاقاتها إذ ذاك خاصة بالخلافة العثمانية والدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية » ، بما يشتمل عليه الموضوع ، طبعا ، فى الدرجة الثانية ، من نشأة العلاقات عموما ، والعلاقات الدبلوماسية بصفة خاصة ، والمعاهدات المعقودة بين رؤساء الدول الأوروبية والأمريكية ودولة الجزائر ، وأمضاها رؤساء دولة الجزائر باسم الجزائر ، وباسم الجزائر لا غير ، « الجزائر المجاهدة » ، « الجزائر المحروسة » ، « الجزائر القاهرة » بحق ، كما كانوا يكتبون فى آخر نص كل معاهدة قبل إمضائهم مباشرة وإمضاء ممثلى رؤساء الدول الأجنبية ، وإمضاء المصادقة من رؤساء تلك الدول ، مع إثبات إحدى هذه الصيغ فى صلب المعاهدة (27) ، مثلا مع جورج واشنطن ، رئيس الولايات

(26) Histoire de l'Algérie, Oeuvre collective : Les Productions de Paris, p. 1.
(27) « In this warlike Algiers » ; « Fait à Alger la guerrière » ; « En cette invincible ville d'Alger » ; « A Alger la bien-gardée » ; « A Alger la puissante » etc.

المتحدة الأمريكية ؛ ومع لويس الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ، ونابليون بونابارت ، ولويس الثامن عشر ، ومع أمبراطور ألمانيا ؛ ومع ملوك بريطانيا ، واسبانيا ، وغيرهم من كبار قياصرة وأباطرة ذلك العصر !

وسنركز على العصر الحديث والمعاهدات المسجلة كتابيا بين الجزائر والدنيا ، مع بيان تواريخ عقد تلك المعاهدات ، والمصادقة عليها ، وأسماء موقعيها والمصادقين عليها ، والظروف التى انعقدت فيها ، ولمحة عن تلك العلاقات بإيجابيها وسلبيها ، من علاقات السلم والتعاون والصداقة ، وعلاقات العداء والحرب والغارات ، وجو التكتلات ، والمؤامرات ، والمناورات المحيكة بين الدول الكبرى ، التى لم تكن تستهين بالمتوسطة ، بل ولا حتى بالصغيرة ، فى محاولات نسج خيوط عنكبوت التكتلات ضد الجزائر ، وفى كثير من الأحيان بوحي وتشجيع من البابا ؛ إلى محاولات الوساطة من دول كبرى لدول كبرى أخرى لدى الجزائر؟ وحتى المساعى لدى الباب العالى، للتوسط لدى الجزائر، وما أكثر ما كانت تلك المساعى ترفض من الجزائر ، كما ذكرنا ! وسنبين بعض ذلك بالأسماء والتواريخ ، حسبما يسمح به الإطار المحدود لهذه الدراسة .

وقبل أن ندخل فى تفصيل ذلك بالنسبة لأوروبا وأمريكا عموما ، بالوثائق الأوروبية والأمريكية ، وهو مالا يتوفر إلا بالنسبة لبداية العصر الحديث فى مرحلته المتقدمة ، فلا بأس بالإشارة فى لمحة ، بكلمتين أو ثلاث ، إلى ما قبل ذلك ، أى إلى العصر النوميدى والعهد الإسلامى ، قبل العصر الحديث ، رغم قلة الوثائق ، وانعدام المعاهدات فى ذلك الوقت بالشكل الذى عرفت به فيما بعد حتى اليوم .

وذلك أن شخصية الجزائر الدولية ، ووجودها المتميز البارز، وعراقة تلك الشخصية ، وتاريخية ذلك الوجود ، وهيبتها التي تفرض الاحترام والوجل ، وهيمنتها التي توحي بالرهبة والوقار ، كل ذلك تشهد به وثائق وكتابات الغير ، والفضل ما يشهد به الغير ، حتى ، بل وخاصة ، إذا كانوا من الأعداء والخصوم !

ففي الكتاب الذي أشرنا إليه منذ لحظة ، من تأليف جماعي في فرنسا ، جاء ما يلي عن هذا الوجود الدولي للجزائر في العصر القديم ، أي قبل المسيح بأكثر من قرنين :

« إن ماسينيسا ، رغم تحالفه مع روما ، لم ينشر اللغة اللاتينية في بلاده ، بل نشر البونيقية ، وتبنى الحضارة الفينيقية . أما كنافذة على الخارج ، فقد اختار اليونانية . وكان هو شخصيا يتجاوز بنظراته آفاق روما ليرنو الى الشرق اليوناني، ويستفيد من تجارب أولئك الملوك اليونان الذين لم تكن روما قد سيطرت عليهم بعد .

« وقد تبوأ بدون جهد كبير مقعده فيما سمي في القرن التاسع عشر بالمضمار الدولي،والساحة الدولية le concert international . وإنه ليسوغ لنا اليوم أن نتصوره مستعدا لذلك ، بل وأكثر استعدادا مما نتصور .

« ... كما أنه لمن المقبول في الأوساط العلمية اليوم أن الحرب الرومانية البونيقية الثالثة ، التي أدت سنة 146 قبل الميلاد الى تخريب قرتاجنة (قرطاج) ، قد كان سببها العميق بالضبط هو القلق الذي أخذ ينتاب روما بازدياد مطرد من تفوق ماسينيسا في افريقيا . فقد كانت روما تتوجس منه خيفة إذا ما انتهى إلى الاستيلاء على قرتاجنة ليجعل منها عاصمته، فيتبنى لمملكته المطامح الدولية التي كانت لقرتاجنة .

« فلم يكن الهدف بالنسبة لروما (فى رغبتها القضاء على دولة قرتاجنة) يتمثل فى محو آثار ماض لم يعد مخوفا ، أكثر مما كان يتعلق بخنق تطور وإيقاف مستقبل ناشىء ! » (28) ، أى أن روما كانت تخاف من أن تحل الدولة النوميدية محل دولة قرتاجنة وتخلفها ، وتنشأ (لروما) دولة كبرى جديدة بجوارها وقبالتها ، فى شخص الدولة النوميدية ، منافسة لها ، ومزاحمة، بل ومهددة لها ، كما كانت قرتاجنة تماما .

وفى العهد الإسلامى نجد أن الدولة الجزائرية من رستمية ، وزيرية ثم حمادية ، وزيانية ، مع انصهارها فى بوتقة الخلافة الإسلامية ، الأموية منها ، والعباسية،والعبيدية الفاطمية ، فقد كان لها وجودها البارز ، وشخصيتها المتميزة ، بالعلاقات التى ربطتها مع افريقيا العميقة،بالنسبة للدولة الرستمية ، ونفاذ هذه العلاقات بل ونفوذها إلى شرق افريقيا وخليج عمان ؛ وبعلاقاتها التجارية مع دول ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ومراسلاتها مع بعض الدول الأوروبية ، مثل الفاتيكان ، سنة 1067 م ، فى عهد الناصر الحمادى وغريغوار السابع ، وإرسال فرنسا والجمهوريات الإيطالية بقناصل لها إلى بجاية (29) ، وحماية الشطوط والسواحل المغاربية من الغارات الصليبية ذات الأسماء المختلفة ، بالنسبة للدولة الحمادية ؛ وبتحالفاتها ، حسب الظروف ، مع الدول المغاربية بالتناوب ، لخرق الحصار، ورد الأطماع حولها ، بالنسبة للدولة الزيانية . وقد كان طابعها جميعا درجة كبيرة من الاستقلال والتميز ، مع الانضباط والالتزام بالمجموع فى ظروف الشدة .

---

(28) Histoire de l'Algérie, p. 29, 30, 31.

(29) انظر فى هذا مقالا للدكتور مولاى بلحميسى فى عدد النصف الثانى من مجلة التاريخ لسنة 1980 م ، الصادرة عن المركز الوطنى للدراسات التاريخية ، وفى ج 1 من كتاب الملتقى الثامن للفكر الإسلامى و :
A. Devoulx : Archives du Consulat général de France à Alger, p. 1.

على أن طابع الشخصية الدولية الفذة ، والوجـود الـدولى البارز ، والدور العالمـى المشرق الواضح السمات ، وممارسة المسئوليات الدولية بمعنى الكلمة ، بالإحساس العميق بهـذا الدور ، مثل الدول الكبرى اليوم تماما ، مع الفارق الكبير فى طريقة أدائه ، والنظرة إلى الهدف منه ، كل ذلك كان للجزائر بدون منازع فى العهد العثمانى ، المسمى خطأ وخطأ كبـيرا بالعهـد التـركى !

ولم يخف هذا عن كثير من المؤرخين الأوروبيين ، الذيـن وصفوا بدء ذلك العهد بأنه « بادرة جزائرية غيرت مجـرى التاريخ الإفريقى » (30) . وأضاف : « واستنجد الإسلام،الذى كان فى خطر (فى الجزائر) ، بفرسانه الصلاب » (30 م) .

وفعلا ، فلولا تلك البادرة الجزائرية لتغير وجه بلدان المغرب كلها ؛ بل ولربما بلدان أكثر من المغرب . ولذا فإنى اسمـح لنفسى بمقارنتها بأول نوفمبر 1954 : فكما ساهم أول نوفمبر ، إلى حد بعيد ، إلى أبعد مما نتصوره ، وإلى أبعد مما قيل وكتب، حتى اليوم ، فى تحرير بلدان المغرب ، بل وافريقيا كلها (31) ، وبذلك غير مجرى التاريخ الإفريقى فى العشرية الأولى مـن النصف الثانى من القرن العشرين، فإن دعوة الجزائر لبابا عروج وخير الدين ، وبعثهما ما سمياه بدولة الجزائريين ، قد غـيرا مجرى التاريخ الإفريقى وغير الإفريقى فعلا . ولولاهما لكان الأمر اليوم غير الأمر فى المغرب كله ، وفيما هو أبعد من المغرب.

---

(30)-(30م) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 515 (1re édition) : « Ce fut une initiative venue d'Alger qui changea le cours de l'histoire africaine », p. 516 : « L'Islam en péril (en Algérie) sollicita bientôt l'intervention de ses rudes champions ».

(31) انظر فى هذا محاولتنا بمناسبة الندوة التاريخية (27 ـ 31/10/1981م) فى قصر الامم ، التى تندرج فى كتاب الندوة (الذى تعكف الآن الأمانـة العامة للمنظمة الوطنية للمجاهدين عـلى طبعه) تحت عنـوان : « بعض مآثر أول نوفمبر » . وقد صدر أخيرا فى كتاب مستقل عن « دار البعث » .

كيف ذلك ؟ هذا ما نود أن نراه في إيجاز سيكـون بالضرورة مخلا ، وإن كان الجهد ليس مقلا :

يقول المؤرخ الفرنسي دي غرامون :

« فغداة الاستيلاء على غرناطـة مباشرة (وكان ذلك يـوم 02 يناير 1492 م) ، كلفت إيسابيل (32) ، ملكة قشتيليا وزوجة فرناندو الكاثوليكي (33) ، ملـك الأرغون ، المسمى لورينثو ذي باديليا (Lorenzo de Padilla) ، حاكم مدينة القلعة في الأندلس، بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاح . هذه المهمة هي استطلاع الأمور والمواقع في تلمسان للإعـداد لاحتـلالها (كمنطلـق لاحتلال البلدان المغربية بل الإسلامية عامة) . فذهب لورينثو متقنعا بلباس تاجر تلمساني إلى مملكة تلمسان ، حيث أمضى أكثر من عام رجع بعده بكل المعلومات المطلوبة والضروريـة لحملة الغزو التي كانت بصدد الإعداد !

« وفي الوقت نفسه استدعى الكردينال فرانثيسكو خيمنيث دي ثيسنيروس (34) Francisco Jímenez de Cisneros المهندس البحري البندقي جيرونيمو فيانيللي Geronimo Vianelli ، الذي كان يعرف الساحل البربريسكي (35) معرفة كاملة ، إلى اسبانيا .

« وبعد جمع هذه المعلومات كلها قررت الملكة ايسابيـل أن تبدأ العمليات بغزو مملكة تلمسان، فجندت جيشا قوامه 12،000

(32) انظر الشكل رقم : 8 (يكتب اسمها في الاسبانية : (« Isabel »)) ، وينطق بالسين ويختم باللام وحدها .
(33) انظر الشكل رقم : 9 .
(34) انظر الشكل رقم : 10 .
(35) البربريسكي نسبة الى خير الدين بربروس ، وسميت بهذا الاسم الدول بل وحتى البلدان والشعوب المغربية (عدا المغـرب الاقصى) في العهـد العثماني ، تحريفا لبابا عروج ، أو من بارباروسا : « اللحية الزعراء » .



الملكة ايسابيلا الكاثوليكية
عن الصورة المحفوظة بمتحف سان تلمو باشبيلية

الشكل رقم : (8)   (عنان)



الملك فرناندو الخامس (الكاثوليكي)
عن الصورة المحفوظة بمتحف سان تلما باشبيلية

الشكل رقم : (9)　　　　(عنان)



Le Cardinal F. Jímenez de Cisneros

(Gabriel Esquer : Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVIe siécle jusqu'à 1871)

الكاردينال خيمينيث دى ثيسنيروس الطليطلى

الشكل رقم : (10)

جندى ، تحت قيادة الكونت دى تنديليا (de Tendilla) ، الحاكم السابق لغرناطة ، وتبرعت هى براتبه من مالها الخاص .

« ولكن موت إيسابيل، سنة 1504 م ، أوقف مؤقتا تنفيذ العملية ، وأخر تحقيق مشروع كان حلم حياتها .

« وفى وصيتها كتبت ما يلى :

« انه لا ينبغى إيقاف غزو افريقيا ، ولا إنهاء الصراع ضد الكفار (أى المسلمين) من أجل العقيدة » (36) .

ولنستمع الآن إلى ما يعلق به كاتب غربى معاصر على هذا التسلسل للأحداث ، وارتباطها المنطقى بما نحن بصدده ، وهو الإطار الذى نشأت فيه هذه الدولة الجزائرية الحديثة ، التى كان لها ما كان من مجد وعزة ، رغم تكتل أوروبا وأمريكا ضدها ، وفى كثير من الأحيان بتحريض من البابا ومشاركته فى الأحداث .

يقول الكاتب الألمانى الغربى غرت فون باشتنسكى :

« وفى الثالث من مايو 1493 م ، أى بأقل من ثلاثة أسابيع بعد رجوع كريستوف كولومب من رحلته التى اكتشف فيها أمريكا ، وبعد سنة فقط من سقوط غرناطة (وتسليم أبى عبد الله الصغير (37) ، آخر ملوك الأندلس ، مفتاحها إلى فرناندو الكاثوليكى وزوجته إيسابيل ، فى المكان الذى لا يزال يسمى منذ ذلك اليوم : « زفرة الأندلسى الأخيرة » El último Suspiro del Moro) ، خول البابا الكسندر السادس اسبانيا

(36) H.-D. de Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque, p. 4.
(37) انظر الشكل رقم : 11 .



أبو عبد الله محمد

آخر ملوك الأندلس

عن الصورة التي كانت محفوظة من قبل بمتحف جنة العريف بغرناطة

(ونحن أخذناها من "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين" للمؤرخ محمد عبد الله عنان)

الشكل رقم: 11

حق ملكية الأراضى المكتشفة . ولكن فى اليوم الثانى عدل من نص الوثيقة ، وأشرك البرتغال فى هذه الملكية .

« ولكن كثيرا من المراقبين إذ ذاك أولوا تلك القسمة على أنها منطقيا تشمل أيضا بالضرورة عوالم أخـرى ..! مـن كرتنا الأرضية .

« فهكذا فهمها الإسبان والبرتغاليون ، على كل ، وأخـذوا الأمر بجد ، واتفقوا على ذلك فى معاهدة توردسيلياس Tordesillas يـوم 7 نوفمبر 1494 م ، باركها البابا يوليوس الثانى يـوم 24 يناير 1506 » (38) .

وبعد ثلاث سنين فقط من المعاهدة ، أى فى سنـة 1497 م ، بالضبط ، احتلت اسبانيا سبتة ومليلـة فى المغرب . وفى 23 أكتوبر 1505 م ، احتلت المرسى الكبير عندنا ، وفى 18 مايو 1509 م ، احتلت وهران وأرزيو . وعلى امتداد سنـة 1510 م ، احتل الإسبان مستغانم ، وتنس ، ودلس ، وشرشال ، والعاصمة، وبجاية ، طوال الساحل حتى تونس ، حيث ربطوا الحمـير فى جامع الزيتونة . وختمت اسبانيا امتدادها الصليبى بطرابلس. وكانت تنوى بعيدا ؛ وامتدت فعلا ، فيما بعد ، حـتى أقصى الشرق ، حيث احتلت فى الربع الأول من ذلك القـرن جزر الفيلبين . ولولا وجود الخلافة العثمانية فى أوج قوتها ، خاصة وكان فى ذلك الوقت على رأسها ذانك الصنديدان ، سليم الأول ثم خاصة ابنه بعده سليمان القانونى (Soliman le Magnifique) لكان الأمر غير ذلك فى الشرق العربى والإسلامى عموما ..!

---

(38) Gert von Paczenski : Die Weissen kommen oder : Die wahre Geschichte des Kolonialismus, p. 13.
وأما نص هذه المعاهدة فهو موجود كاملا فى مجموعة De Martens التى سنذكرها فيما بعد .

وكان البرتغاليون ، من جهتهم ، قد احتلوا ، قبل هذه المعاهدة ، عددا من مدن المغرب ، مثل القصر الصغير سنة 1458م، وطنجة 1468 م ، وخربوا مدينة أنفا تماما سنة 1471 م (وهى موقع الدار البيضاء اليوم)،واحتلوا بعدها آسفى وأغاذير سنة 1507 م ، وأزمور وكامل منطقة الدوكالة سنة 1513 م ؛ واحتل نائب ملك صقيلية جزيرة جربة فى تونس ، واحتل فرسان مالطا بقية ساحل تونس وطرابلس !

وفى جو هذه السلسلة من المآسى جاء إخوة أربعة مسلمون من جزيرة مدلين فى اليونان ، هم عروج (39)، وخير الدين(40)، ومحمد إلياس ، وإسحاق ، إلى تونس ، وعسكروا بقاربهم فى جزيرة حلق الوادى . كلهم بحارة مهرة . وكانوا قد بدأوا يقومون بنشاط بحرى ضد القراصنة الأوروبيين ، وخاصة لمساعدة وإنقاذ الأندلسيين اللاجئين إلى بلدان المغرب .

وتسامع الناس فى بجاية بهؤلاء الإخوة الأربعة ــ وهى تحت الاحتلال الإسبانى،وملكها عبد الله مع عمه الشقيق عبدالرحمان متشاقان حول بقية من أميرة ، وكل منهما مستند إلى الإسبان ــ فأرسل إليهم ــ إلى الإخوة الأربعة ــ كما يقول العلامة المؤرخ التونسى أحمد بن أبى الضياف ــ « علماء وأعيان بجاية يستصرخونهم لإنقاذ البلاد من يد العدو » (41) .

وتمت المقابلة فعلا فى حلق الوادى ، حيث يعسكر فى البحر الإخوة الأربعة فى قاربهم ، معزولين عن العاصمة تونس وصخبها ... وهى تعيش آخر عهد بنى حفص ، كما كانت

(39) انظر الشكل رقم : 12 .
(40) انظر الشكل رقم : 13 .
(41) احمد بن أبى الضياف : إتحاف اهل الزمان .
وقد نقل عنه هذا النص الأستاذ احمد توفيق المدنى فى كتابه حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ص 162 .



Baba - Arroudj (Barberousse 1er)

بـابـا عـروج (بـربـروس الأول)

الشكل رقم : (12)



ARIADENO BARBAROSSA

Kheir-Eddine (Barberousse II)

خيرالدين(بربروس الثاني)

الشكل رقم، (13)

تلمسان في الوقت نفسه تعيش آخر أيام بني زيان الأبطال ، والمغرب آخر أيام بني وطاس من سلالة بني مرين ، والنار تلد الرماد ، كما يقول المثل عندنا ... تماما مثلما كان الأمر لأبطال وصناديد آخرين قبلهم ، مثـل بني زيرى ، وبني حماد ، والموحدين ، والمرابطين ... وغيرهم قبلهم وبعدهم ، سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلا !

وماذا كان في الجزائر ، وفي بلدان المغرب عموما ، في ذلك الوقت ؟ فتن داخلية فظيعة ، وتداحر وتناحر بل انتحـار ، وتبعثر الدول إلى طويفات وسليطنات ، أشبه ما كانت بعصابات، لا تكاد تحصى ، كل عشيرة تقريبا نصبت من نفسها دويلة ، همها التطاحن مع جارتها ، التي لا تقل عنها سخفا وإسفافا ! انحلال وتحلل ، وتفرق وتمزق ، وتشتت وتفتت ، وانتشار واندثار، طوال قرن كامل ، من بداية الخامس عشر إلى بداية السادس عشر وكان الغزو الإسباني والبرتغالي ، وكان الاحتلال ! فمن وهران لم يخرجوا نهائيا إلا سنة 1792 م ، أي ظلوا فيها ما يقرب من ثلاثة قرون ! ومن سبتة ـ مدينة القاضي عياض ! ـ ومليلة ، فلما يخرجوا ، وفيهما لا يزالون ، ولو حزمت اسبانيا أمرها لاحتلت الباقي !

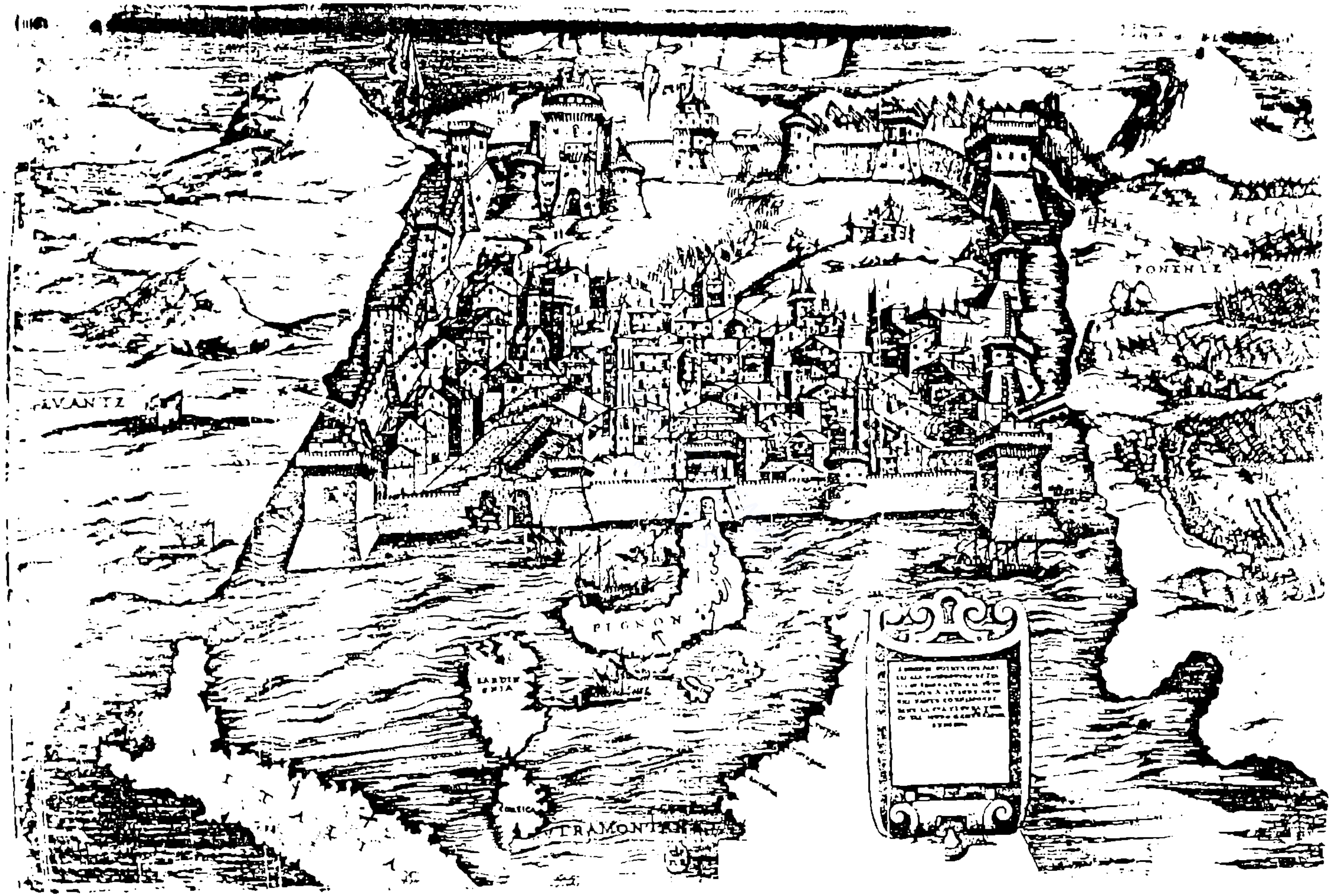
ففي هذا الجو إذن دعا الوفد البجائي الإخـوة الأربعة ، عروجا ، وخير الدين ، وإلياس ، وإسحاق ، إلى الجزائر لإنقاذها من البطش الصليبي . وكان هؤلاء الإخوة الأربعة قد أطبقت شهرتهم الآفاق ، وإن لم يهتم بهم أحد من الأمراء ، لا أميرا بجاية ، من حيث جاء الوفد ، وهما في تطاحن على عرش زال وانتهى ، ولا غيرهما من الأمراء المؤنثين المخنثين في بلدان المغرب ، كما قال ابن خلدون قبل ذلك عن أواخر المرابطين . فكان على الشعب إذن أن يأخذ مقاليد أموره بيديه ، ويقرر

مصيره بنفسه ، وهكذا كان ! وجاء الإخوة الأربعة إلى بجاية حيث جرح عروج، واستشهد محمد إلياس في مصارعة الإسبان. وظل الثلاثة الباقون مدة في جيجل يناوشون الإسبان في بجاية، ويعدون أنفسهم لحملة كبيرة يجهزون بها عليهم إجهازا واحدا نهائيا؛ وفي الوقت نفسه ينقذون عشرات الآلاف من الأندلسيين المنتظرين على الثغور ، إلى الجزائر ، ومن هنا حي الثغريين عندنا ، «Les Tagarins» ، بالنسبة لمن قصدوا منهم العاصمة ، واستقروا فيها ، وسكنوا في ذلك الحي ، حي وزارة الدفاع الوطني ، والفندق الأوراسي ، والمكتبة الوطنية اليوم ، أو ميدان فرانتز فانون ، كما يسمى اليوم ...

ثم جاء خير الدين وعروج وإسحاق سنة 1516 م إلى العاصمة، بطلب من وفد منها من الثعالبة ، الذين كانوا يحكمون ، برئاسة سليم التومي ، ما لم يكن الإسبان قد احتلوه بعد منها .

وقاد الإخوة الثلاثة مقاومة سكان العاصمة للإسبان المعتصمين في «البنيون» (42) ، أي الصخرة ، إلى أن أخرجوهم منها ، وبعثوا ما سموه دولة الجزائريين « l'Etat des Algériens » سنة 1516 م . وامتدت مقاومتهم للإسبان ، وللخونة السائرين في ركابهم ، والمتعاونين معهم ، بطريقة أو أخرى ، في عدة جهات من البلاد ، إلى أن استشهد إسحاق في قلعة بني راشد ، ثم استشهد عروج سنة 1518 م ، « مثل الأسد » ، في الوادي المالح (Rio Salado) ، أو في بني يزناسن . ولم يبق من الإخوة الأربعة إلا خير الدين، الذي قضى على رؤساء الطويفات ــ وكانوا حوالى العشرين ! ــ ، ووطد أركان الدولة الواحدة الموحدة ، التي كان لها شان وأي شان ! أو ، كما قال شارل أندري جوليان ، : « التي غيرت مجرى التاريخ الإفريقي » !

(42) انظر الشكل رقم : 14 .



الشكل رقم : (14) البنيـون

رد الغارات الأوروبية والأمريكية

ولقد شنت الدول الأوروبية ـ ثم أمريكا فيما بعد ـ حملات متواصلة وغارات صليبية متوالية على الجزائر ، ابتداء من الغارة على المرسى الكبير يوم 23 أكتوبر 1505 م، حتى غارة 27 جوان 1827 م ، التى انتهت إلى الاحتلال الفرنسى للعاصمة يوم 05 يوليو 1830 م . وتكفى نظرة خاطفة على قائمتها ، التى تعطى فكرة فقط ، وليست مستقصية ، ليتصور الإنسان مدى ذلك الحقد الصليبى ، وذلك الحنق المتكالب من جميع الدول الأوروبية ، ثم من أمريكا نفسها ، بجميع مذاهب تلك الدول فى إطار النصرانية ، من كاثوليكية ، وبروتستانية ، وأرثودوكسية ، وما أكثرن ما كانت تتعاون علينا ـ بدفع من البابا ـ رغم ذلك الاختلاف فى المذاهب ، والتنازع فى المصالح والمشارب ، ولم يكن يجمعها إلا الحقد المشترك على الدولة العثمانية ، والدول المغاربية ، وفى الدرجة الأولى على الجزائر وعلى الجزائر بالذات !

وقد سبق لنا (43) أن ذكرنا عددا من تلك الغارات التى كانوا يشنونها على الجزائر ، والتى كانت تعود عليهم فى أغلب الحالات بالوبال : وهو فقدان سفنهم غنائم للجزائر ، ودفع ضرائب مرهقة ! ويكفى أن نقول هنا إن فرنسا شنت علينا فى وقت لويس الرابع عشر وحده عشر غارات ؛ واسبانيا عشر غارات ؛ وبريطانيا سبع غارات ، منها اثنتان قادهما الأميرال نيلسون Nelson سنتى 1802 و 1804 م ، ورجع منهما مهزوما مدحورا ، وهو الذى حطم الأسطول الفرنسى الذى أرسله نابليون بونابارت ضد الأسطولين: البريطانى ، تحت قيادة

(43) إنية واصالة ، ص : 288 ـ 292 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1975 م .

الأميرال نيلسون هذا ، والإسباني ، في معركة الطرف الأغر (Trafalgar) في الأندلس سنة 1804 م .

وإن رد تلك الغارات العديدة والحملات المتتالية من عدة دول أوروبية ، ثم من أمريكا ؛ ودحر جميع تلك المغامرات الإجرامية التي كانت تشنها علينا دول كبرى في ذلك الوقت ، ومجموعات متحالفة من الدول بوحي من البابا ، ذلك وحده يعتبر عملا جليلا أثار إعجاب العالم وغيرة الكثيرين ، وبوأ الجزائر مقعدا في الصف الأول من المنصة العالمية ، كدولة ذات شخصية بارزة، وصوت مدو مسموع ، وجناب مهيب مخوف ، ولئن لم يكن محبوبا ، فقد كان محترما ، وأيضا مخوفا . وما كان ليكون محبوبا ، في عصر الصليبيات ، خاصة أن أغلب بل جميع الذين كتبوا عنا منهم في تلك الفترة كانوا من الأسرى والقساوسة ، حتى لو كانوا كتابا ومؤرخين كبارا ، مثل هايدو Haëdo، ومرمول Marmol ، وثرفانتيس Cervantes . من اسبانيا ؛ ورينيار Règnard من فرنسا ، وغيرهم ؛ أو من القناصل ومن الجواسيس من مختلف الجنسيات .

ومن هنا نراهم ، في الأغلب ، ناقمين على تدخل الإخوة بربروس في الميدان ، عندنا ، ويتحسرون على الفرصة التي ضاعت على أوروبا ، والعالم النصراني عموما ، بانتصار الجزائر ، بقيادة حسن آغا ، على شارل الخامس ، أمبراطور ألمانيا ، وملك اسبانيا ، وصقلية وجزء كبير من إيطاليا وفرنسا، وأمريكا اللاتينية ـ عدا البرازيل ـ ، وأمير الأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولاندا) ، في غارته على الجزائر يوم 20 أكتوبر 1541 م ، التي جند فيها أوروبا بكاملها ، خاصة أنه كان قد توج من البابا ثم إنه الحفيد المباشر لفرناندو وإيسابيل ، اللذين تسلما مفتاح غرناطة ، وعاثا في مسلمي الأندلس فسادا ،

بمحاكم التنصير بالقوة ، من تعذيب ، وإحراق ، وطرد ، ولم تسلم حتى خزائن التراث العلمي من ذلك الإحراق ، بوحى من الملكين المذكورين ، وبالإشراف الفعلى من الكردينال الشنيع فرانثيسكو خيمينيث دى ثيسنروس (44) ، الذى ذكرناه آنفا والذى قاد الحملة فيما بعد هو وبيدرو نافارو Pedro Navarro على المرسى الكبير يوم 23 أكتوبر 1505 م ، وامتدا فى حملتهما حتى طرابلس ، كما ذكرنا ، ثم امتد النفوذ الإسبانى حتى الفليبين ، والبرتغالى حتى غوا Goa فى الهند !

ومن هنا نرى الكتاب الأوروبيين والأمريكان حانقين ناقمين على الدولة الجزائرية ، التى قهرت أمريكا مدة نصف قرن ، أى منذ استقلالها عن بريطانيا سنة 1776 م ، حتى الغزو الفرنسى للجزائر ، كما قهرت أوروبا طيلة ثلاثة قرون كاملة ، وردت حملاتها وغاراتها ، ثم غزتها فى عقر دارها ، وحطمت شوكتها، وفرضت عليها الضرائب ، بعد أن حرمتها من تحقيق حلمها فى أخذ الثأر من انتصار صلاح الدين عليها فى القدس الشريف وحطين !

ومع ذلك نرى حقائق تبرز من خلال كتاباتهم وكتابات من استوحوها ، ونقلوا عنها ، وانطبعوا بها ، وهى حقائق يشرف أصحابها الاعتراف بها ، وإقرارها ، وتسجيلها ، ولو كانت فى شكل بصيص من نور ينفذ من خلال ضباب كثيف ، ولو كانت بغير قصد ونية، وإنما يحس الإنسان بأنها انفلتت منهم انفلاتا، بغير رضاهم ، إلا من قل وندر . ونحن نعترف لأهل الموضوعية بموضوعيتهم ، وبالفضل لذويه ـ وهذا ريثما تستعاد وثائقنا

(44) انظر الشكل رقم : 15 .
(45) انظر الشكل رقم : 16 .



الكردينال فرانشيسكو خيمينيث دى ثيسنيروس فى وهران

الشكل رقم : (15)



PIETRO NAVARRO

بيتـرو نافـارو

الشكل رقم : (16)

من فرنسا وغيرها ، وتستثمر كلها ، بالمنهجية العلمية ، نعم ، ولكن أيضا بالروح الوطنية !

دور البحرية الجزائرية

بقي لنا عنصر واحد في هذا التمهيد ، لا يفهم بدونه مدى تلك الشخصية القوية البارزة ، وتلك الهيبة المهيمنة ، وذلك الوجود الدولي المتميز ، مما كانت تتمتع به الجزائر : إنها البحرية ، التي يجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكان على أنها كانت منظمة أحسن تنظيم ، زيادة على شجاعة أهلها . وكانت الجزائر تستعمل تفوقها البحري بدافع الوعي بمسئولياتها الدولية عن الأمن والسلم في البحر الذي كان بحرها ، بل وفي البحار ، من البرتغال حتى إيسلاندا (Island) . ولم يحدث لها أن ناصرت قويا على ضعيف ، كما تفعل الدول اليوم . ولكنها كانت تصارع الدول الكبرى ، وتفرض عليها معاهدات السلم ، وضرائب باهضة ، كما سنراه . وسنستعرض المعاهدات التي وجدناها من التي عقدتها جمهورية الجزائر مع أمريكا وأغلب دول أوروبا . نعم ! جمهورية الجزائر ! هكذا كانت تسمى رسميا في كثير من المعاهدات ! وهذا منذ بداية القرن الثامن عشر ، أي قبل الثورة الفرنسية الأولى بما يقرب من قرن ! فهكذا كانت تسمى نفسها في مراسلاتها مع الدول ، وهكذا يسميها أغلب المؤرخين ، فضلا عن نصوص المعاهدات مع أغلب أطرافها . (46)

وسنستعرض بعض تلك المعاهدات في سياقها من العلاقات بين جمهورية الجزائر وتلك البلدان ، منذ المعاهدة الأولى مع فرنسا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي .

---

(46) انظر فيما بعد عند ذكر المعاهدات وايضا في مراسلات الدايات :
E. Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, 1579-1833.

نتذكر أن مؤسسى الدولة الجزائرية الحديثة ، عروجا وخير الدين ، بحاران من الدرجة الأولى ، وسنرى أن الثانى منهما قاد حتى البحرية الفرنسية نفسها ، بطلب من فرانسوة الأول ، ملك فرنسا ، تنفيذا لمعاهدة عقدت سنة 1534 ، كما أصبح فيما بعد أمير البحر ، أو كابودان باشا ، لمجموع الخلافة العثمانية ، تماما مثلما توج البابا ، تحت سلطته الدينية المعنوية ، شارل الخامس (Charles-Quint) ملكا أو أمبرطورا للنصرانية كلها ... تقريبا .

ثم إن الجزائر كانت قد غزتها اسبانيا سنة 1505 من البحر . فنظرا لهذا ، ونظرا لشواطئنا الطويلة ، ونظرا لواقع البحر الأبيض المتوسط وجميع البحار ، التى كانت تغص بسفن القراصنة من جميع الجنسيات ، نظرا لكل هذا فقد كانت بحريتنا منذ البدء فى المستوى ، وكان أسطولنا يليق بالمقام ، للرد والدفاع ، وإن اقتضى الأمر لغير ذلك أيضا ، وكان الأمر كذلك أحيانا ، وأحيانا كثيرة !

واكتفى بأن أورد هنا بضع جمل مما كتبه بعض المؤرخين الأوروبيين عن البحرية الجزائرية ، وهى تغنى عن كل شرح وتعليق . ولقد اخترتها بحيث يرد بعضها على الأخرى ، ويكمل بعضها بعضا ، وترد فى جملتها على بعض الجزائريين أيضا ... مع الأسف الشديد ، وعلى بعض غربان المشرق المسكين !

يقول المؤرخ الفرنسى دوغرامون :

« لقد اخذت جرأة الرياس الجزائريين (جمع رايس ، قائد البحرية) تتطور وتزداد باطراد . وهكذا حجزوا على عباب المحيط الأطلسى السفن الأسبانية ، المسلحة تسليحا ثقيلا والمحملة بالذهب والفضة والبضائع الفاخرة ، وهى راجعة من

أمريكا اللاتينية ؛ كما فاجأوا أكثر من مرة سكان شواطىء خليج غسكونيا ، وسواحل بحر المنش ، وبحار انكلترا . فمن ضفاف ماديرا على الأطلسي إلى صخور الجليد في إيسلاندا (Island) ما كان أحد يستطيع أن ينجو من ملاحقاتهم » . (47)

ويقول مؤرخ فرنسي آخر ، هانري غارو :

« ان القرصنة الإسلامية (ــ ونحن نسميها جهاد البحر ــ) ، المنظمة في البدء كدفاع مشروع للرد على الفرسان النصارى ، الذين ظلوا يتصرفون تصرفات الحروب الصليبية ، قد تحولت في مملكة الجزائر إلى مؤسسة دائمة ، وريعها يصب في ميزانية الـدولة .

« فزيادة على مصانع السفن في بجاية ، وشرشال، وغيرهما ، فلقد كان في العاصمة خاصة مصنعان : في باب الوادي للسفن الكبيرة ، وفي باب عزون للصغيرة » .

ثم يستطرد ويضيف :

« وهاكم بضعة أسماء لأهم الوحدات المعروفة : «البرتغالية»، غنمت عـن البرتغاليين ، وأصبحت المركب المفضـل للرايس حميدو الشهير ، و « ديك البـرج » ، و « انتصار الإسلام » ، و « العناية الإلهية »،و « رعب البحار » ، و « مفتاح الجهاد » ، و « الإسكندر الفاضل » . وهاتان الأخيرتان همـا الوحيدتان اللتان نجتا من كارثة نافاران ، ولحقتا بالإسكندرية ، وبذلك نجتا أيضا من المصادرة يوم 5 يوليو 1830 » .

---

(47) H.-D. de Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque, p. 129.

ويضيـف :

« لقد، كان من النادر أن يحرز النصارى نصرا كبيرا عليهم . وذلك أنهم بمراكبهم السريعة المنخفضة ، التى تخفى عن الأنظار فى البحر ، كانوا يطفون فجأة ، ويختفون عند اللزوم بنفس المفاجأة والسرعة اللتين يبرزان بهما للعيان .

« وبذلك كانوا أعداء يصعب تحاشيهم ، ويكاد يكون من المستحيل اللحاق بهم .

« ولم يكونوا يتعرضون للسفن النصرانية فقط التى كانت تمخر عباب البحر جماعات ، وتكون أساطيل صغيرة ؛ بل كانوا أيضا ينزلون فى أماكن ضعيفة التحصين على السواحل الأوروبية ويتوغلون فى داخل البلاد ، ينهبون الأرياف ، ويهاجمون حتى قصور النبلاء ، بل وحتى المدن التى تبدو لهم ضعيفة الحراسة .

« وحيث ان الفلاحين على الشواطىء الأوروبية لم يعودوا يفلحون أراضيهم الا وهم مرتعدون ، فقد أصبحوا يعيشون فى قلق دائم ، يتوجسون خيفة من ظهور القراصنة البربريسكيين .

« فمن البحر الأبيض المتوسط ، الذى كان فى الأول هدفهم الرئيسى ، انطلق رياس البحر وارتفعوا إلى المحيط الأطلسى ، بمجرد أن تبنوا استعمال السفن المستديرة . فلم يتركوا لا طريق الهند ، ولا طريق أمريكا ، معكرين سير تجارة جميع الامم .

« وفى سنة 1616 نجد مراد رايس ينهب شواطىء إيسلاندا (Island) ، ويرجع منها إلى الجزائر بأربعمائة أسير . وفى سنة 1619 اكتسحوا الجزيرة البرتغالية ماديرا على المحيط الأطلسى . وفى سنة 1631 عاثوا فسادا فى شواطىء انكلترا ،

وأغلقوا مدخل بحر المانش ، وأخذوا أسرى من بحر الشمال » . (48)

ويقول مؤرخ فرنسى آخر :

« لقد ظل الهولانديون ، والأنكليز ، والبندقيون ، والجنويون، والنابليون ، وفرسان مالطة ، طوال القرن السابع عشر . يشنون حروبا على الجزائر ، ولكنها دحرتهم جميعا بفضل تفوق بحريتها المنظمة تنظيما يستحق الإعجاب » . (49)

ويضم المؤرخ الألمانى يورى سيميونوف صوته إلى هؤلاء فيقول :

« ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين ، بل جميع الأمم ، بدون أى استثناء ، كافحت هذا **الوباء البحرى :** كافحه الأنكليز ، والهولانديون ، والإسبان ، والجنويون ، والنابليون ، ولكن كفاحهم ظل بدون جدوى .

« وخلال القرن السابع عشر قنبل الأنكليز الجزائر ثلاث مرات : فى سنوات 1622 ، و 1655 ، و 1672 ؛ والفرنسيون قنبلوها خمس مرات : 1661 ، و 1665 ، و 1682 ، و 1685 ، و 1688. ولكن كل شىء بقى على ما كان عليه » . (50) .

على أن هذا الأسطول الجزائرى ، الذى يستحق الإعجاب ، كما يقول كاط Cat ، لم يقصر خدمته على الدفاع عن الجزائر وحماية شطوطها . فحتى عندما يصل إلى بحر إيسلاندا ، فى أقصى اسكندنافيا ، أو شطوط أنكلترا ، أو بحر الشمال ، والمانش ، والمحيط الأطلسى ، فضلا عن البحر الأبيض المتوسط ،

(48) Henri Garrot : Histoire générale de l'Algérie, p. 380-384.
(49) E. Cat : Histoire d'Algérie, p. 292.
(50) Juri Semjonow : Glanz und Elend des franzoesischen Kolonialreiches, p. 200.

الـذى كان بحيرته ، كان يدافع عن السلم والأمـن الدوليين ، ويحطم شوكة القرصنة الأوروبية . وكان لـه أيضا دوره فى مساندة الدولة العثمانية التى تكالبت عليها أوروبا كلها !

ففى أربع مرات على الأقل نهض أسطولنا بدور بارز فى هذا المضمار ، تعزيزا للأسطول العثمانى : فى معركة ليبانت Lépante فى اليونان : يـوم 09 أكتوبر 1571 م ، « حيث قـام الأسطول الجزائرى بدور لا مع (« un rôle brillant ») ، مشرف (honorable») ، وإن أبيـد الأسطول العثمانى (51) أمام أساطيـل البندقية ، والبابا بيوس الخامس ، وانكلترا ، وإيطاليا ، واسبانيا » ! ثم فى الحرب الروسية العثمانية سنة 1787 ؛ ثم فى معركة الدولة العثمانية لطرد نابليون من مصر . (52)

وأخيرا فى معركة نافاران ، يـوم 20 أكتوبر 1827 ، ضـد الحلف الثلاثى الروسى الفرنسى الأنكليزى ، التى كانت الكارثة حيث أبيد الأسطول العثمانى ، ولم ينج من الأسطول الجزائرى فى النهاية أكثر من وحدتين ، مما كان له أسوأ الأثر فيما بعد ، كما نعلم . وقد وقف الأسطول الجزائرى فى الأخير وحـده فى نافاران ، أمام أساطيل روسيا ، وأنكلترا ، وفرنسا ، اذ لم يكن هناك للأسطول العثمانى من دور كبير ، وقد بلغ الشيخوخة . ولكل شيء إذا ما تـم نقصان ، كما يقول أبو الطيب بن شريف الرندى !

وقـد يقول قائل ــ وقالها لي ، فعلا ، أكثر مـن واحد مـن عندنا ! ــ : « جميل كل هذا الذى قامت به البحرية الجزائرية ،

(51) Henri Garrot : ibid (م - ن) p. 434.
(52) William Spencer : Algiers in the age of the corsairs, p. 165.
هذا الأخير من الترجمة العربية للدكتور عبد القادر زبادية : « الجزائر فى عهد رياس البحر » وسنستقى منه مرارا .

حقـا ! ولكن ماذا عـن دورها فى القرصنة ؟ ألـم تكن دولـة قراصنة ؟ » ! (تبعية لمن تعلمون !)

وهنا أذكر الببغاءات بما سبق أن أوردته ، نقلا عن المؤرخ الفرنسى دى قرامون ، عن منشإ ما يسمونه « القرصنة » ، وما نسميه نحن الجهاد البحرى ، فيما يخصنا . وأود أن أضيف الى ذلك فقرتين اثنتين قصيرتين جـدا لمؤرخين فرنسيين آخرين ، أحدهما إدوار كـاط ، الذى كتب فى هذا السياق : « وكـان الهولانديون ، والأنكليز ، وأنـاس مـن جميع الدول ، أكثر شراهة ووحشية فى قرصنتهم من الجزائريين ، بحيث أصبـح البحر الأبيض المتوسط بؤرة لقطاع البحر . » (53)

والآخر هو شارل أندرى جوليان ، الذى كتب :

« اذا كانت حياة الأسرى الأوروبيين المستعملين فى تجديف السفن تثير أكبر شفقة ، فقد كانوا أسعد حظا بكثير من الأسرى البربريسكيين (من بلدان المغرب) الذين كانوا مستعملين فى تجديف سفن ملك فرنسا والذين كانوا يوسمون بالحديد المحمى ويمنعون من ممارسة شعائر دينهم . » (54)

بل اننا نجد أن القرصنة فى فرنسا لم تكن حكرا على عهـد الملكية وحـده . فحتى الثـورة الفرنسية كانت لهـا قرصنتها المسلحة ، كما يدل عـلى ذلك مرسوم مـن حكومتها التنفيذية (الدريكتوار) ضد دول الجزائر ، وتونس ، وطرابلس ، بتاريخ 27 من الشهر الممطر من العـام السابع للجمهورية الفرنسية ، الموافق لـ 15 فيفرى 1799 ، يذكر فيه بالنص الواضح « ضرورة تسليح القراصنة الفرنسيين »
« De la nécessité d'armer les corsaires français »

(53) E. Cat : ibid, p. 292.
(54) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 163-164.

وهو مرسوم نشر فى جملة وثائق الثورة الفرنسية مع المعاهدات الدولية . (55)

ونظرا للمسئولية الدولية الملقاة على عاتق الجزائر بحكم موقعها ، وكونها عرضة وهدفا لغارات متتالية ، فقد أصبحت ذات السلطة ، بل هى الحكم ، فى البحار ، مما يتطلب منها تكاليف ، وبالتالى يستلزم فرض ضريبة على الدول التى تمخر عباب البحر ، الذى تطل عليه الجزائر بشاطىء طويل عريض ، لضمان أمن سفن هذه الدول ، وضمان أمنها ، هى بالذات ، من هذه السفن . ولم تكن تطلب المال بالضرورة ، بل كانت تفضل دوما العتاد ، بل تشترط العتاد ، وترفض المال ، خاصة مع أمريكا ، كما سنرى ، ولم تكن متهالكة على الدولار ، كما قال الداى محمد بن عثمان للأمريكان : « لا احتاج إلى الدولار . » !

ونورد هنا أربعة نصوص لأربعة مؤرخين كلها متقاربة من حيث المضمون :

1) يقول دى غرامون فى الصفحة الأولى من مقدمة كتابه الضخم ، قبل أن يدخل فى الموضوع ، :

« لقد ظلت الجزائر طيلة ثلاثة قرون رعب النصرانية وكارثتها . فلم تنج واحدة من المجموعات الأوروبية من البحارة الجزائريين الجريئين ، بل وأخضعت الجزائر ، زيادة على ذلك ، لمهانة الضريبة السنوية ثلاثة أرباع أوروبا ، بل وحتى الولايات المتحدة الأمريكية . » (56)

2) ويقول غارو :

(55) De Martens : Recueil des principaux traités : Textes de la Révolution française, p. 443-447 (Goettingen (R.F.A.) 1817).
(56) De Grammont : ibid, p. 1.

« لقد كانت الدول البحرية النصرانية ، التى أعلنت عليها الجزائر ، بصفتها « شارع الجهاد «« le boulevard du djihad » ، الحرب الدائمة ، تظن نفسها ملزمة باشتراء الهدنة من حين إلى آخر وبصفة متقطعة من عند الجزائريين .

« وهكذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ، وهولاندا ، والبرتغال ، ونابولي ، والسويد ، والنرويج ، والدانمارك ، تدفع للجزائر الضريبة كل سنتين . بل إن السويد ، والدانمارك والنرويج كانت تزود الجزائر ، بدون مقابل ، زيادة عن الضريبة ، بالأسلحة ، والأسلاك ، والأعمدة ، وحدائد الإرسال، والبارود ، والقنابل .

« أما فرنسا ، وانكلترا ، واسبانيا ، والدول الإيطالية : سردينيا ، وطوسكانا ، والبندقية ، فقد كانت تقدم ، نقدا أو عتادا، هدايا كل سنتين، وهو نفس الشيء («ce qui revient au même»).

« أما الدول الألمانية : هانوفر ، وهامبورغ ، وبريمن ، فقد كانت تقدم العتاد البحرى والحربى . هذا كله فضلا عما تقدمه جميع أصناف هذه الدول من هدايا لدى عقد معاهدات ، وتغيير قناصل ، وغيرها من المناسبات .

« والدولتان الوحيدتان اللتان لم تكونا تدفعان ، هما النمسا وروسيا ، نظرا لجوارهما للباب العالى ، ولكن ذلك جر عليهما شرا مستطيرا :

« فقد كان الأسرى النمسويون ، وخاصة الأسرى الروس ، بأعداد كبيرة فى سجون الجزائر » . (57)

3) ويقول غزافيي باردون :

(57) Henri Garrot : ibid, p. 385.

« وهكذا ، فلتضمن الأمن لأساطيلها التجارية ، قبلت جميع دول أوروبا بأداء ضرائب سنويــة ، غالبا مرهقة لهــا ، لتلك الحكومة القاسية الهائجة ، التى كانت دائما فى حالــة حــرب (يقصد الجزائر) .

« فــاذا كانت فرنسا ، بفضل علاقاتها القديمة مــع الباب العالى ، لم تفرض عليها تسعيرة خاصة ، فقد كانت تبعث ، مع ذلك ، بمناسبة إرسال كل قنصل جديد ، بهدايا ثمينة إلى الجزائر مع رسائل اعتماد القنصل حتى يحظى بالقبول ...

« وللسبب نفســه اضطــرت انكلتــرا المعتــدة بنفسهــــا (« la fière Angleterre ») إلى أن تضغط على كبريائها ، وتهين قوتها البحرية ، لتدفع لحكومة القراصنة فى الجزائر مبالغ طائلة .

« وهكذا كانت جميع الدول الكبرى فى أوروبا تتبع نفس القاعدة ، بل وحتى أمريكا .

« فلدى كل تعيين لقنصل جديد يجب على كل واحدة من تلك الحكومات أن تبعث مع ممثلها بهدايا ثمينة . هكذا كانت تفعل أيضــا الدول الألمانية مثــل هامبورغ ، وبريمن ، وهانوفر ، والدول الإيطالية كلها ، حتى روما نفسها ، واسبانيا ، والنمسا، وهولاندا . أما السويد ، والدانمارك ، والصقليتان ، والبرتغال، والولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كانت تدفع ، زيادة عن ذلك، ضريبة سنوية ضخمة لخزينة الجزائر . وهكذا كانت هذه الخزينة أغنى خزينة فى الكون » . « le plus riche trésor de l'univers ». (58) .

ونختتم هــذه النصوص عــن الضريبة بنص رابــع ولمؤرخ فرنسى آخر .

---

(58) Xavier Bardon : Histoire Nationale de l'Algérie, p. 117-118.

4) يقول دوبوى ، فى الصفحة الأولى ، من الفصل الأول ، بعد المقدمة ، من كتابه الضخم : «الأمريكان والبربروسيون» :

« وانكلترا ، رغم الخوف الذى كانت توحى به بحريتها ، لم تكن لتخرج عن الالتزام بهذه القاعدة العامة ، الخاصة بدفع الضرائب السنوية للجزائر .

« وإن قنبلة الأميرال اللورد إيكسموث لعاصمة الجزائر سنة 1816 لم تعفها تماما من دفع الضريبة السنوية للجزائر » . (59)

أولية ومآل العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية ، وأوروبا ، والولايات المتحدة الأمريكية

بعد أن عرضنا ظروف منشأ الدولة الجزائرية الحديثة سنة 1516 م ، وذكرنا بعض مظاهر قوتها ، وأشرنا ، بإيجاز ، إلى علاقاتها مع الخلافة العثمانية ، وأوروبا ، وأمريكا ، نحاول الآن أن نبين طبيعة تلك العلاقات مع الخلافة ، من جهة ، ومنشأ هذه العلاقات وطبيعتها ومآلها مع أوروبا وأمريكا ، متجسمة فى عديد معاهدات السلم والتعاون ، حينا ، وفى المؤامرات ، والمناورات ، والتكتلات ، بل والغارات ، والحروب ، فى أغلب الأحيان ، مبينين ، من خلال ذلك كله ، بعض مظاهر دور الجزائر الدولى ، وإشعاعها العالمى ، وشخصيتها البارزة ، ووجودها الكونى المتميز ، وهيبتها المهيمنة التى كان يحسب لها حسابها ؛ **ولكن أيضا بعض نقاط الضعف التى كانت سندا غير مقصود للأحقاد الأوروبية الصليبية** ، وللأطماع التوسعية الاستدمارية الفرنسية ، بصفة أخص ، منذ قرون طويلة ، التى انتهت إلى الغزو الفرنسى واحتلال عاصمتنا يوم 5 يوليو 1830 م ، بتشجيع

---

(59) E. Dupuy : Américains et Barbaresques, p. 1.

البابوية ، وباسم النصرانية ، في جـو من التحمس الأوروبي والأمريكي ، وتفرج باقـى العالم ، ومنه الإسلامى ، باستثناء احتجاج شكلي عابر من الخلافة العثمانية وبريطانيا ؛ من الأولى عن حمية وتضامن ، ومن الثانية عن غيرة وحسد .

وفي حدود هذه الدراسة الضيقة فلن نشمل العالم كلـه ، طبعا ، وإنما سنركز بالدرجة الأولى ــ بل وسنقصر حديثنا ــ على الدول التى كانت لنا معها وحدة المصير والاهتمامات ، أو علاقات طيبة حينا مع الحروب والاصطدامات .

العلاقات مع الخلافة العثمانية :

تتميز العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية بطابعين اثنين :

1) علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة التى بـدأت ــ كمـا سبق أن ذكرنا ــ بالمساعدة الرمزية التى تلقاها فى البدء عروج وإخوته ، وظلت تتكرر فى مناسبات متباعدة ، خاصة فى شكل العتاد ، ولكن أيضا بجنـود وضباط ... كان أغلب ــ وليس جميع ــ رؤساء الدولة الجزائرية وإطاراتها الرئيسية يبرزون من صفوفهم...

أما من جهتنا ، فقد كانت البحرية الجزائرية تساهم إلى حـد كبير فى إنقاذ البحرية العثمانية فى كـم من حرب بين الخلافة العثمانية وتكتلات أوروبية كبرى . ونكتفى هنا بذكر أمثلة قليلة ، ولكنها تـرمز لحالـة دائمة كانت تتكرر آليـا بدافع التضامن فى الجهاد ، لا كقوتين متضامنتين ، بل كوحدة متراصة أمام كتلة أخرى كانت دائما هى البادئة بالعدوان ، وهى أوروبا فى مجموعها ككتلة نصرانية ، يوحدها البابا بإعلانه كل مـرة حربا « صليبية » جديدة (crusada) ، لجمع المال ، والأسلحة ، والعتـاد ، والمـواد الغذائية ، وتجهيز الجيوش ضد « الكفار »

(les infidèles) ، أى المسلمين ، وتتعاون المذاهب النصرانية خصيصا لهذه الأهداف ، وهى التى تتصارع فى الظروف العادية ، ويكفر بعضها الأخرى ...

وهكذا كان الأمر مثلا فى معركة ليبانت البحرية يوم 9 أكتوبر سنة 1571 م ، ضد « الحلف المقدس » (« la sainte Alliance »)، المتكون من البابوية ، واسبانيا ، والبندقية ، (Venise) ، حيث كان للأسطول الجزائرى ، كما سبق أن ذكرنا فى الفصل عن البحرية الجزائرية ، دور بارز ؛ وفى الحرب الروسية العثمانية، سنة 1787 ، حيث « كانت للأسطول الجزائرى مساهمة بطولية » (60) ؛ كما كان له « دور نشيط ، الى جانب الأسطول العثمانى ، لطرد نابليون من مصر » (61) ؛ ثم أخيرا ، وليس آخرا ، فى معركة نافاران البحرية يوم 20 أكتوبر سنة 1827 ، حيث صارع فى الأخير ، وحده فى الميدان ، بعد أن أبيد الأسطول العثمانى ، ضد أساطيل « الحلف الثلاثى » (la triple alliance) الروسى ـ الفرنسى ـ الأنكليزى ، مما كانت له نواجمه فيما بعد كما نعلم ، ولكل شىء إذا ما تم نقصان !

2) والطابع الثانى الذى كانت تتميز به العلاقات الجزائرية العثمانية هو استقلالية الجزائر استقلالا تاما وسيادتها سيادة كاملة :

ومن هنا نرى الجمهورية الجزائرية (وهذا كان اسمها الرسمى فى غالب نصوص المعاهدات وفى المراسلات بينها والدول الأخرى ، ومنها مثلا مع لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا) تلقى ببحريتها فى المعمعة كلما تعرضت الخلافة العثمانية لحرب ضد التكتلات الأوروبية النصرانية ، أى أن

---

(60) E. Cat : ibid, p. 326-328 et de Grammont : ibid, p. 386.

(61) سبنسر : نفس المرجع ، ص 165 .

الجزائر كانت تتصرف كجزء من الخلافة العثمانية ، أى كجزء لا يتجزأ من كل شامل ، **في ظروف الشدة . ولكنها في الظروف العادية** تتعامل حتى مع الخلافة العثمانية ـ فضلا عن الدول الأخرى ـ بكل استقلالية وسيادة ، وتحرص بكل صرامة على فرض احترام هذا الاستقلال التام وهذه السيادة الكاملة بكل حزم وعزم ، وبكل شدة وحدة .

وهكذا فبينما كانت بعض الدول الشقيقة إذ ذاك (كالعراق، ومصر ، وليبيا ، وغيرها) لا تستطيع عقد أية معاهدة إلا برخصة كتابية من الباب العالى ، وتمضى المعاهدة باسم الخليفة العثمانى، كانت الجزائر تعلن الحرب ، وتعقد السلم ، وتجرى المفاوضات ، وتمضى المعاهدات ، باسمها وباسمها لا غير ، بدون أية رخصة من أحد ، ولا سلطات مطلقة من أحد ، ولا حتى استشارة أحد ، بل باسمها فقط بعنوان جمهورية الجزائر حينا ، ومملكة الجزائر حينا آخر ، وهذا بالنسبة لجميع المعاهدات التى عقدتها الجزائر مع أوروبا وأمريكا ، بدون استثناء واحد ، من المعاهدة الثلاثية بين خير الدين ، باسم دولة الجزائريين ، والخليفة العثمانى سليمان القانونى ، والملك الفرنسى فرانسوة الأول ، فى شاتيلرو سنة 1534 م،حتى آخر معاهدة بين الجزائر وانكلترا سنة 1824 م ، والوثيقة المشئومة بين الداى حسين والجنرال دى بورمون صبيحة يوم 05 يوليو 1830 !

ولنذكر هنا بضع شهادات رمزية فقط من مؤرخين أوروبيين عن تلك الجزئية الاسمية فقط من الخلافة العثمانية ، وعن تمام استقلالية الجزائر وكمال سيادتها :

يقول المؤرخ الفرنسى دى غرامون :

« لقد كان الديوان (أى حكومة الجزائر) يتخذ القرارات بكل سيادة : فيعلن الحرب ، ويعقد السلم ، ويمضى معاهدات ،

ويقيم أحلافا ، بدون أن يتساءل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو غير موافقة لسياسة الباب العالى » . (62)

ويقول المؤرخ الألماني سميونوف :

« إن دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا وراثيين ، بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية لم يبق لها قبل آخر عهدها إلا مجرد علاقة اسمية باسطنبول » . (63)

ويقول المؤرخ الفرنسى كاط :

« طوال القرن السابع عشر كانت الجزائر منهمكة فى حروب ضد دول كبرى : فرنسا ، اسبانيا ، بريطانيا ...

« أما علاقاتها مع الباب العالى فتكاد تكون منعدمة » . (64)

ويقول المؤرخ الفرنسى غارو :

« إن تبعية البلدان المغربية للخلافة العثمانية مجرد تبعية اسمية » . (65)

ويقول المؤرخ الأمريكي سبنسر :

« إن الاعتماد المتبادل بين الباب العالى ورؤساء الدولة الجزائريين ربما يصوره بوضوح أكثر التدعيم الذى يعطيه كل منهما الآخر فى ظروف الشدة » . (66)

---

(62) De Grammont : ibid, p. 126.
(63) J. Semjonow : ibid, p. 201.
(64) E. Cat : ibid, p. 301.
(65) H. Garrot : ibid, p. 659.
(66) W. Spencer : Algiers in the age of the corsairs : Norman (U.S.A.) 1976.
ص : 156 ـ 165 من ترجمة الدكتور عبد القادر زبادية بعنوان : « الجزائر فى عهد رياس البحر » ، نشر ش.و.ن.ت . الجزائر 1980 م .

ويقول المؤرخ الأمريكي إروين :

« إن طاعة الباب العالي ليست إلا اسمية في الجزائر » . (67)

بل وإننا لنجد دايات الجزائر يرفضون عديد المرات تدخلات وساطات الباب العالي ، أحيانا بأدب جم ، ولكن بحزم وجزم ، وأحيانا أخرى باستعمال كلمة « المستحيل » ، كما في هاتين الرسالتين من الداي عمر إلى الخليفة العثماني محمود الثاني : الأولى بتاريخ 5 جمادى الثانية 1230 هـ (16 ماي 1815) ، إذ يقول له فيها ، مما يقول :

« منذ ثلاثين سنة استحوذ قراصنتنا على باخرة روسية ، وقد طلبها محمد آغا ــ (من قصر الباب العالي وبأمر السلطان) ــ ، كما أن قراصنتنا قد استولوا على باخرة من جبل طارق ، ومحمد آغا يطالب بها أيضا .

« نعلم حضرة سلطاننا أنه **من المستحيل** علينا إرجاع ذلك » ! (68)

والثانية منه أيضا إلى نفس السلطان (محمود الثاني) بتاريخ 6 جمادى الثانية 1230 هـ (17 ماي 1815 م) يقول فيها :

« ان بواخر مدينة دوبروفنيك (يوغوسلافيا) قد اعترضت سفن القرصنة الفرنسية التي حاصرتها . وقد تمكن ثلاثة من بحارة دوبروفنيك من الهروب ليقعوا في أيدي الجزائريين الذين أوصلوهم إلى الجزائر ، لعدم وجود أوراق رسمية تثبت جنسيتهم .

---

(67) Ray W. Irwin : The Diplomatic Relations of the United States With the Barbary Powers (1776-1816) The Univ. of North Carolina (U.S.A.) 1937.
ص 22 من ترجمة اسماعيل العربي ، نشر ش.و.ن.ت . الجزائر 1978 م .

(68) و (69) ص : 247 و 248 من كتاب الدكتور عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (أو : المغاربي) 1816 ــ 1871 م ، نشر الدار التونسية للنشر 1972 م .

« لقد اتصلنا برسالتكم التى طلبتم فيها إطلاق سراح هؤلاء ، **غير أننا نعلمكم أنه يتعذر علينا القيام** بذلك لعدم وجود جوازات سفر معهم من جهة ، ومن جهة أخرى : إن هدفهم كان محاربتنا . » (69)

ويمضى الرسالة بكل فخر واعتزاز :

من داى الجزائر عمر بن محمد

بل وأكثر من هذا : فكم من مرة رد دايات الجزائر بعنف على مبعوثى الخلفاء العثمانيين ، بل وقنبلوا سفنهم عند مغادرة ميناء الجزائر ، عندما كانوا يأتون ليتوسطوا بينها ودول أوروبية ، ويلحون ، بل يلحفون لدى رؤساء جمهورية الجزائر، وهؤلاء رافضون ، وساخطون عليهم وعلى وساطاتهم وموسطيهم، ويعود مبعوثو الباب العالى إلى اسطنبول بيد فارغة وأخرى لا شىء فيها ... إلى الخلفاء ، وإلى سفراء اسبانيا هناك ، أو فرنسا ، أو بريطانيا ، أو النمسا ، أو روسيا ، أو أمريكا ، وهم ينتظرون على أحر من الجمر نتائج توسط الخلفاء لدى دايات الجزائر « الصلاب » ، الشداد ، ذوى الرؤوس « الغليظة » ، الذين طابعهم الإصرار والعناد ، والإسراع إلى الضغط على الزناد ، كما يقول عنهم أغلب المؤرخين الأوروبيين والأمريكان !

العلاقات مع الفاتيكان

إذا ما استثنينا الفترة القصيرة التى سادها الجو الودى أيام الناصر الحمادى والبابا غريغوار السابع ـ الذى كان إذ ذاك فى صراع مع عدة أمراء فى أوروبا ، وخاصة مع الأمبراطور الألمانى هانرى الرابع ـ وجدنا أن العلاقات بين الجزائر والبابوية لم تكن تتميز بالود والصفاء .

فلقد كانت مواقف البابوية من الجزائر سلسلة من المؤامرات والمناورات لإنشاء تكتلات أوروبية وشن حملات صليبية ضد الجزائر ، وبلدان المغرب عموما . بل ونجد أن البابوية لم تكن تكتفي بالتحريض على شن الحملات وتنظيم الغارات على الجزائر، إذ كانت تشارك عمليا بالجنود ، وبالسلاح ، والعتاد ، والمال ، في تلك الحملات .

وهذا منذ الحملة الصليبية الأولى التي دعت إليها البابوية ضد الجزائر بالذات والتي قادها ــ كما ذكرنا في بدء هذه الدراسة ــ الكردينال خيمنيث دي ثيسنيروس ، تنفيذا لوصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية ، جدة شارل الخامس (شارلكان) للأم سنة 1505 م ؛ إلى حملة شرلكان نفسه ، سنة 1541 ، على الجزائر العاصمة ؛ مرورا بعدة حملات أخرى منطلقة من اسبانيا ؛ حتى العدوان الفرنسي سنة 1830 ببدء الحصار لميناء الجزائر العاصمة يوم 27 يونيو 1827 ، الذي شجعت عليه البابوية فرنسا تشجيعا حثيثا ؛ فضلا عن تكتلات بل وغارات وحروب أوروبية أخرى على الجزائر ، كانت البابوية فيها إما مشاركة مباشرة ، أو على الأقل محرضة ومشجعة عليها .

وإن مجرد سرد أهم هذه التكتلات ، والغارات ، والحروب ، برؤوس عناوين فقط ، بدون ذكر أية تفاصيل ، لمما لا تفي به هذه العجالة (70) ، أو على الأقل مما سيخل بتوازنها ، لطول القائمة ، إذ امتازت سياسة البابوية في هذا المجال بطول النفس والاستمرارية !

نشأة العلاقات مع إيطاليا والمعاهدات معها

لقد سبق أن رأينا أن العلاقات على مستوى المراسلات مع دولة البابوية ــ ومقرها روما ــ نشأت في عهد الناصر الحمادي

(70) راجع المصادر السابقة الذكر .

والبابا غريغوار السابع فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، بالضبط سنة 1076 م .

أما مع الدول الإيطالية نفسها ـ وكانت كثيرة ! ـ فقد بدأت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، حيث كانت دول الجنويين (les Gênois) ، والبيشيين (les Pisans) تتنافس فيما بينها ومع دول القطلونيين (فى اسبانيا) وحكومة مرسيليا (فى فرنسا) على إقامة العلاقات مع الجزائر ، وخاصة مع موانى بجاية ، وعنابة ، ومرسى الدجاج ، ووهران . ومع إيطاليا بالذات كان من ثمرات هذه العلاقات ـ الى جانب التبادل التجارى الخصب ـ انتقال العلوم الرياضية الإسلامية والجبر والهندسة والأرقام العربية من بجاية الى إيطاليا فى القرن الثانى عشر الميلادى على يدى العلامة الرياضى الايطالى الشهير ليوناردو البيشى Leonardo Fibonacci، dit Léonard de Pise ، الذى كان تعلمها فى العاصمة الحمادية الثانية تحت رعاية أبيه ، الذى كان كاتب البعثة القنصلية والجالية التجارية البيشية فيها ؛ ثم قام بجمع تلك المعلومات كلها فى عدة كتب له ونشرها فى إيطاليا ، مما كان له أكبر دور على النهضة فيها ثم فى أوروبا . (71)

---

(71) انظر فى هذا مقال الدكتور بلحميسى المشار إليه آنفا ، وكتب التاريخ ، والحضارات ، والعلوم ، مثل المرجع الضخم الممتاز : Introduction to History of Arts Carnegie Foundation لجورج سارتون Georges Sarton ،
و « تاريخ العلوم عند العرب » لقدرى حافظ طوقان ،
و « تاريخ العلم فى الإسلام » The Islamic Science للدكتور حسين نصر ،
و « شمس الله تسطع على الغرب » : Allahs Sonne ueber dem Abendland ، للدكتورة سيغريد هونكه ،
وكتاب « محاولة دراسة مقارنة لتاريخ العلوم والفلسفة فى القرون الوسطى » لبيكافى Picavet :
« Esquisse d'étude comparée des sciences et philosophies médiévales » ،
ومختلف دوائر المعارف ، بل وحتى قواميس الأعلام ، مثل قاموس روبير لأسماء الأعلام :
Robert : Dictionnaire des noms propres.

وإلى جانب هــذه العلاقات العلميــة ، والثقافية عمــوما ، والتجارية ، أى العلاقات السلمية المثمرة ، قــامت فى عصور تالية علاقات أخرى أقل سلمية ، هى علاقات الغارات ، والتكتلات، والحروب بين الأساطيل الحربية لمختلف الدول الإيطالية ، خاصة بعــد أن انضمت إليها دولتــا البندقية (Venise) والصقليتين les deux Siciles (صقليا وجنوب إيطاليا ، مع نابولى كعاصمة لها) ـ من جهة ، وأسطول الدولة الجزائرية ، من جهة أخرى ، كانت تتخللها فترات سلــم ومعاهدات ، ومن هذه نذكر هنــا اثنتين :

1) معاهدة هدنة مع جمهورية البندقية سنة 1763 بين الداى بابا علي وفردينان الرابع .

2) معاهدة سلم بــين الداى عمر وملك الصقليتين فردينان الرابع فى 03 أفريل 1816 . (72)

على أن الطابع العام للعلاقات معها كان الحــرب الدائمة ، وآخرها كانت عام 1814 ، حيث انضمت فيه الدول الإيطالية إلى حلف سباعى يتكون منها ، ومن هولاندا ، واسبانيا ، وبروسيا ، (ألمانيا) ، والدانمارك ، وروسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية التى شنت كلها مجتمعة حربا بحرية على الجزائر . (73)

مــع البــرتغـــال

لا ننسى أن البرتغال ـ ويسمي الغرب (Algarve) فى تاريــخ الأندلس ـ (74) قــد ورث نفس الحساسيات الإسبانية ضـــد

(72) انظر الشكل رقم : 17 .

(73) Ray W. Irwin : ibid, p. 245.

(74) انظر مقدمة كتاب الملتقى العاشر للفكر الاسلامي ، لصاحب هذه الأسطر، ج 1 ، ص 7 ، أو : « أصالية أم انفصالية ؟ » له أيضا ، تحت عنــوان : « التمسك لا التنسك ! » ج 2 ، ص 127 .

1816

(Collezione delle Leggi e de' Decreti reali del Regno delle Due Sicilie, Anno 1816. Nro. 41. p. 259.)

In nome di Dio onnipotente.

Trattato di pace fra Sua Maestà il Re delle Due Sicilie e Sua Altezza Serenissima Omar Bashau, Dey e Governatore della città guerriera e regno di Algieri, fatto e conchiuso dall' onorevolissimo Edoardo barone Exmouth, cavaliere commendatore dell' onorevolissimo ordine militare del Bagno, ammiraglio della squadra Bleu di S. M. Brittannica, e comandante in capo i legni e vascelli della detta M. S. nel Mediterraneo, essendo debitamente autorizzato da S. M. il Re delle Due Sicilie.

Art. I. *Egli è col presente convenuto e conchiuso tra l' onorevolissimo Edoardo barone Exmouth e S. A. il Dey di Algieri, che fin da questo giorno vi sarà ferma ed inviolabile pace tra S. M. il Re delle Due Sicilie e S. A. il Dey di Algieri, ed i loro rispettivi sudditi e dominj; e che da ora in poi i legni delle due nazioni di qualsista rango potranno e sarà loro permesso di navigare liberamente dovunque loro piacerà, munendosi del passaporto di uso.*

Art. II. *Dal momento della sottoscrizione del presente trattato, un libero traffico commerciale sarà aperto fra le due nazioni sopra basi reciproche. Ma essendo necessario che tutti i legni i quali passano dalla costa di Barberìa a quella di Sicilia, debbano consumare la quarantena, saranno designati alcuni porti (dove si trovano de' lazzeretti stabiliti) per l'ammessione de' detti legni provegnenti da Algieri; ed è inoltre convenuto che un console generale di S. M. il Re delle Due Sicilie sarà ricevuto in Algieri sullo stesso piede, e trattato collo stesso rispetto come i consoli delle altre nazioni Europee per la direzione de' loro affari commerciali, e gli verrà accordato nella propria di lui casa il libero*

الشكل رقم : (17)

47

1816 Traité de Paix conclu entre le Roi des Deux-Siciles et le Dey d'Alger, signé à Alger le 3 Avril 1816.

3 Avr.

(Traduction privee.)

Au nom du Dieu tout puissant.

Traité de paix entre S. M. le Roi des Deux-Siciles et S. A. S. Omar Bashaw, Dey et Gouverneur de la ville forte et du royaume d'Alger, fait et conclu par l'honorable Eduard Baron Exmouth, Chevalier Grand-Croix de l'ordre militaire du Bain, amiral du pavillon bleu de la marine royale angloise et Commandant en chef de l'escadre de S. M. le Roi de la Grande-Brétagne dans la Méditerranée dûment autorisé par S. M. le Roi des Deux-Siciles.

Art. I. Il est convenu et arrêté entre l'honorable Edouard Baron Exmouth et S. A. le Dey d'Alger qu'à partir de ce jour il y aura paix et amitié ferme et durable entre S. M. le Roi des Deux-Siciles et S. A. le Dey d'Alger et leurs états et sujets respectifs; et qu'à compter de ce jour tous les vaisseaux et bâtiments de quelque rang qu'ils puissent être, pourront naviguer librement partout où il leur plaira, étant munis des passeports nécessaires à cet effet.

Art. II. Du moment de la signature du présent traité, un commerce libre entre les deux nations sera établi sur des bases jugées convenables. Mais comme il est nécessaire que tous les vaisseaux qui passent de la côte de Barbarie à celle de Sicile, subissent la quarantaine, on désignera quelques ports (où se trouvent établis des hopitaux) pour l'admission des susdits vaisseaux venant d'Alger.

Il est en outre convenu qu'un Consul général de S. M. le Roi des Deux-Siciles sera admis à Alger, sur le même pied et traité avec les mêmes égards que sont traités ceux des autres puissances de l'Europe pour régler les affaires de commerce; il lui sera ac-

. De Martens : ibid, Suppl. t. IX.

الجزائر ـ وبلدان المغرب كلهـا ـ ، وكـان طـرفا فى معاهدة توردیسیلیاس مـع اسبانيا بمباركة البابوية ضـد البلـدان المغربية ، ومنها الجزائر .

ولذا نجده دوما فى تيار المد الصليبى ضد الجزائر . ومـن هنـا كثرة مبادراته بحبك المناورات والمؤامرات ضد الجزائر ، ومساعيه لخلق تكتلات حربية ضدها ، ومنها ، مثلا ، سعيه سنة 1785 لإقناع الدول التى كانت فى حالـة حرب ضـد الجـزائر بضرورة تشكيل حلف بينها ضد دول المغرب كلها ، وفى الدرجة الأولى : ضد الجزائر . وكان من المرحبين بذلك والأكثر تحمسا لـه الجنرال الفرنسى لافاييت La Fayette (75) ، الـذى (76) شارك فى حرب الاستقلال الامريكية وفى ثورتى 1789 و 1830 الفرنسيتين ؛ ثم لدى كل من بريطانيا واسبانيا فى أبريل 1791 لعقد تحالف ثلاثى برتغالى بريطانى اسبانى بقصد أن يفرض على داى الجزائر عقد معاهدة سلم دائمة معه ، حسبما صرح به وزير خارجية البرتغال ، سوزا ، فى لشبونة للقنصل الأمريكى يوم 12 أكتوبر 1792 (77) . وغنى عن التذكير بأن البرتغال كان إذ ذاك دولة بحرية معتبرة . وقد عقدت بينه والجزائر أربـع معاهدات :

(1) معاهدة هدنة سنة 1785 بين الداى محمد عثمان والملكة مـاريا الأولى ، بوساطة بريطانيا بقصـد الإضرار بالولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أن تلك الهدنة تجعل الجزائر تتفرغ لها . وقد وصفها بارنبى بأنها كارثة « disaster » (Barnbay : ibid, p. 103)،

(75) Irwin : The Diplomatic Relations of the United States With the Barbary Powers 1776-1816, p. 77.

(76) انظر الشكل رقم : 17 مكرر .

(77) a) Irwin : ibid, p. 91.
b) E. Dupuy, p. 74.

(77 م 1) انظر الشكل رقم : 17 مكرر .



لافاييت

الشكل رقم : (17) مكرر

ومواطنه إروين بأنها مفزعة «terrifying» (Irwin : ibid, p. 90)، لأمريكا وفرنسا .

(2) معاهدة هدنــة في 17 سبتمبر 1793 م بين الداى حســن والملكة ماريا الأولى .

(3) معاهدة سلم بين الداى حسن والملكة ماريا الأولى في 28 سبتمبر 1795 .

(4) معاهدة سلم يــوم 14 يوليو 1813 بين الداى الحاج عــلي والملكة ماريا الأولى (77 م 2) .

مـــع ألمـــانيـــا

من المعلوم أن ألمانيا لم توحد في دولة واحدة إلا سنة 1871 ، وقبل ذلك كانت موزعة إلى دويلات عديدة . وقد كانت للجزائر علاقات مع أهمها ، ذكرنا منهـا تلك التي كانت تدفع ضريبة سنوية للجزائر مقابل حماية سفنها في البحر الأبيض المتوسط ؛ ومنها من كان لها ممثلون دائمون في الجزائر ، مثل هانوفر ، ومنها من رفضت الجزائر عروضها « السخية مقابل الحصول على جوازات سفر » (78) ، مثل بروسيا ، التي انضمت سنة 1814 إلى حلف سباعي يتكون منها ، ومن هولاندا ، والدانمارك ، واسبانيا، وإيطاليا ، وروسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، التي شنت كلها مجتمعة حربا بحرية على الجزائر (79) . ومنها (من الدول الألمانية) مــن عقدت معها معاهدة ، مثل :

هـامبـــورغ :

معاهدة سلــم دائمة بــين جمهورية الجزائر ودولــة مدينة هامبورغ (80) ، في عهد الداى محمد بن بكر ، بتاريخ 26 ربيع

(77 م 2) انظر الشكل رقم : 17 مكرر 2 .

(78) De Grammont : ibid, .p 339.

(79) Ray W. Irwin : ibid, p. 245.

(80) انظر الشكل رقم : 18 .

Em Nome de Deos Clemente, e Misericordioso.

(*Lugar do Sello.*)

TRatado de Paz e Amizade, entre S. A. R. o Muito Alto e Muito Poderoso Principe Regente de Portugal, e dos Algarves, d'aquém, e d'além mar, em Africa de Guiné, e da Conquista, Navegação, Commercio da Ethiopia, Arabia, Persia, e da India, etc.; e o Muito Nobre e Honrado Sid Hage Aly, Baxá de Argel, e mais Provincias sugeitas ao seu Dominio, ajustado entre o dito Baxá com o seu Divan, e Principaes do seu Estado; e José Joaquim da Rosa Coelho, Capitão de Mar e Guerra da Armada Real; e Fr. José de Santo Antonio Moura, Interprete da Lingoa Arabe, e Official da Secretaria de Estado dos Negocios da Marinha, e Dominios Ultramarinos, competentemente authorizados para effeituarem o dito Tratado, em que interveio como Mediador e Garante S. M. Britanica; e para este fim se apresentou com os necessarios Plenos Poderes Mr. William a. Court, Enviado Extraordinario, e Ministro Plenipotenciario da Corte de Londres.

بسم الله الرحمن الرحيم

(موضع الطبع)

انعقدت المهادنة الكاملة و الصلح التام بين الاسعد الاكرم السيد الحاج علي باشا الجزاير وباقي الاقاليم المتصلة اليها ولجراء دولته واهل ديوانه وبين ذي غاية القدر والجلال دون جوان امير البرطقال والغربين والبرازيل والنساوة والهند وغيرها بواسطة من فوض له وناب عنه في عقد الصلح المذكور واتمامه وهو جزف جواكيم دروزة كويليوا ريس السفينة ورفيقه الرهبان الباباص يوسف مورة ترجمان وكاتب مكاتبة السلطان وباشدور الانجليز المسمى ويليام اكورط المرسول بامر سلطانه ليكن الوسيط والضامن عنه في هذا الصلح حتى يكون ثابتا ضابطا بين الجانبين وهو المرسوم نصه ۞

الشكل رقم : (17) مكرر 2

Friedenstractat, welcher im Jahre 1751 zwi- 1751 schen der Republik Algier und der Stadt 26 Febr. Hamburg errichtet worden ist. Auf Befehl eines Hochedlen Raths publiciret den 15. Sept. 1751.

[Impr. 4to. Gedruckt bey König E. Hochedlen und Hochweisen Raths Buchdrucker. *)]

Im Jahre 1164 am 26sten des Monaths Rebbiul Ewel, welches mit dem 22sten Februarii 1751 übereinkömmt, ist zwischen dem Durchlauchtigen Mehemet Pacha Dey, dem

*) Ce traité n'a point sorti d'effet, le Roi d'Espagne s'en étant tellement irrité, qu'il defendit tout commerce de la ville de Hambourg avec les états par un décret daté du 19 Octobre 1751. et publié le 25 du même mois, portant en substance: "Que quoique la ville de Hambourg retire de grands avantages du commerce qu'elle fait avec l'Espagne, et qu'elle auroit dû par cette raison, eviter tout ce qui auroit pu exciter le mécontentement du Roi à son égard, cette ville n'a pas laissé de conclure depuis peu un Traite de commerce avec l'Empereur de Maroc et le Dey d'Alger, qui sont ennemis hereditaires de la Couronne d'Espagne. Qu'ainsi S. M. a jugé à propos d'interdire, dans son Royaume le commerce de la même ville et des sujets à elle appartenans, qu'en consequence de cette resolution, aucun vaisseau Hambourgeois ne sera admis dans les Ports de ce royaume, après l'expiration de 50 jours, que toutes les marchandises de Hambourg, qui après l'expiration de trois mois, se trouveront encore dans ce royaume, seront saisies et confisquées; qu'en outre, la volonté du Roi est, que tous les Consuls, marchands et sujets Hambourgeois, qui sont actuellement dans son royaume aient à s'en retirer dans la même espace de trois mois, que S. M. leur accorde pour mettre ordre à leurs affaires."

Ce n'est qu'après l'intercession de puissances étrangères surtout de la Cour de Vienne et de celle de Versailles, et

Supplem. T. II. après

الشكل رقم : (18)

الأول 1164 هـ (الموافق 22 فبراير 1751 م) ، ثم ألغتها هامبورغ بضغط من اسبانيا . (81)

على أن دول ألمانيا ـ مثل أغلب ـ بل جميع ـ الدول الأوروبية كانت ممن ظلت تناور لعقد معاهدات وأحلاف وتكتلات ضد الجزائر ، وكان آخرها تدخل البارون فون هومبولدت في ديسمبر 1817 في برلمان فرانكفورت ، مطالبا أوروبا بعقد حلف عام ضد الدول البربروسية (82) ، ومنها الجزائر .

مع روسيا

تقول كثير من المراجع الأوروبية إن « روسيا عرضت مرارا وبإلحاح على الجزائر ، وخاصة في عهد الداى محمد عثمان ، عقد معاهدة سلم ، ولكن الداى رفض مدة عهده الطويل » (83). وربما كان ذلك مبالغة منه في مراعاة التضامن مع الدولة العثمانية ، التي كانت في شبه حالة حرب دائمة مع روسيا ، رغم أن الدولة العثمانية نفسها تدخلت مرارا لدى الجزائر لصالح روسيا ، ولكن الجزائر ظلت رافضة .

وقد وجدت الجزائر نفسها في حالة حرب مع روسيا على الأقل مرتين : الأولى في عهد الداى محمد عثمان (84) ، وتتمثل في وقوف الجزائر مع الدولة العثمانية في الحرب الروسية العثمانية سنة 1787 ؛ والثانية عندما انضمت روسيا سنة 1814 إلى حلف سباعي يتكون منها ، ومن الدول الإيطالية ، والدانمارك ، وهولاندا ، واسبانيا ، وبروسيا (ألمانيا) ، والولايات المتحدة الأمريكية ، التي شنت كلها مجتمعة حربا بحرية على الجزائر.(85)

---

(81) De Martens : Supplément 2, p. 1.
(82) Dupuy : ibid, p. 339.
(83) De Grammont : ibid, p. 333.
(84) H. Grammont, p. 323.
(85) Ray W. Irwin : ibid, p. 245.

مـع الأمبـراطورية الألمـانية :

والمقصودة هنا هى الأمبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة التى عاصمتها فيينا فى النمسا :

معاهـدتان :

1) معاهدة سلم بين الداى محمد كور عبدى ، داى الجزائر ، والأمبراطور شارل السادس ، أمبراطور ألمانيا وملـك المجـر وصقلية ، بتاريخ 8 مارس 1727 .

ويقول المؤرخ السويدى ريفتيليوس إن هذه المعاهدة لـم تقبل بها الجزائر إلا إرضاء للباب العالى ، وبعد إلحاح كبير طويل، ومع ذلك ظل الداى على عناده (86) ، مما جعلها غير ذات مفعول، بل ولم تسجل حتى موادها .

2) معاهدة سلم وصداقة بين الداى محمد بكر والأمبراطور فرانسوة الأول ، أمبراطور الأمبراطورية الألمانيـة الرومانية المقدسة ودوق طوسكانيا ، وزوجته الأمبراطورة مارى تيريز ، ملكـة المجـر وبوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) وابنـة الأمبراطور السابق ، شارل السادس ، بتاريخ 8 أكتوبر 1748 . (87)

مـــع الــدانمـــارك :

كان الدانمارك دولـة بحرية قوية جدا لا تتناسب ثـروتها وتعداد سكانها ، ولا مساحة رقعتها .

وقد عقدت معه الجزائر معاهدتين :

(86) Carl Reftelius : Historisk och politisk Beskrifning oever Riket och Staden Algier, ifraan aar 1516 till och med 1732 (Stockholm 1737), t. 2, p. 61.

(87) انظر الشكل رقم : 19 .

Traité de paix entre S. M. Impériale pour les pays héréditaires tant de S. M. l'Empereur que de S. M. l'Imperatrice Reine de Hongrie et de Bohême avec la regence d'Alger; signé le 8 Octobre 1748

(D'après l'imprimé qui a paru par autorité à Florence 1749. 4.)

Avendo Sua Maestà Imperiale comandato al suo Consiglio di Stato e di Reggenza di pubblicare il Trattato di pace fermato fra la M. S. I. e il Bascià e Reggenza di Algeri del tenore seguente:

Trattato di pace fermato tra Sua Maestà Imperiale, e la città di Algeri fino a' Confini di quel Regno li 8 Ottobre 1748. Per i paesi ereditari sì di Sua Maestà l'Imperatore, che di Sua Maestà l'Imperatrice Regina di Ungaria, e di Boemia in ventidue Articoli del seguente tenore.

ART.

الشكل رقم : (19)

Si è convenuto, e stabilito con il Regnante Imperatore Nostro grande Amico ed Augustissimo Monarca, colla volontà del Possessore dell'Ordine delle Milizie di Algeri [illegible] Mahemet [illegible] dell'Aga dell'Esercito [illegible] delle Milizie come ancora de' rispettivi [illegible] la presente pace sia divenuta stabile con ferma [illegible] 1748

Art. II.

Le Navi sì grandi, che piccole dell'Imperatore Romano, [illegible] de' Sudditi [illegible] soggetti, quando approderanno nel Porto di Algeri, o vero in altre Parti di sua dominazione, secondo l'antico costume, delle loro Merci, che venderanno [illegible] secondo che resta stipulato tra i Francesi ed Inglesi, solamente cinque per cento, e non verrà dimandato [illegible] oltre, come le Merci, che resteranno invendute [illegible] sbarcare, e trasportare altrove, nissuno potrà esigere alcuna cosa per le medesime, ed in detti Porti nessuno gli molesterà, ne gli tratterrà nel loro viaggio: Per le Mercanzie di Contrabbando, quali sono Polvere, Zolfo, Ferramenti, Tavole, ed ogni Legname proprio alla costruzione de' Bastimenti, Cordami, Vele, e Catrame, Attrezzi da Guerra, ed [illegible] appartenenti agli Armamenti di [illegible] del Regno di Algeri per essi non esigeranno [illegible]

Droits de payer.

Art. III.

Le Navi da Guerra dell'Imperatore Nostro Amico, e quelle de' Mercanti, e parimenti le Navi [illegible] da Guerra di Algeri, e Mercantili [illegible] di visitarsi, e di recarsi incomodo, ma [illegible] cortesia, e segni di amicizia [illegible] reciprocamente nel viaggio, [illegible] di qualunque Nazione, siano con le loro Mercanzie, robe, ed effetti per qualunque luogo destinati, non si molesteranno, e non li sarà tolta cosa alcuna, come anche non saranno condotti in altro luogo, o trattenuti, di maniera che non si faranno reciprocamente alcun danno, o torto.

Vaiss. de guerre [illegible] visitation.

تابع للشكل رقم : (19)

١) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ ١٠ مايو 1746 م بين بابا إبراهيم الصغير ، داى جمهورية الجزائر ، وكريستيان السادس، ملك الدانمارك والنرويج · (Wenck : Traités. t. III, p. 19)

وكانت له مع الجزائر أحداث وحوادث :

محاولات غزو بحرى منه ضد الجزائر ، مرتين على الأقل ، وكان هو الخاسر فيهما . ففى أول يونيو سنة ١٧٧٠ جهز الأميرال الدانماركى دى كايس De Kaaés أسطولا وأراد قنبلة الجزائر. ولما رأى أن المدفعية الجزائرية كانت له بالمرصاد ، قرر أن ينسحب ويراقب تطور الأمور من البحر عن بعد ، فتندر عليه الجزائريون وقالوا :

« لقد أعلن الدانماركيون حربهم على السمك ! » (88)

« ودفعوا بعد ذلك إتاوة عالية جدا . » (89) (أى الدانماركيون) .

« وكلفهم ذلك غاليا جدا . » (٩٥) (أى الدانماركيين) .

ثم عادوا فأرسلوا سنة ١٧٧١ الأميرال هوغلاند Hoogland، فالحقت به الجزائر هزيمة نكراء ، واضطر الدانمارك إلى عقد معاهدة جديدة مع الجزائر « دفع فيها الدانمارك للجزائر إتاوة مرهقة » . (٩١)

هذا وقد انضم الدانمارك سنة ١٨١٤ الى حلف سباعى شن حربا بحرية على الجزائر يتكون منه (الدانمارك) ، وهولاندا ،

(88) انظر الشكل رقم : 20 ·

(89) E. Cat : ibid, vol. 1, p. 323.
(90) De Grammont : ibid, p. 319.
(91) E. Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France. Introduction, LXVI (66).

siècle précédent : Venise alarmée acheta la paix, les autres puissances durent bientôt faire de même et l'or emplit les caisses du dey. Le Danemark ne jouit qu'un an de la trêve ; il voulut alors répondre à une provocation des Algériens par l'envoi d'une escadre ; l'amiral de Kaös vint bombarder Alger, mais comme il se tenait à trop grande distance ses projectiles restèrent sans effet. Les Algériens s'en moquèrent disant qu'il faisait la guerre aux poissons. Les Danois durent bientôt s'éloigner par suite du mauvais temps, 1770. En 1772, découragés, ils traitèrent et payèrent en provisions de guerre un très lourd tribut. A l'intérieur le dey n'était pas moins heureux ; en prenant le pouvoir, il avait trouvé la Kabylie et une partie du Hodna en pleine révolte ; il porta ses armes de ce côté et perdit plusieurs armées ; mais, en 1773, les émeutes étaient partout vaincues et un peu de calme était rendu au pays. En même temps les rançons des nombreux prisonniers faits sur les diverses nations européennes, principalement des Espagnols, rançons très élevées, donnaient au souverain des richesses considérables et par suite une autorité incontestée.

E. Cat. ibid, t. 1

الشكل رقم : (20)

وإيطاليا ، واسبانيا ، وروسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية وبروسيا (ألمانيا بعاصمتها برلين) (92) .

2) معاهدة سلم وتجارة بين الداى محمد عثمان وجمهورية الجزائر من جهة ، وكريستيان السابع ، ملك الدانمارك والنرويج ، من جهة أخرى ، يوم 15 صفر 1186 هـ (الموافق 16 مايو 1772) . (93) و (94)

وقد كان لهزيمة الدانمارك هذه صدى كبير . وفى الجزائر علق عليها أحد شعراء الملحون بقصيدة عن « قصة البومبة » و « ديل المارك » (الدانمارك) اخزوا جده » . (95)

مـع السـويـد :

لم نجد أثرا لمحاولة قامت بها السويد جهارا ضد الجزائر ، وإن اشتركت ربما فى مناورات سياسية سرية لم تتحقق فيما بعد ، وقد يكون ذاك هو السبب فى إعلان الداى محمد عثمان الحرب عليها . على أن الطابع العام الذى ميز العلاقات بين البلدين هو السلم ، بل والصداقة أيضا .

ومن هنا نجد المؤرخ السويدى المذكور يأسف من تأخر بلاده عن عقد المعاهدات مع الجزائر ، بالنسبة إلى البلدان الأوروبية الأخرى ، إذ عقدت المعاهدة الأولى بين الجزائر والسويد سنة 1729 ، بينما نجد أن إيطاليا وفرنسا مثلا عقدتا أولى معاهداتهما مع الجزائر منذ القرن الثالث عشر والرابع عشر ؛ وأن هولاندا عقدت أولى معاهداتها مع الجزائر سنة 1652 ؛ وأنكلترا سنة 1655،

(92) Ray W. Irwin : Ibid, p. 245.

(93) انظر الشكل رقم : 21 .

(94) De Martens : ibid, suppl. au t. VI, p. 138.

(95) انظر الشكل رقم : 22 . وقد أورد هذه القصيدة الأستاذ أحمد توفيق المدنى فى كتابه « محمد عثمان باشا » .

19.

1772 16. May. *Traité de paix et de commerce renouvellé entre le Roi de Dannemarc et le Dey et la République d'Alger, conclu le 16. Mai 1772.*

(Clausen *recueil* p. 71.)

Entre Sa Majesté le Roi de Dannemarc & de Norvège &c., & le Dey & la République d'Alger est renouvellée la paix l'année 1186 le 15ème Jour de la lune de Zepher, ce qui revient au 16. Mai 1772, & parce que la paix ci-devant conclue avec le Roi de Dannemarc a été rompue par quelques mésintelligences survenues, Sa Majesté a envoyé, pour les concilier, le Sieur Simon Hooglandt, Son Contre-Amiral, Plenipotentiaire, & Commandant en Chef de l'escadre, se trouvant dans la Méditerranée avec deux vaisseaux de guerre, pour négocier au nom de Sa dite Majesté une paix, par laquelle celle-ci est pour toujours conclue & établie entre S. M. le très-haut-puissant & très-noble Prince & ami Chrétien sepr. Roi de Dannemarc, Norvège & des autres provinces & dépendances, d'un côté, & Nous Mahomet Pacha, Dey & Gouverneur d'Alger avec l'agrément du Divan, de l'autre, aux mêmes conditions comme elle a été ci-devant conclue, sans vouloir ajouter ou déroger aux articles de l'ancien Traité qui restent inaltérables dans tous les points, & S M. le Roi de Dannemarc s'engage de ne point donner des passeports Danois aux vaisseaux d'une nation non favorisée en vertu de cette paix actuellement conclue, & aucune des parties contractantes ne troublera l'autre ou lui fera quelque tort, espérant que dans l'avenir rien n'arrivera qui en peut empêcher l'accomplissement. Ce que Dieu veuille. Amen!

Art. I.

Paix. Il est établi & conclu dès à présent une paix perpétuelle & sincère entre S. M. le Roi de Dannemarc & de Norvège &c. d'un côté, & Mahomet Bacha, Dey de la République d'Alger, de l'autre.

Tous les vaisseaux, soit grands ou petits, des dites Puissances ne se feront dès à présent & dans l'avenir aucun

الشكل رقم : (21)

aucun tort ni molestie soit de mots & de faits, mais au contraire on se témoignera mutuellement toute amitié & civilité possibles. Conclu l'année 1186 le 15 jour du mois de Zepher, qui est le 16. Mai 1772. 1772

ART. II.

Tous les vaisseaux du Roi ou de ses sujets, soit grands ou petits, qui puissent entrer à Alger ou quelque autre port du même royaume, malgre qu'il a été en usage ci-devant de payer de toutes les marchandises qui étoient déchargées pour vendre, dix pour Cent, il est actuellement établi en vertu de cette paix qu'on ne payera plus que 5. p. cent comme le font les Anglois, François & Hollandois, & de toutes les marchandises qui ne peuvent pas se vendre & qu'on veuille remporter, on ne payera rien, & si l'on veut s'en aller, il ne faudra faire aucun délai ou désavantage, sous quelque prétexte que ce soit, mais les Suédois ne payeront aucun droit quelconque à Alger de toutes les marchandises de contrebande, par exemple, des munitions de guerre, de la poudre, du plomb, du fer, du souffre, toutes sortes de charpente pour la construction des vaisseaux, de la pois & du goudron. Conclu l'an &c. Droits d'entrer.

ART. III.

Si des vaisseaux de guerre ou des bâtimens marchands des deux nations se rencontroient, soit par mer ou ailleurs, là, au lieu de se faire quelque injure, ils se témoigneront mutuellement toute civilité, & tous ceux qui se trouveront à bord de leurs vaisseaux, de quelque nation qu'ils soient, ne feront aucun tort ni aux personnes, ni aux biens, & ne les retarderont sur leur route, encore moins ne leur causeront le moindre désagrément, sous quelque prétexte que cela puisse être. Conclu l'an &c. Vaisseaux qui se rencontrent.

ART IV.

Si quelque corsaire Algerien rencontroit des vaisseaux d'un sujet de Sa Majesté, ils n'aborderont qu' avec un canot dans lequel il n'y ait que deux personnes, outre les rameurs, & de ceux-ci il ne montera que deux personnes à bord du vaisseau, sans la permission du Capitaine, & aussitôt que le Capitaine a présenté son passeport ils se retiront tout de suite. Les bâtimens marchands ne doivent être retardés, mais continueront sans Visitation.

تابع للشكل رقم : (21)

انشودة جزائرية شعبية في حرب الدانمارك

وجدت مخطوطة في اوراق المستشرق فونتير دي بارادى بالمكتبة العامة بباريس ، وفي بعض ابياتها نقص واضح . لذلك اغفلناها فلم نثبت هنا الا الابيات الصحيحة :

بسم الله نبدا على وفا — هذى القصة نعيانا
قصة اليومية المللفا — كيف جربوها اعدانا
واضحاو على البعد واقفا — ما قربوا لحذاينا
يا رب يا عالم الخفا — اهزم جيش اعدانا
اسمعوا يا قوم ما طرا — في هذي القصة نعيده
قصة هذا الكافر ظاهرا — ديل البرك اخزيو جده
حلفوا بديانات كفرهم — حتى ان نرد هم ما مشا
والا نهدم بلادهم — جاو بها الطمعة محرشا
الكفار ابليس غرهم — ظنوا فى البهجا مشوشا
خذلهم ربي وذلهم — لا صلاح الاسلام كيف شا
وكيف لحقوا الكفار يفارصوا — ارسوا على البعد كلهم
وبعد ما ارساوا وتربصوا — ينتظروا فيما يفيدهم
جالهم مرسول قنصول — من عند السلطان سالهم
قال لهم جيتوا تهرنصوا — والا تبغوا الصلح منهم
قالوا جينا مكلفا — للطراد ونعيانا
والا نصطلح بلا جفا — تردوا لنا ارزاقنا
كيف اسمع السلطان هاالخبر — اغتاض ولا ابالى كلامهم
قال نعطيهم الكور — والله ولو ايجيو كلهم
ما نرضى نعطيهم الحجر — يلعن باباهم وجدهم

الشكل رقم : (22)

امر في الساعة بلا فتر   جات رجال الحرب كربه
سلطان البهجا المهيفا   من نصر مولاه
عذب الكفار كافا   بجيوشه القتاله
كيف شاف السلطان ذا العدو   نادي لاهل الحرب كربه
قالهم اتهيوا وجدوا   في الابراج اللى يحصنوه
واملاهم برجال يوكدوا   من كل صنائع من اهلوه
والمدافع نيران يوقدوا   يضيعوا اللى جا قبالهم
يرميو على كل شايفا   من برج [illegible] وطابه
والرجال على الحرب واقفا   كي السبوع غضابه
ولت البهجة كما الجمر   ترمي الموت بنار شعاله
تحرق من الابعاد من كفر   بانفاض اسبوع مقابه
وعدوها لو جا ينكسر   وجيوشه يضحاو فشله
البهجة اللي حازت النصر   ظنوها الخزيان [illegible]
جاو لها بسفن عاجفه   تحسبهم [illegible] خيله
لين ولت ترمي مرادفا   بصواعق نيرانه
جاو بني الروم يحسبوا   بلاد الجير بقات سايبه
اعياو الكفار يكذبوا   بالمدافع يرميو [illegible]
ما لحق فيها نعذبوا   وامشات الخزيان خايبه
والله لو كان قربوا   لصاروا حيطان رايبه
لكن قوم الروم خايفا   شافوا الموت عيان
ما صابوا للصلح سعفا   وامشاو في [illegible]
يوما به ابغاو يزدموا   الاسلام بلا شك عازمين
عرفوا الكفار عوموا   ذاك اليوم امشاو دايرين
والله يا لو كان داوموا   الكانوا الكفار حاصلين

تابع للشكل رقم : (22)

الخ ، فنجده يقول عن هذه المعاهدة الأولى التي عقدتها بلاده مع الجزائر بسنة 1729 :

« وأخيرا (Aentligen) عقدت السويد معاهدة مع الجزائر سنة 1729 » ... (96)

وقد عقدت بين البلدين ، الجزائر والسويد ، معاهدتان اثنتان ، الأولى :

1) معاهدة سلم وتجارة بين مملكة السويد وجمهورية الجزائر في عهد الملك السامي العظيم محمد كور عبدى ، داى الجزائر ، وفريدريك الأول ، ملك السويد والقوط والوندال ، يوم 5 أبريل 1729 ، من 22 مادة (97) . أمضيت في عاصمة الجزائر يوم 16 منه ، وصادق عليها الملك المذكور يوم 4 نوفمبر 1729 في استوكهولم . (98)

ويقول الممثل الدبلوماسى السويدى المؤرخ كارل ريفتيليوس :

« وتشرفت بتسليم الداى محمد عبدى نص هذه المعاهدة المصادق عليها من الملك فريدريك الأول سنة 1730 » . (99)

وجاء في مادتها الأولى :

« أولا وابتداء من اليوم فصاعدا وإلى الأبد :

« ستسود سلم وصداقة دائمتان بين الملك القوى جدا ، فريدريك الأول ، ملك السويد ، والقوط ، والوندال و ...

---

(96) a) Reftelius : ibid, t. 2, p. 618.
b) Reteflius : ibid, t. 2 p. 618-626.

(97) انظر في الشكلين رقمى : 23 أ ، و 23 ب · الصفحة الأولى من هذه المعاهدة وصفحة المصادقة عليها ، بالسويدية ، من ريفتيليوس وفي الشكل 24 تسجيلا لها لدى دى مارتينس الألمانى :

(98) De Martens : ibid, t. 1, p. 189 et t. V, p. 316-329.

(99) Carl Reftelius : ibid, t. 2, p. 627.

år 1727, den 8 Mart. bestående uti 13 Articlar, hwaribland den 8:de innehåller, at en Consul skal utnämnas och uti Algier etableras, hwilken skal hafwa förträdet för alla der warande; Men til dato har ingen å berörda Keisares wägnar dit kommit. Porten har wäl sedermera, för de Keiserligas skul, sökt bringa Deyen til Raison, men han låter sig nu mera ingen ting påtwinga, (pag. 313. 314.) så at hwad äfwen sielfwa fredsslutet angår, äro många som twifla, om det nånsin blifwit träffat, och i den händelsen, at det skedt allenast til at behaga Keisaren, men at det aldrig låter komma til någon werkställighet. (pag. 312 och 313)

6. Med Swerje.

واخيرا Äntelligen är ock en freds- och handels Tractat uprättad emellan Kronan Swerje, under den Stormägtigsta, wår nu warande Allernådigsta, Konung FRIEDRICS milda Regering, och Deyen Abdi Bascha Jbrahim (pag. 321) samt Agan och Gouverneurer af Staden och Riket Algier, hwilken der sammastädes blef afhandlad och teknad den 5 April 1729, igenom Vice Amiralen, då warande Schout, nacht och Ministre Plenipotentiare, Wälborne Herr Jean von Utfall.

Denna Tractat, bestående uti 22 Puncter, dem jag härhos, Låsaren til tienst, bifogar, lyda, efter det genom trycket utkomna Exemplaret, sålunda:

I.

Först är beslutit, at ifrån thenne Dagen och hädanefter i alla tider skal wara en beständig frid och wänskap emellan Then Stormägtigsta Konung och Herre, Konung FRIEDRICH Then Förste, Swериges, Göthes och Wändes Konung &c. &c. &c. å ena, och The Höga och Stora Her-

الشكل رقم : (23 أ)

Föregående Tractat behagade Hans Kongl. May:t confirmera, med sin Höga Ratification, den 4 Novemb. 1729 i Stockholm, som jag hade den äran at til Algier öfwerföra år 1730, och hwilken sedan, uti Commendeurens, (pag 290) samt flera Swenska Herrars närwaro, på det sättet presenterades, (pag. 330) at de partals, twå och twå tilhopa, efterföljde tälken, som bar sielfwa Tractaten på et hyende aldrafrämst.

Wid detta fredsslutandet, lade den då regerande och (pag. 618) nämde Deyen å daga et särdeles prof af sin ädelmodighet och Respect för Hans Kongl. May:t, aldenstund ifrån den tid afhandlingen begyntes, in til år 1731, då de förlåfwade Presenterne först öfwerkommo, han förmådde Capare-Capitainerna, at intet tilfoga något Swenskt fartyg den aldraminsta olägenhet. At wisa sin Raisonabilité tilbaka, efter berörde Presenter woro öfwermåttan wälkomne, återsände han, med Swenska orlogsskeppet, för bägge deras Kongl. Mayestäter, icke allenast åtskilliga lefwande kreatur, såsom 2:ne Barbariska hingstar, et stod ock twenne stora strussfoglar, utan jemwäl en hoper andra saker til antalet flera och til wärdet, åtminstone i hans tycke, större, än han eller någon af hans Antecessorer en Christen Potentat nånsin förärat, hwilka, inlagda uti en Turkisk Coffre och med Deyens egit Signete förseglad, lefwererades til den här oftanämda Commendeuren, och bestodo uti följande persedlar: En Turkisk bössa, et par Turkiska Pistoler med broderada hölster, 1 broderat Turkiskt bälte med kruthorn och Patron-taska, 1 sabel, 1 broderad watnflaska af läder, som Soldaterne bruka i fält, 2 broderada Turkiska skärper af silke och guld, 1 Fruentimmers klädedrägt och hufwudbonad, (pag. 159. 160.) några nättelduks handdukar med guld-änder, 1 förgyld silfwerdosa med sin pung och Muskus uti, åtskilliga par brode-

Eee 2 rade

الشكل رقم : (23 ب)

30

Traité de paix et de commerce entre S. M. le Roi et la Couronne de Suède d'une part et la République d'Alger de l'autre; ſigné à Algèr le 16 Avril 1729. 1729 16 Avr.

Ce traité ayant été renouvellé de mot à mot le 25 May 1792 et ſe trouvant déja inſéré en Suédois et en François dans mon Recueil Tom. VI. p. 269. où j'ai marqué ce qui y a été ajouté alors, j'ai cru qu'il ſerait inutile de le donner ici; au reſte on le trouve dans Modee *Utdrag* p. 165. en Suédois.

31.

الشكل رقم : (24)

و . . . ، من جهة ، (Friedrich den Foersta) (Sveriges, Goethes och Vaendes Konung)،
والسادة العظام الأجلاء الداى عبدى باشا ، والآغا ، والحاكم فى مدينة ومملكة الجزائر ، من جهة أخرى » . (100) وفى المادتين 3 و 5 منها ذكرت جمهورية الجزائر . (Republiken Algier).

وبعد أن يصف الجو الذى قدم فيه أوراق اعتماده ونص هذه المعاهدة المصادق عليها إلى الداى (101) ، يقول ريفتيليوس إنه هو الممثل الأوروبى الوحيد الذى تناول العشاء مع الداى المذكور ، وأكل من يده ، وأنه كان يفتخر بذلك بين أقرانه الممثلين الدبلوماسيين الأوروبيين فى الجزائر . (102)

ويرد الدبلوماسي المؤرخ على الذين انتقدوا ، من بين مواطنيه، عقد تلك المعاهدة بين الجزائر والسويد ، واستنكروها ، واستغربوا منها ، فيقول :

« فليعلموا أن الغرض منها لم يكن المصالح التجارية أو أية مصالح هامة أخرى ؛ وإنما كان القصد منها ضمان السلامة والأمن لسفننا فى المياه الإسبانية وفى البحر الأبيض المتوسط حيث توجد المسالك إلى التجارة مع الشرق » . (103)

ثم علق المؤلف على ذلك الوقت بكثير من الحنين والحسرة ، بعد انتهاء مهمته فى الجزائر ، فيقول :

« إن ذلك كان حقيقة عهدا لن يعود فى أغلب الظن !

« فلقد كان السويديون والجزائريون مثل الإخوة ، يتعانقون علانية فى الشوارع . وعندما أراد بعض الأوروبيين الأخرين ان يتمتعوا بنفس الحقوق والمعاملة ، قال لهم الداى محمد عبدى:

---

(100) Carl Reftelius : ibid, t. 2, p. 618.
(101) Reftelius : ibid, p. 627.
(102) Reftelius : ibid, p. 630.
(103) Reftelius : ibid, t. 2, p. 646.

N. 147.

1792 8. May. *Freds och Handels-Tractat emellan Kongl. Majt. och Cronan Swerige samt Republiquen Alger Afhandlad och sluten i Alger den 16. April Ahr 1729. Förnyad och bekräftad den 8. Mayi Ahr 1792.*

(Copie qui m'a été gracieusement communiquée des Archives de Suède.)

ART. I.

Först är beslutit, at ifrån denna Dagen och hädanefter i alla Tider skall vara en beständig Fred och Vänskap emellan den Stormägtigste Konung och Herre Herr Fredric den Förste, Sweriges, Göthes och Vendes Konung &c. &c. &c. å ena, och de Höge och Store Herrar, Deyen Abdi Bascha, samt Agan och Gouverneuren af Staden och Konunga Riket Alger å andra Sidan, såsom och emellan bägge delars Herrskaper och undersåtare; så at bägge delars Skepp och Folk ej skola tilfoga hwarandra någon skada eller orätt, hwarken med ord eller gerningar, utan bemöta hvarandra med all Höflighet, Heder och respect.

ART. II.

Det skall wara fritt och tillåtet at alla Skepp och Fartyg, som tilhöra Kongl. Majt. af Swerige eller någon af Dess undersåtare, måge inlöpa uti Hamnen af Alger eller hwilken Hamn eller Ort det wara må, som hörer til detta Riket och Dess underliggande Prowincier, samt at därsammaledes, utan det ringaste hinder, få handla, inköpa och sälja, årläggandes de för de sålde Varor fem Procent uti Tull; Men de Varor, som de icke sälja, skola de hafwa frihet på deras Skepp at återföra tilbakars, utan at årlägga därföre någon Tull eller afgift, och skall stå dem fritt at förfoga sig därifrån enär dem godt tyckes; Men hwad som beträffar Contrabande och til krigsrustning tienlige Varor: såsom Krut, Bly, Swafwel, Jern, Plankor, allehanda Tråd Verke, som är nödig til Skepps Byggeri, Beck, Tjära, och i gemen

الشكل رقم : (25 أ)

Traité de paix et de commerce entre S. M. et la couronne de Suede et la République d'Algér négocié et conclu à Algér le 5/16 Avril de l'an 1729 *) rénouvellé et confirmé le 2/5. May de l'an 1792.

1792 5. May.

(Traduction privée.)

ART. I.

Paix et amitié.

Prémièrement il a été conclu que dès ce jour & dans toute la suite des tems, il y aura une paix & amitié constante entre le Très Puissant Roi & Seigneur Frédéric I. Roi de Suède des Goths & des Vandales &c. d'une part, & le haut & grand Seigneur le Dey Abdi Bascha comme aussi le Aga & le Gouverneur de la ville & Royaume d'Algér de l'autre part, de même aussi entre les domaines & sujets réciproques, de sorte que les vaisseaux & équipages des deux côtés ne se causeront à l'avenir aucun dommage ou injure, soit en paroles soit par des faits, mais se traiteront réciproquement avec toute sorte de politesse, d'honneur & d'égards.

ART. II.

Liberté de commerce.

Il sera libre & permis à tous les vaisseaux & navires appartenans à S. M. Suédoise ou à quelqu'un de ses sujets d'entrer dans le port d'Algér ou dans tel port ou place que ce soit, appartenant à ce royaume ou aux provinces qui lui sont sujettes, & ils y pourront sans le moindre empêchement exercer leur commerce, acheter & vendre, en payant pour les marchandises vendues 5 p. C. de Douane; mais quant aux marchandises qu'ils ne vendront pas, ils auront la liberté de les ramener sur leurs navires sans en payer aucune douane ou droit, & il leur sera libre aussi de se retirer lorsqu'ils le jugeront à propos. Mais quant à ce qui concerne la contrebande & les marchandises servant à la guerre, tel que poudre, plomb, souffre, fer, planches, toute sorte de bois servant

T 5

*) Le suivant traité de 1729 ne se trouve imprimé, que je sache, que dans Modern Uldrag af Alliance-traktater p. 165, où il est inseré en Suedois.

الشكل رقم : (25 ب)

«إن السويديين صنف معين من الناس ، وهم أصدقائى».(104)

ويقول الدبلوماسى المؤرخ السويدى المذكور إن « الداى محمد كور عبدى كان حريصا كل الحرص على صداقته مع ملك السويد فريدريك الأول » . (105)

2) ثم عقدت معاهدة ثانية مع السويد هى : معاهدة سلم وتجارة بين مملكة السويد **وجمهورية الجزائر** فى عهد غوستاف أدولف الرابع والداى حسن فى 25 مايو 1792 م (106) ، وهى تجديد للأولى .

أما ما كانت تدفعه السويد من إتاوة للجزائر مقابل حماية سفنها فى البحار ، فقد ذكرناه فى الفصل عن البحرية فى بدء هذه الدراسة ، فى سياق عام عن الدول الأوروبية وأمريكا .

مع هولاندا :

قلنا فى البدء إن حجم الدول إذ ذاك ــ والآن وغدا ــ لا يقاس بمساحة بلدانها ، ولا بتعداد سكانها ، وإنما بقوتها الحربية ، باقتصادها ، وبمادتها السنجابية التى يتوقف عليها كل شىء !

وفى ذلك الوقت كانت العبرة بالقوة البحرية فى الدرجة الأولى . ولذا كانت الدويلات الإيطالية ، ومالطة ، والدانمارك، وهولاندا ، مثلا ، من الدول القوية ، وكانت قوى كبرى ، وكانت الجزائر أيضا ، وأكثر من الكل ، عظمة لم تكن تضاهيها عظمة ، والعظمة لله !

---

(104) Reftelius : ibid, p. 628. t. 2.
(105) Reftelius : ibid, t. 1, p. 323.
(106) انظر صورة عن الصفحة الأولى من هذه المعاهدة الشكل رقم : 25 أ ، و 25 ب ، بالسويدية والترجمة الفرنسية من :

G. F. von Martens : ibid, t. V, p. 333 et suppl. au t. VI, p. 296.

ومع كل الهيبة التى كانت تتمتع بها الجزائر ، والرهبة التى توحى بها إلى الدول ، فقد كانت هى نفسها تتعرض من حين إلى آخر ، بل كثيرا ، إلى اعتداءات ، وذلك عندما يغيب أسطولها ، ويكون بعيدا فى عرض البحار والمحيطات ... ولم يكن أسلافنا ربما يحتاطون كثيرا ، ولم يكونوا يقدرون لذلك الغياب قدره ، ولا يحذرون المفاجآت ، وربما لفرط الثقة فى أنفسهم وقوتهم واعتمادهم الكثير على المدفعية فى حالات غياب الأسطول .

ففى هذا السياق إذن تعرضت الجزائر لاعتداءات بحرية عدة من هولاندا ، كما كانت لها معها أيضا اتفاقيات ومعاهدات كثيرة ...

ولنبدأ بالجانب الحربى لنقول إنه ، بالإضافة الى انضمام هولاندا إلى ذلك الحلف السباعى الذى ذكرناه آنفا ، والذى تمثل فى تحالف أمريكا ، وروسيا ، وبروسيا ، وهولاندا ، والدانمارك ، وإيطاليا ، واسبانيا ، ضد الجزائر سنة 1814 ، أغارت هولاندا مرارا على الجزائر ، انتقاما منها ، كما تقول ، « لعيث الأسطول الجزائرى فسادا فى الأسطول الهولاندى حتى فى هولاندا نفسها ، وتعقبه فى البحار خارجها ، وخنق التجارة الهولاندية داخلا وخارجا ، والسطو عليها ، وبيعها فى أسواق أنجلترا بموافقة ملك بريطانيا يعقوب (جيمس) وبرضاه ، رغم حرصه على الاتجار مع هولاندا . وقد أغضب بسلوكه ذلك البلدان المسيحية كلها ، مما جعله يعدل عنه ويراجع سياسته » . (107)

وكانت الغارات الهولاندية على الجزائر كما يلى :

1) غارة لامبير فرهور Lambert Verhoer سنة 1622 .

(107) Reftelius : ibid, t. 2, p. 616.

2) غارة رويتر (108) Ruyter سنة 1660 ، وكلتاهما باءتا بالفشل الذريع . (109)

3) ثـم الغارة الهولاندية البريطانية المشتركة ، التى قادها عن هولاندا الأميرال فان كابيلن van Kappellen ، وعن بريطانيا الأميرال اللورد إيكسموت Exmouth ، يوم 27 أغسطس 1816 ، فى غياب أغلب الأسطول الجزائرى ، وباستعمال الحيلة ، وهى رفع العلم الأبيض ، برسم المفاوضات ، ـ إن جاز لنا استعمال التعبير التقليدى لابن خلدون ـ أى كعلامة على الرغبة فى إجراء مفاوضات الصلح ، وكان ذلك غدرا وحيلة !

وقـد أعلنت الجزائر رسميا حربا على هولاندا عـلى الأقل مرتين : المرة الأولى سنة 1686 م ، فى عهـد الداى الحاج حسين (ميزومورتو عنـد الأوروبيين) ، « وغنمـت منهـا البحـرية الجزائرية سفنا هولاندية من الكثرة بحيث لم تأخذها كلها إلى الجزائر ، بل أغرقت كثيرا منها فى البحر بعد أن أفرغتها مـن حمولاتها ، وتركتها ، خـلافا لعادتها ، فى القنال بـين فرنسا وبريطانيا ، مما أتعب عمال القنال الفرنسيين مدة طويلة .

« وإذ ذاك أصدرت هولاندا أمرا بمقاطعة سفن الجزائر فى الموانى الهولاندية ، ولكن ملك بريطانيا ، يعقوب (جيمس) ، فتح موانيه للجزائريين ، مما أسخط عليه العالم النصرانى كله ثم عاد ، تحت ضغط العالم المسيحى ، فمنع عنهم ذلك » . (110)

« ولكن هولاندا فقدت أثناء تلك المدة أكثر من ثلاثين سفينة كبيرة محملة بأثمن البضائع ، مما اضطرها إلى استرضاء الجزائر بالهدايا ، إلى أن جددت معها هذه الأخيرة المعاهدة سنة 1712» (111)

(108) انظر الشكل رقم : 26 .

(109) De la Neuville : Histoire de Hollande, p. 88-91 - Amsterdam 1704.
(110) a) Reftelius : ibid, t. 2, p. 422, 615-616, Stockholm 1739.
b) M. de la Neuville : ibid, t. 1, p. 88-91, Amsterdam 1704.
(111) Léon Galibert : L'Algérie, p. 224.



الشكل رقم : (26)

42. - Démonstration de **Ruyter devant Alger**

والمرة الثانية التي أعلنت فيها الجزائر الحرب على هولاندا كانت في عهد الداى الكبير محمد عثمان ، في تيار إعلانه الحرب على عدة بلدان أوروبية أخرى كانت متواطئة .

وسنعود الى ذكر هولاندا في سياق الحرب ضد الجزائر عند الكلام عن العلاقات بين الجزائر وانجلترا ، اذ اشتركت هولاندا معها في محاولة غادرة .

أما المعاهدات التي عقدتها الجزائر مع هولاندا ، فقد كانت عدة أيضا ، وتتجاوز عدد الغارات من كلا الطرفين مجتمعة .

والمعاهدات التي وجدناها هي الآتية :

1) معاهدة سلم وتجارة 1652 في عهد الداى محمد العالم وجان دى فيت Jean de Witt, le Grand Pensionnaire ، قائم مقام رئيس الولايات المتحدة للبلاد المنخفضة (هولاندا) (112) .

2) معاهدة سلم وتجارة سنة 1677 (113) بين الداى محمد حاجى وفيلهيلم الثالث أورانغه نساو (Orange-Nassau) ، الحاكم العام (Stathouder) للولايات المتحدة للبلدان المنخفضة (هولاندا).

3) معاهدة سلم سنة 1679 (114) بين الداى محمد حاجى وفيلهيلم الثالث أورانغه نساو .

ويصف المؤرخ الفرنسى غارو هذه المعاهدة بأنها « سلم مهينة لهولاندا » (115) (une paix humiliante pour la Hollande) ، وفي مجال التعويضات المالية مرهقة لكاهلها .

---

(112) Reftelius : ibid, t. 2, p. 615.
(113) « : « « « 615.
(114) « : « « « 616.
(115) H. Garrot : « p. 506.

4) معاهدة سلم وتجارة سنة 1680 فى عهد الداى محمد حاجى وفيلهيلم الثالث أورانغه نساو ، ويصفها المؤرخ السويدى بأنها « معتبرة » (116)
(en ansenlig freds-och - handelstractat emellan Holland och Algier).

5) معاهدة سلم وتجارة سنة 1712 ، بين الداى علي شاوش وانتونى هاينسيوس ، قائم مقام Le Grand Pensionnaire رئيس جمهورية الولايات المتحدة للبلاد المنخفضة (هولاندا) . (117)

6) معاهدة سلم وتجارة (118) يوم 08 سبتمبر 1726 (119) ، بين الداى محمد كور عبدى والسلطة الجماعية لجمهورية الولايات المتحدة للبلاد المنخفضة .

7) اتفاقية يوم 07 سبتمبر 1730 بين محمد كور عبدى ، داى جمهورية الجزائر (120) والسلطة الجماعية للولايات المتحدة للأراضى المنخفضة (121) .

8) معاهدة بين داى جمهورية الجزائر ، محمد كور عبدى ، والسلطة الجماعية لجمهورية الولايات المتحدة للبلاد المنخفضة ، بتاريخ 24 أوت 1731 . (122) و (123)

9) معاهدة سلم بين الجزائر والولايات المتحدة للبلاد المنخفضة (هولاندا) بتاريخ 25 نوفمبر 1757 فى عهد الداى بابا علي

---

(116) Reftelius : ibid, t. 2, p. 616.
(117) Reftelius : ibid, t. 2, p. 616.
(118) انظر الشكل رقم : 27 و 28 .
(119) Reftelius : ibid, t. 2, p. 616.
(120) انظر الشكل رقم : 29 .
(121) De Martens : ibid, t. 1, p. 202.
(122) انظر الشكل رقم : 30 .
(123) De Martens : ibid, t. 1, p. 204.


Het afkondigen der Vreede in Algiers, zynde
op den 8 Sept. 1726 gesloten tussen de Heere
Staten Genl. en de regering van de Stadt.

الشكل رقم : (27)



(Vrieden verdragh met die van Algiers en de Heeren Staten gemaeckt

86.- Paix entre les Provinces - Unies (des Pays - Bas) et Alger (1726).

الشكل رقم . (28)

32.

1730 *Convention entre les Provinces-Unies des Pays-Bas et le Dey et la regence d'Algèr 1730. 1731. touchant les passeports Turcs.*

a.

Lettre du Dey d'Algèr aux Etats Généraux des Provinces-Unies des Pays-Bas du mois) de Septembre 1730.

(*Storia dell' Anno* 1730-31. p. 299.)

A' nostri Amici gli Stati Generali delle Provincie Unite, che l'Onnipotente voglia rendere ancora più grandi, et accordar loro salute fino alla fine. Noi preghiamo il gran Dio di darci, a gli Amici [illegible] tutto ciò che [illegible] necessario, e che la nostra Pace e Amicizia possa [illegible] eterna. O Cari Amici [illegible] sono due de' nostri Vascelli [illegible] incontrarono nel mare due de' vostri Bastimenti nomati *Flute*; e poi altri due nomati *Fregate* [illegible] tutti di Passaporti vecchi [illegible] Capitani delle nostre [illegible] essendo bene informati delle nostre intenzioni [illegible] darono qui [illegible] ma quando qui ritornarono, noi gli abbiamo ripresi, dicendo loro, che dovevano sapere; qualmente tutti gli Olandesi che ritornano dalla Turchia, dalle Indie, o altronde, potevano passare liberamente in Olanda con i Passaporti vecchi per [illegible] ma quei, che venivano direttamente dall' Olanda dovevano essere proveduti di Passaporti nuovi. [illegible] ch' essi non avevano [illegible] Istruzioni abbastanza chiare: [illegible] di aver noi chiamato alla nostra presenza i Capitani de' vostri Bastimenti Mercantili, e abbiamo loro dimandato, se fosse stato restituito loro il danaro, [illegible] Eglino ci hanno risposta di sì, e noi gli abbiamo fatto segnare le ricevute qui annesse, che vi mandiamo, [illegible] finche possiate conoscere le nostre buone intenzioni [illegible] In fine, cari Amici, allorche piacerà a Dio [illegible] date gli Alberi, promessi da parte vostra, vi [illegible] mo istantemente di aggiugnervi quattro Trombe, et otto Ancore della qualità, che il Console, vostro Schiavo, ci ha promesso di scrivervi. Preghiamo l'Onnipotente, che la nostra Pace possa esser eterna, e passare in affetto e amicizia. Amen. L'anno del nostro Profeta 1148, il dì 17 di *Gemasis Ouvvel*, o di Settembre 1730.

*) Pourtant le Dey garda pour lui [illegible] caisses d'argent renfermant 137000 florins voyés *Europ. Mercur.* 1730. T. II. [illegible]

الشكل رقم : (29)

1731 Traité conclu, au nom des Etats-Généraux des Provinces-Unies des Pays-Bas avec le Dey et la république d'Alger, le 24 Août 1731.

24 Août.

(Europ. Mercurius, 1731, T. II, p. 115.)

De voorspoedige Abdy Bascha, en de Staaten Generaal in het Jaar 1726, by den gesloten Vrede, alle disputen uit den weg geruimd hebbende; zyn nu verder overeengekomen, by de voorige Artykelen de zes navolgende te voegen.

ART. I.

Dat de voorspoedige Abdy Bascha Dey, in 't Jaar 1730, by eenen Brief aan de Staaten Generaal geschreven, verzocht heeft, dat alle Schepen naar Indiën varende, met Turksche Passen mogten worden voorzien, om voor te komen alle verdere disputen, die daar uit zouden kunnen ontstaan; doch dat die Passen niet zouden zyn als die der Koopvaarders, om dat de eerste gemeenlyk zomtyds acht of tien Jaaren uitblyven, in welken tyd het zoude kunnen gebeuren, dat de Passen der Koopvaarders verangerd worden; zo waar om zyn overeengekomen is, dat de Passen der Schepen naar de Indiën varende, permanent en geene verandering onderworpen zullen zyn; en op dat men de voorschreven Passen uit de anderen zoude kunnen kennen, zal men het groot zegel van de Staaten Generaal zetten, niet allenlyk op de Bovenstukken, die hier blyven, maar op de Passen die door den Staat uitgegeeven worden; by welkers konfrontering dat de zegels een en dezelve zyn, de Kapers van Algiers de gemelde Schepen vry en onverhinderd zullen laaten passeeren en repasseeren zonder ophouding of molestatie; en ingeval eenige van deze Kapers dit Artykel overtreeden, zullen zy ten spiegel van anderen zwaar gestraft worden.

ART. II.

En ten einde een iegelyk de gemelde Passen voor de Schepen naar Indiën varende, zoude mogen kennen, hebben de Staaten Generaal aan haaren Consul te Algiers ordre gegeeven, dat op de Bovenstukken geschreven zullen worden deze woorden: Alle Schepen, die dit neven.

الشكل رقم : (30)

Articoli stipulati tra gli Stati Generali delle Provincie Unite, e la Repubblica d'Algeri [illegible] 1731 [illegible] 24. Agosto 1731.

(*Storia dell' Anno* 1731, 1732. p. 301.)

ART. I.

I Vascelli Olandesi, che navigano alle Indie, dovranno esser muniti di Passaporti Turchi, per prevenire le contese, che altrimente potrebbono nascerne; questi Passaporti saranno differenti da quelli, che danno agli altri Vascelli Mercantili; e non saranno soggetti ad alcun cambiamento, ma permanenti; e per poterli distinguere dagli altri Passaporti, si metterà il gran sigillo degli Stati Generali, non solamente sopra le minute *) che resteranno in Algeri, ma ancora sopra i Passaporti stessi che si daranno dalle Loro Alte Potenze, affinchè dopo il confronto de' suddetti sigilli gli Armatori d'Algeri li lascino passare [illegible] liberamente, sotto pena, in caso di contravvenzione, d'essere puniti severamente per servire d'esempio agli altri.

ART. II.

Affinchè ognuno conoscer possa i Passaporti de' Vascelli, che navigano alle Indie, gli Stati Generali daranno ordine al loro Console d'Algeri, che faccia scriver sulle minute queste parole: *Tutti li Vascelli che hanno su i loro Passaporti il sopraddetto sigillo, sono Vascelli*

*) Dans la Storia dell' anno ce traité est daté de l'an 1730, mais c'est sans doute une erreur; la traduction Italienne est un peu plus abrégée que celle qu'on trouve à coté en Hollandais. Au reste cette convention ne se trouve pas dans le *Groot Placaatboek*. Il n'en est pas fait mention dans le traité de 1757. (WENCK C. J. G. T. III. p. 161.) mais la stipulation principale relative aux vaisseaux des Indes y est repetée art. 24.

*) C'est la partie supérieure du passeport coupé en deux, dont il est question.

تابع للشكل رقم : (30)

وفيلهيلم الخامس نساو دوتز ، حاكم الولايات المتحدة للبلاد المنخفضة . (124)

10) معاهدة سلم بين الجزائر والولايات المتحدة للبلاد المنخفضة (هولاندا) بتاريخ شوال 1173 هـ (26 مايو 1760) على يدى الداى بابا علي وفيلهيلم الخامس نساو دوتز . (125)

11) معاهدة سلم بتاريخ 28 أوت 1816 بين الداى عمر وفيلهيلم الأول أورانغه ، ملك البلاد المنخفضة (هولاندا وبلجيكا) ، الدوق الكبير للوكسومبرغ . (126)

مع اسبانيا :

باب العلاقات بين الجزائر واسبانيا فيه فصول ، وفصل المقال فيها كان للجزائر !

وإذا ما ذكرنا هنا بالتاريخ ، فمن باب التاريخ المحض ، وليس بغرض إحياء الإحن القديمة ، ولا لإذكاء البغضاء ؛ خاصة أن ما نحن بصدده يرجع إلى عهود قديمة ؛ وأن موقف اسبانيا من كفاحنا التحريرى الأخير كان فى الغالب إيجابيا ؛ ثم ان لنا فى الحكومة الإسبانية الجديدة الأمل العريض من أجل قيام علاقات خصبة لصالح الطرفين ، على أساس الحق والخير ، وإحياء وصيانة التراث الحضارى والثقافى الأندلسى المشترك .

لقد سبق أن ذكرنا فى بدء هذه الدراسة بأوليات العلاقات بين الجزائر واسبانيا : فقد كانت سيئة منذ البدء ، ومن فعل الإسبان . وتتمثل تلك الأوليات فى عدوانهم ، تحت قيادة الأسقف الشنيع الذكر ، فرانثيسكو خيمنيث ذى ثيسنيروس ،

---

(124) De Martens : ibid, t. 3, p. 101.
(125) « : « « « «
(126) « : « suppl. t. 6, p. 128.

والقائد العسكرى بيدرو دى نافارو ، عـلى بـلادنا ، تنفيـذا للوصية الكتابية التى تركتها الملكة إيسابيل الكاثوليكية عنـد وفاتها سنة 1504 ، ملحة على الإسبان فى ألا ينسوا شيئين :

1) عدم التوقف فى العمل لغزو افريقيا (أى بلدان المغرب) ،

2) عدم التوقف فى مصارعة الكفار عموما (أى المسلمين) .

ومن هنا فقد كان طابع العلاقات بين اسبانيا والجزائر طيلة قرون ثلاثة متوالية هى الحرب الفعلية المتواصلة ، وفى أحسن الأحوال كانت حالـة الحـرب الدائمة . ولـم توقع بينهما إلا معاهدتان اثنتان طوال تلك المدة ، أى طيلة قرون ثلاثة متوالية، بينما عقدت الجزائر مع هولاندا مثلا أثناء تلك المدة إحدى عشرة معاهدة ؛ ومع أنكلترا ثمانى عشرة ؛ ومـع فرنسا أكثر مـن ست عشرة ، بل أكثر من ستين ! بـل وأكثر مـن ست وستين ! ولنقل سبعين !

لقد سبق أن ذكرنا فى بدء هذه الدراسة ، بشىء من التفصيل، أولية العدوان الإسبانى عـلى الجزائر ، وعلى البلدان المغربية الأخرى ، بل وامتد المد الصليبى الإسبانى حتى المشرق ، وكان ينوى بعيدا ، ووصل فى الربع الأول من القرن السادس عشر حتى الفيلبين ، كما نعلم .

ولنذكر بتلك الغارة الأولى عـلى الجزائر هنـا ، عـلى سبيل المنهجية فقـط ، لتكـون عـلى رأس القائمة ، حسب تسلسل الأحداث ، فنقول :

1) غارة الكردينال فرانثيسكو خيمنيث دى ثيسنيروس (127)، أسقف طيلطلة ، وبيترو نفـارو (128) ، عـلى المرسى الكبـير يـوم 23 أكتوبر 1505 م ، وعـلى وهران يـوم 18 مايو 1509 ،

(127) انظر الشكل رقم : 31 .
(128) انظر الشكل رقم : 32 .



Le Cardinal F. Jímenez de Cisneros

ويرى فوق الصليب المطرقة مباشرة شعار" التسامح" !

وهو مقلـوب ، مبنى ومعنى . "Tolerans"

الشكل رقم : (31)



PIETRO NAVARRO

بيتـرو نافـارو

الشكل رقم : (32)

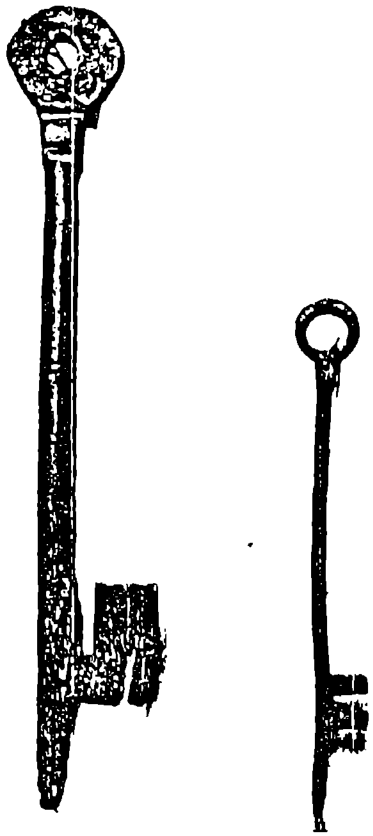
واحتلالهما المدينتين البحريتين ، واعتبارهما إياهما (المدينتين) داخلتين فى النصرانية ، وإلحاقهما ، من حيث الإدارة الدينية ، بـ « الكنيسة المقدسة فى طليطلة » : (« la Santa Iglesia de Toledo »)، ونقل مفتاحى وهران (129) وثريا من مسجدها الكبير (130) إلى طليطلة ، كرمزين لهذا الإلحاق الإدارى والدينى ، أى للغزو الامبريالى الاستدمارى وللمد الصليبى .

وقد بقى الإسبان فى بلادنا مدة : فلم يخرجوا نهائيا من عاصمة الجزائر إلا يوم 27 مايو 1529 على يدى خير الدين (131) ، الذى حرر حصن صخرة الميناء (البنيون El Peñon) (132) ، وخرب جداره الخارجي ، وأعدم قائده الأسبانى مارتين دى فيرغاس Martin de Vergas ، «ضربا بالعصا » (133) ؛ كما لم يخرجوا من بجاية الا سنة 1555 ، على يدى صالح رئيس ؛ ومن مستغانم إلا سنة 1558 ، على يدى حسن بن خير الدين ؛ ومن وهران نهائيا إلا سنة 1792 ، على يدى الداى حسن ، كما سنراه بالتفصيل .

ولئن أخرجهم القائد الجزائرى الشهير قلش علي (134) من تونس وحلق الوادى سنة 1574 ، فمن مليلة وسبتة ، بلد القاضى عياض ، لما يخرجوا بعد !

2) غارة دييغو دى فيرا Diego de Vera يوم 30 سبتمبر 1516 على الجزائر ، وقد لقى فيها شر هزيمة على يدى بابا عروج نفسه (135) ، وانتهت حملته بكارثة (désastre) عليه وعلى اسبانيا . (136)

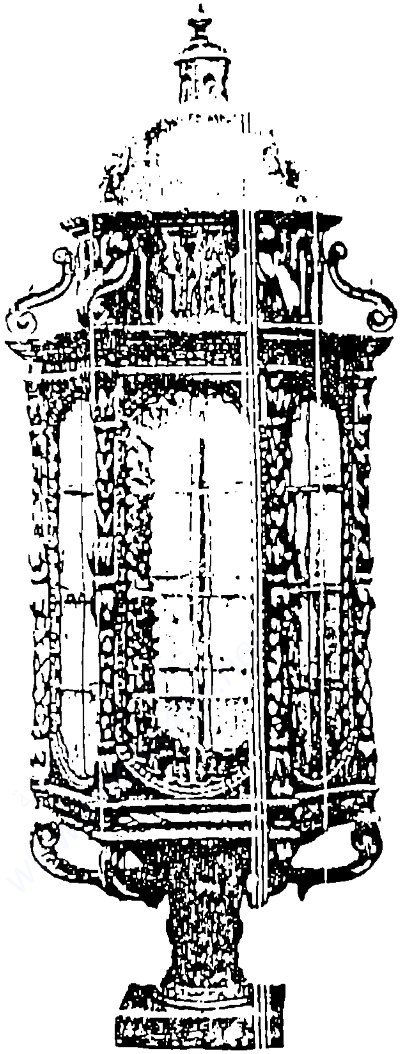
(129) انظر الشكل رقم : 33 .
(130) انظر الشكل رقم : 34 .
(131) انظر الشكل رقم : 35 .
(132) انظر الشكل السابق رقم : 14 .
(133) Ch.-A. Julien : ibid, p. 519.
(134) انظر الشكل رقم : 36 .
(135) انظر الشكل رقم : 36 مكرر .
(136) Ch.-A. Julien : ibid, p. 517.



-Clés d'Oran (1509)

مفتاحا المرسى الكبير ووهران
أخذا إلى اسبانيا رمزا لاحتلال المدينتين
وإلحاق إدارتهما الدينية بـ" الكنيسة
المقدسة" في طليطلة

الشكل رقم : (33)



Trophée algérien (16e siècle)

إحدى ثريات جامع وهران أخذت
غنيمة إلى اسبانيا رمزا لإلحاق
المدينـــــة

الشكل رقم : (34)



خير الديـن (بربروس الثانـي)

الشكل رقم : (35)



ULUCCI ALİ

على قلش

الشكل رقم : (36)



صورة أخرى لبابا عروج (بربروس الأول)

الشكل رقم : (36 مكرر)

ولما فر دى فيرا ناكصا على عقبيه بفلوله الى اسبانيا ، لعنه الكردينال خيمنيث ، ثم سلمه إلى الجماهير التى مزقته شر ممزق.

3) غارة هوغو دى مونكادا Hugo de Moncada على الجزائر فى أوت 1519 (137) ، حيث تحصن بقوة هائلة على كدية الصابون ، ولكن خير الدين دحره ، وغنم منه عتادا هائلا ، ورجع المعتدى بيديه فارغتين ، قانعا من الغنيمة بالإياب ، وكانت محاولته تلك فشلا ذريعا (échec lamentable) (138) .

4) غارة شارل الخامس (شارلكان Charles-Quint) على عاصمة الجزائر يوم 25 أكتوبر 1541 م .

وهو ابن فيليب الجميل Philipp der Schoene = Philippe le Beau، ابن الأمبراطور الألماني ماكسيميليان الأول ، Maximilian der Erste، من ناحية الأب ، وخوانا المجنونة Juana la Loca ، بنت فرناندز الكاثوليكى (139) Fernando El Cathólico (Ferdinand le Catholique)، ملك الأرغون (140) ، وإيسابيل الأولى الكاثوليكية Isabel Primera la Cathólica ، ملكة قشتيليا ، خصمى أبى عبد الله الخليع (141) ، آخر ملوك الأندلس . وهما اللذان تسلما منه مفتاح غرناطة يوم 2 يناير 1492 م فى المكان الذى لا يزال منذ ذلك اليوم حتى هذه الساعة يسمى : « زفرة الأندلسى الأخيرة » « El último Suspiro del Moro » ، كما سبق أن ذكرنا في بدء هذه الدراسة، ونعيد ذكره هنا لكون شارلكان (142) حفيدهما المباشر ، لتأكيد الاستمرارية من جهتهم ، ومواصلة « أداء الرسالة » !

---

(137) انظر الشكل رقم : 37 .

(138) Ch.-A. Julien : ibid, p. 518.

(139) انظر الشكل السابق رقم : 9 .

(140) انظر الشكل السابق رقم : 8 .

(141) انظر الشكل السابق رقم : 11 .

(142) انظر الشكل رقم : 38 .



هوغودي منكـــادا

الشكل رقم : (37)



Charles Quint.

شارلكـــــــان

الشكل رقم : (38)

وهكذا كان شارلكان إذن ملكا وأمبراطورا : ورث ملكا واسعا سنة 1516 م عن جديه الملكين الأسبانيين من ناحية الأم ؛ وأمبراطورية شاسعة سنة 1519 م عن جده الأمبراطور الألمانى من ناحية الأب !

وعندما هاجم الجزائر العاصمة فى اليوم المذكور ، فقد كان ملكا وأمبراطورا بالإرث ثم بالتتويج الرسمى من طرف البابا كليمانت السابع Clément VII ، الذى استدعاه شارلكان خصيصا لذلك من روما إلى مدينة بولونيا ، وقام بذلك الإجراء فعلا فى فيفرى 1536 !

فبهاتين الصفتين إذن : كأمبراطور الأمبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة (143) ، على ألمانيا والنمسا ، وكملك اسبانيا وأمريكا اللاتينية كلها (باستثناء البرازيل) ، والأراضى المنخفضة (هولاندا وجزء كبير من بلجيكا) ، وروما وصقلية ونابولى (أى الجزء الأكبر من إيطاليا) ، وجزء كبير من فرنسا : (le Roussillon, la Picardie, le Jura, le Brabant, le Nord) (144) واللوكسمبرغ ، جاءنا غازيا مهاجما ، معتمدا على قيادته لأكثر من نصف أوروبا وعلى كنوز أمريكا اللاتينية ، والتدعيم الروحى الذى يتمثل فى إعلان البابا ، بولس الثالث ، نداء إلى القيام بحرب صليبية جديدة ضد الكفار (qui publia une croisade contre les infidèles) (145).
بهذا كله أطل أسطول شارلكان على شاطىء عاصمة الجزائر يوم 25 أكتوبر 1541 م ، حسب بعض المراجع ، (أو يوم 20 منه ، حسب مراجع أخرى) . (146)

---

(143) das Heilige deutsch-roemische Reich = le Saint-Empire romain-germanique.
(144) Garrot : ibid, p. 398.
(145) Garrot : ibid, p. 406 ; Galibert : ibid, p. 183.
(146) انظر الشكل رقم : 39 .



Siège d'Alger par Charles - Quint (1541)

الشكل رقم : (39)

« وكان شارلكان يقود الحملة بنفسه . وقد كانت تلك أكبر حملة منذ قرن . فكانت تشتمل على ست مائـة سفينة شراعية تحمل ثلاثة عشر ألف بحرى (13.000) وأربعة وعشرين ألـف جنـدى (24.000) مختارين مـن بـين أحسن جنـود اسبانيا ، وايطاليا ، والمانيا ، وفرسان مالطا .

« وكان من بين مساعدى شارلكان فى هذه الحملة الصليبية قواد أمثال أندريه دوريا (146م) ، القائد العام للبحرية ؛ والبطل فرنان كورتيث (Fernand Cortez) ، الذى غـزا وفتح المكسيك » . (147)

« وقد كان من بين فرسان مالطة فى تلك الحملة الصليبية أحد نبلاء الفرنسيين اسمه : Ponce de Balagner, sire de Savaignac ، يحمل لواء الفرسان . وهو الذى غرس خنجره فى الجزء الخشبى مـن باب عزون ، وهـو يلفظ روحه ، صارخا : « سنعود » ! « Nous reviendrons ! »

« وقد تطلب تحقق هذا التنبؤ ثلاثة قرون كاملة ! » (148) (أى حتى 5 يوليو 1830) !

« وكان راس الحربة مـن هذا الجيش العرمرم المتنوع هـم الستة آلاف مـن الألمان الذين كان عـلى رأسهـم الأمبراطور (شارلكان) نفسه » . (149)

« والذى كان يفزع جيش الأمبراطور هـو احتمال سقوطه أسيرا في أيدى الكفار (أى الجزائريين) ، وهو رئيس المسيحية وممثل الحضارة » . (150)

(146م) انظر الشكل رقم : 39 مكرر .

(147) E. Cat : ibid, t. 1, p. 252 ; Galibert : ibid, p. 180.
(148) Garrot : ibid, p. 408.
(149) Ministère (français) de la Guerre : Aperçu, p. 29 et 35.
(150) Ministère (français) de la Guerre : Aperçu, p. 29 et 35.



André Doria. أنـــدريه دوريا

الشكل رقم : (39 مكرر)

ذكر هذا مرتين !

« وكان علم الجزائر الوطنى ، ذو الحجم الكبير ، بأشرطته الحريرية الثلاثة : الأحمر ، والأخضر ، والأصفر ، يرفرف بجلال وعظمة فوق باب عزون » . (151)

(« le grand drapeau *national* d'Alger, formé de trois bandes de soie rouge, verte et jaune, se déploya majestueusement... »)

« وحسن أغا يشارك بنفسه على رأس جيشه ، بكل شجاعة وفداء ، مثل شارلكان تماما » . (152)

وقد أسفرت غارة شارلكان عن هزيمة نكراء لحقت به ، وكبدته خسائر فادحة ، فترك وراءه آلاف القتلى والجرحى من جيشه العرمرم ، وعتادا ضخما ، ورجع بفلوله إلى أوروبا كسير النفس ، محطم المعنويات : (153)

(« Le moral de l'Empereur était frappé, le mal était sans remède »)

وهكذا تركت هذه الهزيمة فى نفس شارلكان أعمق الجروح ، أفقدته ثقته بنفسه لبقية أيامه ، وهو ممثل المسيحية والحضارة والحفيد المباشر لإيسابيل وفرناندو الكاثوليكيين » ، وبربع قرن فقط بعد وفاتهما ! (154)

ويقول عنها كاط :

« وكانت تلك الكارثة هى التى غرست فى قلوب الدول الأوروبية عقدة الخوف مدة قرون ثلاثة متوالية ، ومنعتها من القيام بأية محاولة جديدة » . (155)

---

(151) Galibert : ibid, p. 181.
(152) Ministère de la Guerre (français), Paris 1830 :
« Aperçu historique, statistique et topographique sur l'Etat d'Alger à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique » (Typographie de J. Pinard, imprimeur du Roi, et Ch. Piquet, géographe ordinaire du Roi et de S.A.R. Monseigneur le duc d'Orléans) p. 28 - 29
(153) » » » p. 29 - 34 - 35
(154) » » » p. 6
(155) E. Cat : ibid, t. 1, p. 252.

كما يقول عنها غاليبير تقريبا بنفس التعبير :

« كما أناخت هذه الكارثة بكلكلها على أوروبا كلها مدة ثلاثة قرون . وكان من شدة الرعب الذى ألقته هذه الهزيمة الحاسمة فى قلوب الدول المسيحية كلها أن تحملت طوال تلك المدة عنجهية البربريسكيين » . (156)

والكلمة الختامية عن هزيمة شارلكان نتركها لوثيقة وزارة الحرب الفرنسية المذكورة :

ويحكى ان شارلكان ، الذى لم يعد إلى اسبانيا مباشرة بعد هذه الكارثة ، خوفا وخجلا ، بل ذهب إلى إيطاليا ، لما أرسل سلسلة ذهبية كهدية إلى الهجاء الإيطالى الشهير أريتان Arétin، وضعها هذا الأخير فى راحة يده ليتحسس وزنها ، ثم قال :

« إنها لخفيفة نوعا ما بالنسبة لخطإ من هذه الفداحة » ! (157)

« وقد كانت مرارة الخيبة عند شارلكان بقدر الآمال التى كانت تملأ جوانحه ـ وجوانح النصرانية كلها ـ ، خاصة أن البابا باولوس الثالث كان قد ألح عليه فى أن يهاجم الجزائر ، وأنه هو نفسه ـ أى شارلكان ـ لم يكن فقط يروم عقاب القرصان الجزائريين الذين كانوا فى ذلك العهد يعيثون فسادا فى السواحل الإسبانية ؛ بل كان يرمى أيضا إلى الانتقام من تحطيم أسطوله أمام الجزائر سنة 1518 م (اثناء غارة هوغو دى مونكادا) ؛ فضلا عن تعطشه إلى المجد والخلود بالتغلب على الجزائر وتنصيرها .

---

(156) L. Galibert : ibid, p. 184.
(157) Ministère de la Guerre (français) : ibid, p. 35.

« ولقد صاحبته في غارته هذه كثير من أسر الضباط والجنود من نساء وأطفال ، للاستيطان في الجزائر بمجرد الاستيلاء عليها » . (158)

5) غارة خوان غاسكون بريغانتين Juan Gascon Bregantine :

وفي سنة 1567 ، جهز ابن شارلكان وخلفه ، فيليب الثاني ، الذي رأى أن تستعمل اسبانيا هذه المرة التخريب المفاجيء بدون لفت نظر بحملة كبيرة ، فأرسل أحد قادة فرسانه ، خوان غاسكون بريغانتين ، إلى الجزائر ، في عهد محمد بن صالح رايس .

ولكن الحيلة لم تنطل على الجزائريين ، « إذ طارد دالي رايس هذا المغامر الرسمي الإسباني ، وقبض عليه ، وأعدم خنقا بأمر من محمد بن صالح رايس » . (159)

وطوال رد هذه الإغارات على العاصمة لم تغفل الجزائر عن العمل لاسترداد وهران ، التي كان قد تمكن منها الاسبان ، كما رأينا ، منذ 1509 ، وحولوها الى حصن استراتيجي منيع ؛ بل ظلت تسعى إلى ذلك باستمرار ، كما يؤكده لنا المؤرخ السويدي المذكور ، ريفتيليوس ، الذي يقول :

« وقد ظل دايات الجزائر (160) يسعون باستمرار ، بدون هوادة ، إلى استرجاع وهران والمرسى الكبير وبقية المدن المحتلة » . (161)

(158) Reftelius : ibid, t. 2, p. 654.
(159) Reftelius : ibid, t. 1, p. 63.
(160) ج داي : كلمة تركية معناها لغويا : الخال ، وسياسيا ، رئيس الدولة ، ورسميا ، كما هو مثبت في عدة معاهدات مع دول عديدة أوردنا بعض نماذجها : رئيس الجمهورية ، كما هو بالحرف على راس عناوين تلك المعاهدات (مثلا مع هامبورغ ، السويد ، الدانمارك ، هولاندا ، وغيرها) .
(161) Reftelius : ibid, t. 1, pp. 57-58.

« فأما بجاية ، فقد حررها صالح رايس في يونيو 1555 م ، وأخذ جميع الإسبان فيها أسرى ، ولم يسمح بالرجوع إلى اسبانيا منهم الا لحاكمها السابق ، دون ألونسودى بيرالتا Don Alonso de Piralta الذى أعدمه فيليب الثانى عقابا له على إضاعة بجاية » . (162) .

« وأما مستغانم فقد حررها حسن بن خير الدين سنة 1558 » .

« وأما بالنسبة إلى وهران والمرسى الكبير : فقد تحقق ذلك سنة 1708 » . (163)

على أن المؤرخ السويدى المذكور يرجع ذلك الانتصار الباهر للجزائريين فى استرداد وهران والمرسى الكبير سنة 1708 إلى عدة عوامل :

« 1) عزم الجزائريين على التضحية بكل شىء فى سبيل استرداد المرسى الكبير ووهران منذ احتلالهما من طرف الإسبان سنتى 1505 و 1509 م ، (وذكر من بين أهم تلك المساعى « محاولة حسن ابن خير الدين فى فبراير سنة 1563 م التى جهزها أحسن تجهيز » . (164)

« 2) تقصير فيليب الخامس ، ملك اسبانيا ، فى إمداد جيشه بوهران بالجنود والعتاد ، لانشغاله فى حرب أخرى .

« 3) غضب بعض أمراء أوروبا — (ولم يذكر أحدا بالاسم) على فيليب الخامس لتقصيره ذلك ، مما جعلهم يمدون الجزائريين بجنود وأسلحة .

(162) Reftelius : ibid, t. 1, p. 63 ; De Grammont (en précisant : le 28 septembre) ibid, p. 81.
(163) Reftelius : ibid, t. 2, p. 688-689.
(164) Reftelius : ibid, t. 1, p. 57-58.

« 4) وأكثر من هذه العوامل كلها : التصرف الجبان للمركيز سانتا كروث (« Santa Cruz ») الذى سلم نفسه وجيشه للعدو (للجزائريين) » . (165)

ويعبر المؤرخ الدبلوماسى المذكور عن مرارته « لوقوع حصن فيليب ، والحامية الإسبانية فيه ، ووهران كلها ، فى أيدى الجزائريين » ، وعن حسرته « على كل ما فقدته اسبانيا هناك من قلاع وخيرات ، وخاصة على الموقع الاستراتيجى الهام لوهران بالنسبة لاسبانيا فى تحركاتها ضد الجزائر العاصمة ... وعلى ضياع المرسى الكبير بأهميته الاستراتيجية القصوى » . (166)

وقد تم استرجاع وهران للمرة الأولى يوم 16 أبريل 1708 م ، والمرسى الكبير فى آخر ذلك العام ، بقيادة مصطفى بوشلاغم ، باى الغرب ، فى عهد الداى المجاهد محمد بكداش (167) ، الذى سهر كل السهر على تحقيق ذلك الهدف .

أما الأسبان ، فقد قالوا عن ذلك :

« لقد خسرنا فى الجزائر بسبب كثرة ذنوبنا ، وازدياد أعداء هذه المملكة الكاثوليكية »
(«creciendo nuestras culpas i los enemigos de esta Cathólica Monarchia»).
وزيادة عن مساعى الجزائريين طوال ذينك القرنين (1509 — 1708 م) لاسترداد وهران والمرسى الكبير ، نظرا لتمكن الإسبان فيهما بالقلاع والحصون ، وخاصة حصن جبل مولاى عبد القادر (الذى سموه « الصليب المقدس» (« Santa Cruz »)) ؛ فقد ظلوا يغزون اسبانيا فى عقر دارها بفضل قوة أسطولهم ، وذلك لسببين اثنين :

---

(165) Reftelius : ibid, t. 2, p. 689.
(166) Reftelius : ibid, t. 2, p. 689.

(167) ومعنى بكداش : الحجر الصلد .

١) إنقــاذ عشرات ـ إن لــم يكونوا مئــات ـ الآلاف مــن الأندلسيين الهاربين بأنفسهم من التنصير أو التعرض للإحراق وانتهاك الحرمات !

٢) كسر شوكــة حملات المد الصليبى الإسبانى ضــد بلدان المغرب كلها .

ولنورد هنا نصا واحدا ولنكتف به :

يقول المؤرخ الفرنسى دى غرامون ، فى افتتاح كتابه المذكور، مــا يلى :

« لقــد حملت الدولة الجزائرية منذ ميلادها ـ (هذا قــول المؤلف ، أما نحن فنقول : منذ انبعاثها سنة ١٥١٦ م) ـ لــواء الجهاد (la bannière du djihad) ضد اسبانيا ، فعاثت فى سواحلها ، وخربت بحريتها وتجارتها ، وأشعلت الثورة فى أجمل ولاياتها، وأفرغت عليها جام غضبها ، وسلطت عليها مــدة طويلة سيف تهديدها بغزوها ، فى الوقت الذى كانت تنتزع فيه منها أولا بأول تقريبا كــل المجال التوسعى الذى كانت قد احتلته عــلى الساحل الإفريقى » . (١٦٨)

دى غرامون استعمل هنا تعبير « لواء الجهاد » . وقد سبق أن رأينا فى بدء هذه الدراسة مؤرخا فرنسيا آخر ، هــو هانرى غارو ، يقول : « إن الجزائر كانت تعتبر نفسها إذ ذاك ميدان الجهاد (le boulevard du djihad) . وهــا هــو مؤرخ فرنسى ثالث ، جوليان ، يقول : « إن أحد أبواب العاصمة ، الذى كان اسمــه باب الجزيرة ، أصبح يحمل اسما ثانيا هو : «باب الجهاد » . (١٦٩)

---

(168) De Grammont : ibid, p. 1.
(169) Ch.-A. Julien : ibid, p. 525.

وفعلا ، فقد كانت الجزائر ، بفضل قـوة أسطولها ، تكيـل اسبانيا كيلا بكيلين ، وتعيد لها « حسناها » مضاعفة ، والحرب كانت سجالا ، والعبرة بالخاتمة !

ولقد ظل الإسبان ، وخاصة منهم الملك فيليب الخامس ورجال الكنيسة ، متحسرين على ضياع وهران من أيديهم ، ويعملون على استعادتها ، وعادوا فعلا بعد ثلاث وعشرين سنة ، كما يلى :
6) غارة الكونت يوسف كاريليون دى مونتيمار البرنوسى (170) :

فى أواخر يونيو 1732 جهـز الملك الإسبانى فيليب الخامس (حفيد لويس الرابع عشر الفرنسى من الأب) أسطولا ضخما أبحر مـن لقنت (Alicante) ، ونزل بالأندلسيات ، وأغار عـلى وهران يوم أول يوليو ، وعلى المرسى الكبير فى اليـوم التالى واحتلهما .

وقد كان ذلك فى عهد نفس الباى الذى كان منذ سنة 1708 عند طرد الإسبان فى المرة الأولى : مصطفى بوشلاغم ، ولكـن الداى لم يعـد محمد بكداش ، بل « محمد كـور عبدى ، الذى حزن حزنا شديدا ، وأضرب عن الطعام ، حتى مات صبرا يوم 3 سبتمبر (1732 م) فى الثامنة والثمانين (88) مـن عمره » . (171) و (172)

ونجد عند ريفتيليوس ، الذى كان إذ ذاك الممثل الدبلوماسى لبلاده (السويد) ، نفس الرواية تقريبا مـن حيث الظروف ، وإن كانت تختلف قليلا من حيث سن الداى عند الوفاة ومن حيث يوم وشهر هذه الوفاة ، مع الاتفاق بينهما على نفس العام .

---

(170) انظر الشكل رقم · 40 ·

(171) E. Cat : ibid, p. 317.

(172) انظر الشكل رقم : 41 ·



الدون كريليـــو البرنوسي دي مونتيمار

الشكل رقم : (40)

consul M. Durand, vit ses vaisseaux préservés; il n'en fut pas de même de la Hollande qui eut recours à la Porte pour obtenir la paix. Un capidji vint donc de Constantinople à Alger pour appuyer la demande des ambassadeurs hollandais. Mohammed-ben-Hassan se déclara prêt à observer la paix avec toute l'Europe, si le sultan voulait bien se charger de la solde de la milice, et comme le capidji insistait, menaçant d'empêcher le recrutement des janissaires en Asie Mineure, le dey répliqua : « Il entre tous les jours dans Alger par la porte Bab-Azoun autant de bons soldats qu'on en peut recruter à Smyrne en un an, » et il congédia les ambassadeurs sans leur rien accorder. En 1724 il fut tué dans une révolte suscitée par les reïs.

Cur-Abdi (1724-1732)

Les conjurés, quand ils se rendirent à la Jénina, trouvèrent que Cur-Abdi, agha des spahis, venait d'être proclamé; ils furent reçus à coups de fusil, dispersés, puis massacrés. Le nouveau dey, vieux soldat d'un bon caractère et d'une grande finesse, avait par moments des accès de folie furieuse, causés par l'usage de l'opium. Il continua la poli

الشكل رقم : (41)

tique de son prédécesseur, refusa de traiter avec la Hollande ou avec l'Empire, et tout en montrant une certaine déférence à la Porte, n'accéda en rien aux demandes du sultan. Ce n'est que plus tard que les Hollandais et les Suédois obtinrent la paix à prix d'argent. La Porte, en 1730, parut vouloir détruire l'autorité des deys; un vaisseau ottoman, portant un capidji et 45 personnages qui devaient être les principaux fonctionnaires, vint en rade d'Alger. On lui intima l'ordre de se retirer à Matifou et de s'abstenir de toute communication avec la terre, s'il ne voulait pas qu'on ouvrît le feu sur lui. Il dut repartir quelques jours après. Cependant l'Espagne ne se consolait point de la perte d'Oran et de Mers-el-Kébir et faisait des armements considérables pour réoccuper ces deux postes. En 1732 une armée de 28,000 hommes débarqua dans la plaine des Andalouses près d'Oran; cette ville et Mers-el-Kébir, privées de défenseurs par suite d'une grande défaite qu'essuya le bey d'Oran, tombèrent au pouvoir des Espagnols. Cur-Abdi, attristé par ces nouvelles, refusa de prendre aucune nourriture, fuma pendant quelques jours de l'opium et mourut le 3 septembre 1732 à l'âge de 88 ans. Son beau-frère, le Khaznadar, lui succéda sans opposition.

تابع للشكل رقم : (41)

يقول ريفتيليوس :

« بمجرد أن بلغ الخبر إلى الجزائر ، كان هناك رد فعل قوي عند كل من الشعب والداى محمد عبدى ، الذى سارع إلى إرسال ابنه الفريق (الجنرال) سليمان على رأس مدد قوى إلى وهران ، ولكنه عندما وصل وجدها محتلة من الإسبان ، وكان قد غادرها الباى وسكانها قبل وصول الإسبان .

« وكان غضب الداى عبدى شديدا عندما سمع أن باى الغرب (مصطفى أبا الشلاغم) الجبان ، الخائف من ظله ، قد أرخى أذنيه ويديه ، عند اقتراب الإسبان ، ولاذ بالفرار كالأرنب بدون حياء ولا خجل :
(« den skuggraedde Beyen skulle saa laata skraemma sig utaf Spaniorerna att snoepligen ta till hare-vaerjan och laemna baade staden och faestningen i sticket »)
تاركا لهم المدينة وحصونها لمصيرها ، ومسلما لهم فيها .

« وقد أثر فى الداى عبدى هذا الضياع المفاجىء لمثل ذلك المركز الهام تأثيرا كبيرا . وكان الوقع عليه من الشدة ، والحزن من العمق ، بحيث داهمه المرض ، فاعتكف فى بيته ، تنهشه الأفكار السوداء ، ولم يطل به الأمد كذلك ، حيث مات غما يوم 23 أغسطس (1732) ، وهو فى الثالثة والثمانين » . (173)

« ولئن حاول الباى أبو الشلاغم أن يتدارك موقفه ، وانضم إلى الفريق سليمان بن الداى عبدى للمقاومة حول وهران بعد احتلال الإسبان إياها ، فإن الداى عبدى ظل غاضبا عليه لإدمانه (أى الباى أبى الشلاغم) على الخمر ، فسخطه الداى ، وأمر بإعدامه خنقا » . (174)

(173) Reftelius : ibid, t. 2, p. 323.
(174) Reftelius : ibid, t. 1, p. 207.

وربما كان السبب الحقيقى لهذا العقاب ، ـ إن صح ، والذى لم نجد له ذكرا فى كتب أخرى ـ ، هو ما ذكره المؤلف عن موقف الباى أمام الإسبان ، وتراخى يقظته ، وتهاونه فى السهر على تحصين المدينة والدفاع عنها ، بحيث فاجأه الإسبان ولم يثبت أمامهم . أم أن هذا « الإدمان على الخمر » كان السبب فى ذلك التهاون ؟

وان كان هذا كله صحيحا ، فهو أمر مؤسف جدا بالنسبة للباى أبى الشلاغم ، الذى لم يحظ بحسن الخاتمة ، وهو الذى كان له ذلك الموقف البطولى سنة 1708 فى عهد الداى محمد بكداش ، عندما نجح فى طرد الإسبان من وهران والمرسى الكبير بعد اقامتهم فيهما محتلين طوال قرنين كاملين ، كما سبق أن ذكرنا ، وكما يظهر أيضا من سياق حديث مؤرخنا السويدى فى كتابه ذى القيمة الكبرى .

ولئن حرصنا هنا على التركيز على روايته ، فلأنه عاش الحدث ، إذ كان ، كما سبق أن ذكرنا ، الممثل الدبلوماسى لبلاده لدى الداى عبدى ، وإن كان موقفه مزدوجا : فمن جهة نجده يأسف حقا للداى عبدى ، لما سبق أن رويناه عنه من علاقته الشخصية به وبما يكنه له من كل تقدير واحترام ؛ ومن جهة أخرى نراه يعبر عن فرحه العميق برجوع الإسبان إلى وهران ، باسم « الحضارة المسيحية » .

ومن هنا نأخذ منه الجانب الإيجابى ، وننظر إلى السلبى منه بكل حذر ، ويقظة ، وانتباه .

ونعود إلى خاتمة هذه المرحلة السوداء، فنروى عنه إذ يقول : « وفى المعارك التى وقعت بعد وصول الفريق سليمان ابن الداى عبدى بالمدد إلى وهران ، سقط المركيز سانتا كروث

Santa Cruz (175) مــن عــلى فرسه مجروحا يوم 22 نوفمبر 1732) دائما) ، ومزقه الجزائريون شر ممزق ، وإن كان البعض لا يزال حتى الآن يشك فيما إذا مات حقيقة فى تلك اللحظة بين أيديهم ، أم أخذوه معهم أسيرا بين ظهرانيهم » (176)

وقد بنى لــه الاسبان ضريحا ـ لا يزال البعض منا ، مــع الأسف ، حتى اليوم يزوره بالشمع والجاوى ـ على جبل وهران ، الــذى كانــوا يسمونه سانتا كــروث Santa Cruz (الصليــب المقدس) ، ونسميه نحن الآن مولاى عبد القادر ، وأقاموا حوله مدفعيتهم ، المشرفة إذ ذاك على البحر والمدينة ، التى ظلت مدة عائقا كبيرا ، بــل خطرا قاتلا ، دون أى اقتراب مــن المدينة ، لا برا ولا بحرا ، ولم تكن الطائرات إذ ذاك موجودة .

ويستمر ريفتيليوس ، بل يختم فيقول :

« وعاد الجزائريون فى السنة الموالية (1733) ، ولم يتركوا للإسبان راحة بعد ذلك . ولكن الإسبان انتصروا فى النهاية ، وعاشوا فى وئام مع عروش بنى عامر الذين يزودونهم بكل ما يحتاجون إليــه من مــواد غذائية ، كأتباع للمسيحيين ، الذين يعاملونهم برفــق ، ويسددون لهم الثمن نقــدا ، مما يساعــد الإسبان على التفرغ لإقامة الحصون والاستحكامات .

« وبفضل هذه النهاية الموفقة لهذه الحرب ، وفى ظــل هذا النصر الساحق الذى أحرزه الإسبان فى وهران (177) ، والذى هلل له العالم النصرانى كلــه ، عادوا يسيطرون ، اليوم مــن جديد ، على المدينة وضواحيها ، عاملين على نشر الدين النصرانى

(175) انظر الشكل رقم : 42 .

(176) Reftelius : ibid, t. 2, p. 694.

(177) انظر الشكل رقم : 43 أ ، و ب .



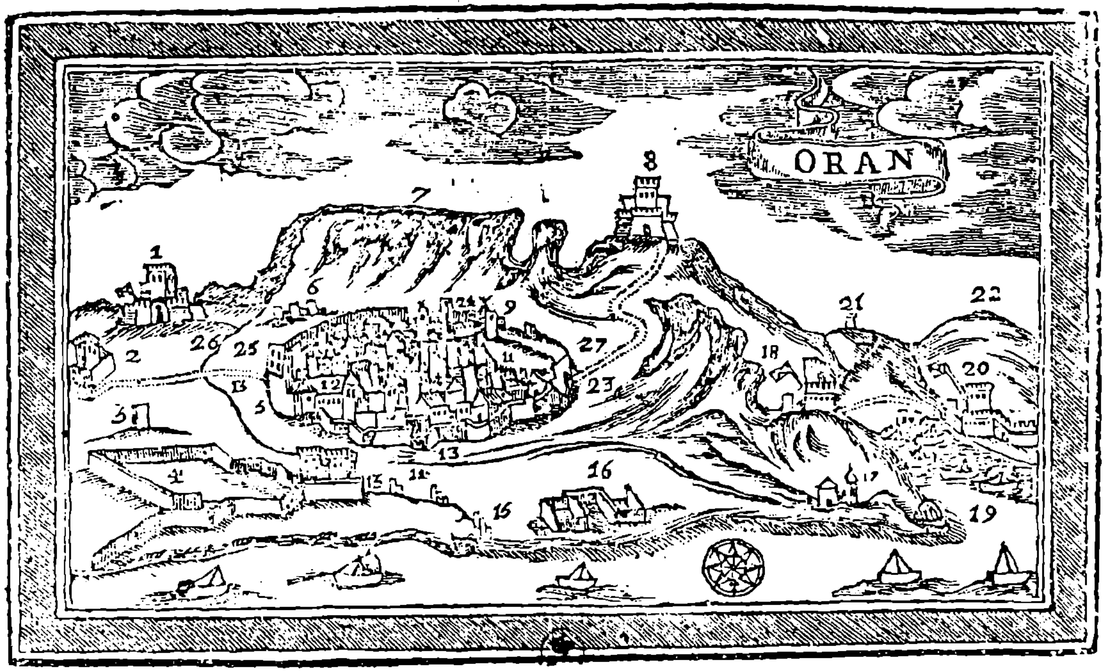
(مركيز "الصليب المقدس")

(Santa Cruz)

الشكل رقم : (42)

PLANTA, Y DESCRIPCION DE LA CIVDAD DE ORAN, DE SVS FORTALEZAS, Y CASTILLOS, CON LA DE EL FUERTE, BAHIA, O PUERTO DE MAZARQUIVIR: Y VERDADERA; AUNQUE BREVE RELACION, DE SU GLORIOSA CONQUISTA por las victoriosas Armas de nuestro Catholico Monarcha Felipe Quinto (que Dios guarde) en el presente año de 1732.

A las 14. leguas à Levante està Mostagan possido de Turcos; y à dos leguas Canastel, poblado de Moros de paz.



A las 20. leguas de Oran a 3. dias, tierra adentro, està la Ciudad de Tremecen, possida de Turcos.

منظر عام لمدينة وهران سنة 1732

... frente de el Puerto de Cartagena, està plantada la Ciudad de Orán à los treinta y ocho grados de la Equinocial; y al Polo Artico. Su forma es, como se demuestra, ovalada, y en su recinto puede contener de tres à quatro mil vecinos, aunque su ordinaria Poblacion solo es de seiscientos, sin contar la Soldadesca, que està de guarnicion, y Presidio. Està toda circunvalada de murallas, con sus cubos, y baluartes para una regular defensa, cerrandola fuertemente las tres puertas de Tremecen, (*Num.25.*) Canastel, (*Num.5.*) i Mallorca (*Num.23.*) Los edificios mas notables, que la adornan, son la Iglesia de Sta. Maria, (*N.9.*) el Palacio, ò Casa fuerte de la Alcazaba, (*N.24.*) i los tres Conventos de S. Francisco, (*N.12.*) Sto. Domingo, (*N.11.*) i N. Sra. de la Merced. (*N.10.*)

A la parte del Medio dia la domina una pelada Montaña, llamada la Meceta, (*N.7.*) i para su defensa, i la de la Ciudad tiene à los lados los Castillos de S. Felipe, (*N.1.*) i Sta. Cruz, (*N.8.*) cuya artilleria barre à quantos enemigos se le opongan en la planicie, que hace la montaña, ò en su falda: estos dos Castillos son la principal defensa de la Ciudad. Al Occidente guarnece à la Ciudad el Castillo de S. Gregorio, (*N.18.*) coronando una eminencia. Al Oriente el de S. Andres, (*N.2.*) la Torre de Madrigal, (*N.3.*) i el Castillo de Rosalcazar, (*N.4.*) que señorea tambien à la Marina. I al Norte la baña el Mediterraneo, que se extiende como quarenta leguas hácia Cartagena.

Entre la Meceta, i la Muralla, i cercano à la Ciudad, se ve el pequeño Lugar de Ifre, (*N.6.*) habitado de los Moros de paz. En la Marina hai unos Corrales (*N.16.*) con sus fuertes parapetos, que sirven de guardar las Barcas de noche, para que no se huyan en ellas los Esclavos, ò los Presidiarios. A la falda de la Meceta, que està à vista del Castillo de S. Felipe, nace la Fuente (nombrada de arriba) (*N.26.*) tan copiosa, que forma un abundante Arroyo, con fundadas presunciones de Rio; porque despues de regar con sus aguas cincuenta Huertas, (*N.13.*) que hermosean, i deleitan con un medio circulo à la Ciudad, pone en exercicio diversos Molinos harineros, (*N.14.*) i Batanes, (*N.15.*) pagando por fin su ordinario tributo al Mar.

Saliendo por la Puerta de Mallorca, se camina una legua à Poniente, dexando à la mano derecha la Ermita de N. Sra. del Carmen, (*N.17.*) i à la izquierda el Castillo de S. Gregorio, i se llega à la Bahia, ò Puerto (*N.19.*) de Mazarquivir, ò Almarza (que es una misma cosa) haciendo alli el Mar, como una ensenada, en que dan fondo las Embarcaciones, i quedan resguardadas con el fuerte Castillo de Mazarquivir, (*N.20.*) labrado sobre peña viva, i solo dominado de la Montaña, que llaman del Santo, (*N.22.*) en donde los Mahometanos hicieron frente à nuestro Exercito, i fueron desalogados. Hai tambien en Mazarquivir su poblacion, assistida en lo espiritual con la Parochia de S. Miguel.

En el año de 1509. movido del zelo de la dilatacion de la Fè, sacò à esta Ciudad de Orán del poder de los Infieles Mahometanos à 18. de Mayo, el Venerable Señor Cardenal Don Frai Francisco Ximenez de Cisneros, gloria de España, i ornamento del Orden Seraphico, fundando en ella los tres Conventos, que llevo referidos, i la Iglesia de Santa Maria de la Victoria, por la que lograron sus Armas, i sus Oraciones; i desde entonces quedò agregado su govierno espiritual à la Santa Iglesia de Toledo, de quien era dignissimo Arzobispo, hasta los años de 1707. i 1708. en que creciendo nuestras culpas, i los Enemigos de esta Catholica Monarchia, se perdieron los Castillos, se abandonò la Ciudad, i se rindiò à la necessidad la fuerza de Mazarquivir, sin que bastasse el ardor de la Fè del V. P. Fr. Melchor Aubert, Vicario del Convento de la Merced, i de sesenta i dos años de edad, que se encerrò en el Castillo de S. Gregorio con solos cincuenta Soldados, con animo de perder todos la vida en su defensa, como la perdieron, ressistiendo primero valerosamente à siete furiosos abances de Turcos, i Moros, que contaron setecientos menos, i no pudieron triumphar de Christiano alguno vivo.

Con la pèrdida de Mazarquivir quedaron muchos Cautivos Christianos en Orán, sin mas consuelo, que el recibido en varias ocasiones por la Redemptora Religion de la Merced; pero sus continuos clamores fueron atendidos de Dios, que excitò el fervoroso zelo de su honra, en que se abrasaba nuestro Catholico Monarcha Phelipe Quinto, siempre que se acordaba (i era muchas vezes) de su esclavitud, i de la pèrdida de Orán. Juntò en Alicante las Naves, Pertrechos, i Tropas, que son bien notorias; i eligiendo por Capitan General al Señor Conde de Monte-Mar, le diò orden para el recobro de lo que le causaba tanto dolor.

Se hizo à la vela nuestra armada, i al 28. de Junio diò fondo con felicidad en la Playa de las Aguadas, una legua al Poniente de Mazarquivir, antes de llegar à Cabo Falcon. Dia 29. se empezò el desembarco de las Tropas, presentandose en la playa para su oposicion una amontonada multitud de Moros; pero el fuego de la Artilleria retirò con pèrdida à los Ginetes Africanos. Desembarcò la mayor parte de nuestro Exercito, huvo algunas escaramuzas con los Moros, en que perecieron algunos, ocho se passaron à nuestro Campo, i los demàs, hasta el numero de 149. caballos, i 89. Infantes se retiraron à la montaña, que domina à Mazarquivir, i llaman del Santo.

Dia 30. acabò de salir à tierra nuestra Caballeria, i todo el Exercito se empeñò en atacar à los Enemigos en la montaña. Executòlo con tanto ardor, que en el espacio de dos horas i media los desalogaron, poniendolos en precipitada fuga, à costa de inmensa sangre, que dexaron vertida, reduciendose nuestra pèrdida à la de un Capitan de Dragones del Regimiento de Lusitania, como cien Soldados heridos, i treinta muertos. Dia primero de Julio, con la noticia de haver desamparado los Moros los Castillos, i Plaza de Orán, entraron nuestras Tropas triumphantes con su possession, i hallaron 132. piezas de Artilleria, muchissimas municiones de guerra, i boca, i los Soldados se entretuvieron en limpiar los omenages mas manuales de las casas. Dia 2. se rindiò à discrecion Mazarquivir, i se hallaron surtos en su Puerto cinco Bergantines, i una Galeota, que seràn de no poco servicio à la Plaza. Dieronse gracias à Dios por esta victoria, debida à su extraordinaria providencia: en cuya confianza pueden decir nuestras Tropas, casi con las palabras del Cesar: *Llegamos, peleamos, i vencimos.* Sea todo para gloria de su Divina Mageslad, i exaltacion de su Santa Fè.

1 Castillo de San Phelipe.
2 Castillo de San Andres.
3 Torre de Madrigal.
4 Castillo de Rosalcazar.
5 Puerta de Canastèl.
6 Ifre, Lugar de Moros.
7 La Montaña de la Meceta.
8 Castillo de Santa Cruz.
9 Iglesia de Santa Maria.
10 Convento de Nuestra Señora de la Merced.
11 Conv. de S. Domingo.
12 Convento de S. Francisco.
13 Huertas de Orán.
14 Molinos harineros.
15 Los Batanes.
16 Corrales de las Barcas.
17 Ermita de nuestra Señora del Carmen.
18 Castillo de S. Gregorio.
19 Bahia, ò Puerto de Mazarq.
20 Castillo de Mazarquivir.
21 Atalaya.
22 Montaña del Santo.
23 Puerta de Mallorca.
24 La Alcazaba.
25 Puerta de Tremecen.
26 Arroyo, ò Rio.
27 Camino para el Cast. de S. ✠

Se ha tomado el trabajo desta puntual descripcion, estampando la verdadera planta de Orán con los numeros, que se ven en ella para su claridad, i comprehension, à instancia de algunos entendidos, que viendo las apocrifas, i ridiculas plantas, que desta Ciudad, ò Plaza, se han sembrado en Madrid, sin mas fundamento para lo formal, que la imaginacion, se lastiman, de que se engañe al publico, haciendole creer à bulto, lo que es ageno de toda verdad; por lo que la pone su Author, Religioso de la Merced, con todo rendimiento en manos del Illustrissimo Señor Governador del Real Consejo, i dignissimo Arzobispo de Valencia.

Con las licencias necessarias. Reimpresso en Sevilla, en la Imprenta de las Siete Revueltas.

الشكل رقم : (43 ب)

الكاثوليكى فى أوساط الجزائريين ، وهم غصة فى حلق الداى الجزائرى وأتراكه الأباة » . (178)

وبهذا ختم كتابه هذا الذى كان فى جزئين وملحق لهما خاص بعودة الإسبان هذه إلى وهران .

(7) غارة أوريلى سنة 1775 ، أو : حرب العشر سنوات 1775 ـ 1785 :

« وفى سنة 1775 ، بينما كان الداى محمد عثمان يواجه تهديدا ثلاثيا من السويد ، وانجلترا ، وروسيا بإعلان حرب منها عليه ، فإذا باسبانيا تعلن عن نفسها خصما رابعا ، ونفذت فعلا تهديدها ، إذ هاجم الأسطول الإسبانى ميناء الجزائر (العاصمة) يوم أول يوليو تحت قيادة دون بيدرو كستيخو Don Pedro Castejo والجنرال أوريلى O'Reilly (الإرلندى الأصل فى خدمة الملك الإسبانى شارل الثالث) » . (179) « بجيش من الإسبان، والإرلنديين، والسويسريين، والبلجيكيين الوالون (Wallons) » . (180)

وقد واجههم الداى محمد عثمان نفسه ، (وهو يقارب الثمانين) ، ومعه حسن الخزناجى ، (الذى خلفه فيما بعد وأصبح الداى حسن) ، وصالح الإزميرلى ، (صالح باى) ، باى الشرق ، ومحمد عثمان الكبير ، باى الغرب . (181)

« وقد جهز الإسبان لها أربعمائة وحدة بحرية وخمسة وعشرين ألف رجل ، (تحت قيادة القائدين المذكورين) . (182)

(178) Reftelius : ibid, t. 2, p. 695.
(179) E. Cat : ibid, p. 324.
(180) Ministère (français) de la Guerre : ibid, p. 51.
(181) انظر فى هذا بالعربية أحمد توفيق المدنى : حرب الثلاثمائة سنة ، ص 488 .
(182) انظر الشكل رقم : 44 .

Guerre avec l'Espagne (1776-1786) ; mort de Mohammed

Peut-être cette situation contribua-t-elle à donner au dey une certaine arrogance ; nous le voyons en 1772 chasser le consul d'Angleterre et refuser de le recevoir pendant plusieurs années, puis il laissa insulter le consul de Suède et, en 1774, il avait à craindre la guerre avec l'Angleterre, la Russie, la Suède et surtout l'Espagne, dont les côtes étaient sans cesse ravagées par les reïs. En vue de ces éventualités il réunit toutes les forces de la Régence, augmenta les fortifications d'Alger. L'Espagne avait armé 400 voiles et 25,000 hommes ; la flotte était commandée par Don Pedro Castejo, et le général O'Reilly était chef de l'armée. Les navires furent en vue d'Alger le 1[er] juillet ; on trouva la côte hérissée de batteries ; pourtant les soldats abordèrent à l'ouest de l'embouchure de l'Harrach le 8. Mais en moins de vingt-quatre heures les soldats espagnols, placés dans une position désavantageuse, manquant de sommeil, de vivres et de munitions, circonvenus par un ennemi bien supérieur en nombre, furent obligés de se rembarquer après avoir perdu plus de 2,600

d'entre eux. O'Reilly paraît en toute cette affaire avoir manqué d'initiative et de coup d'œil. L'expédition longuement préparée échoua ainsi misérablement, et l'Afrique musulmane [illegible] la victoire de l'habile et glorieux M[illegible]

L'Espagne espérait bien prendre [illegible] mais il lui fallait du temps et, d'ailleurs, ses forces navales étaient occupées alors dans la guerre contre l'Angleterre. Aussi tandis qu'elle [illegible] une croisade contre la Régence avec [illegible], Naples, Malte et Livourne, elle offrit [illegible] aux deys la paix à des conditions avantageuses ; le dey refusa. En vain l'Espagne fit appuyer ses propositions par un envoyé du sultan, Mohammed refusa obstinément la paix, disant : qu'il savait bien que Charles III préparait une armada contre lui et qu'il ne voulait pas paraître en avoir peur. L'amiral espagnol Don Antonio Barcelo, en 1783, partit de Carthagène et bombarda Alger, du 1[er] au 9 août. Les Algériens répondirent avec vigueur ; une de leurs sorties causa même quelques dommages à la flotte assiégeante ; celle-ci dut se retirer ayant épuisé ses munitions ; elle n'avait guère fait de mal qu'aux maisons. A peine s'était-elle éloignée que Mohammed fit réparer toutes les brèches, construire de nouvelles défenses et amasser

الشكل رقم : (44)

« ولكن هذه الحملة المعدة منذ مدة طويلة ، والتى جندت فيها اسبانيا خمسة وعشرين ألف رجل ، وأربعمائة وحدة بحرية ، انتهت بسرعة بفشل ذريع للإسبان ، الذين تركوا فيها ألفى وخمسمائة قتيل ، وولوا مدبرين ، واحتفلت افريقيا الإسلامية احتفالا كبيرا بانتصار القادر المجيد الداى محمد عثمان » (183)

ويقول عنها المؤرخ الأمريكى بارنبى :

« وقد كان أوريلى نصح للضباط ، بل وحتى للجنود (عند الابحار من ميناء قرطاجنة قبالة وهران) ، بأن يصطحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم فى هذه الغارة للتفرج على قهر الجزائر نهائيا . وقد كانت فعلا أكبر غارة بحرية أوروبية حتى ذلك اليوم ، ولكنها كانت كارثة لاسبانيا » . (184)

كما علقت عليها وزارة الحرب الفرنسية بقولها :

« وقد ترك الإسبان وراءهم كثيرا من المدافع والعتاد » (185) وأضافت :

« ولقد رأينا أن الجزائريين كان لديهم جيش كبير ، وقادة أكفاء ، وبرهن عديد من البايات على شجاعة كبيرة وكفاءة ، وأكثرهم الداى محمد عثمان ، الذى كان مثال التبصر والحزم » . (186)

(8) غارة دون انطونيو بارثيلو (187) Antonio Barcelo سنة 1783 :

---

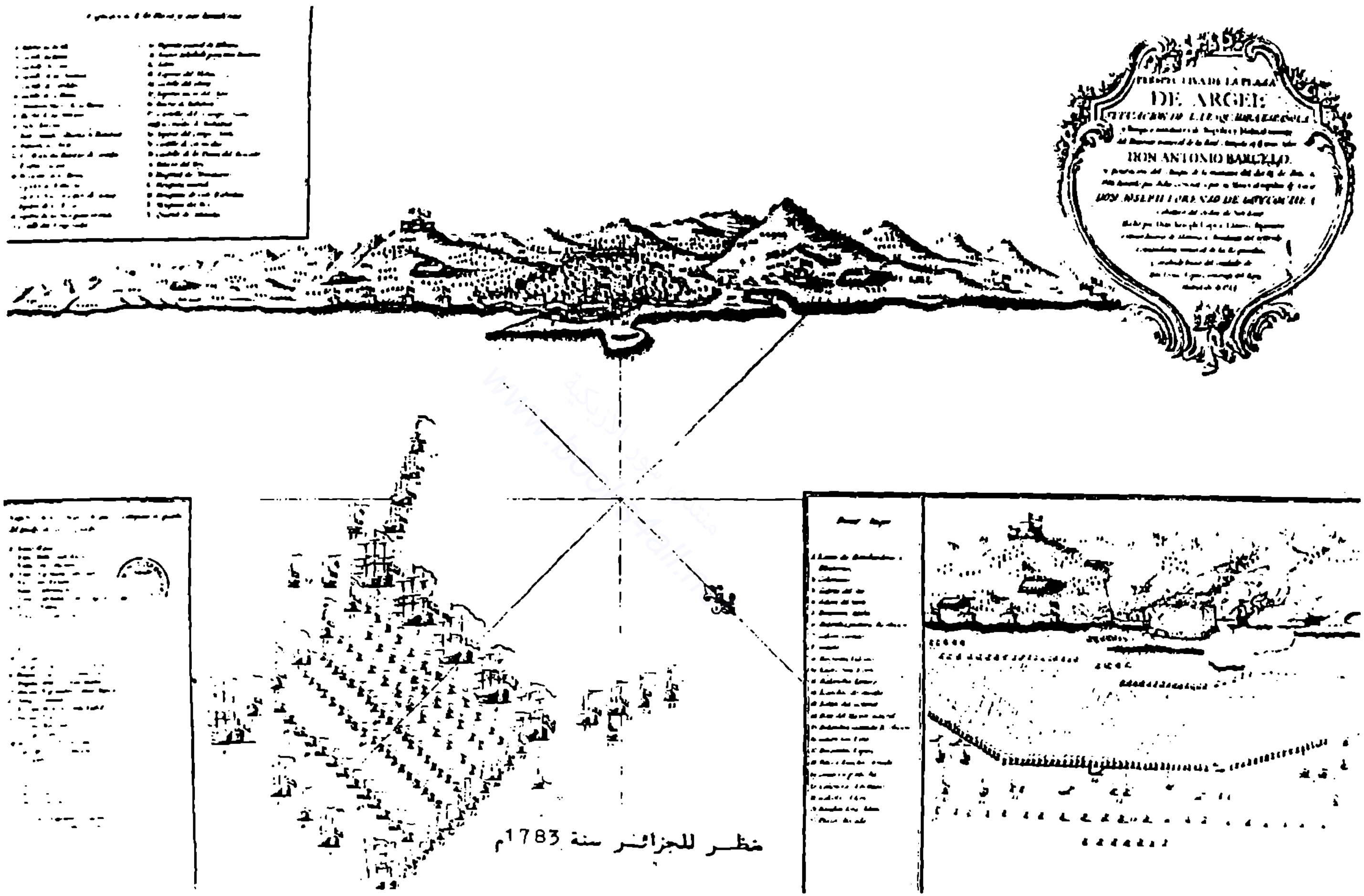
(183) E. Cat : ibid, pp. 324-325.

(184) H. G. Barnbay : The Prisoners of Algiers : An Account of the forgott American-Algeri ian War 1785-1795, p. 39 (Oxford Library 1966 : Londoı New-York - Tor onto).

(185) Ministère (fran; ;ais) de la Guerre : ibid, p: 56.

(186) Ministère (fr:an çais) de la Guerre : ibid, pp. 58-59.

(187) انظر الشكل رقم 45 .



منظر للجزائر سنة 1783م

الشكل رقم : (45)

(1) ش. ج. د ـ 6

ويقول دى غرامون :

« ولم تفد التنازلات التى رأى ملك اسبانيا ، شارل الثالث ، أن عليه أن يقدمها للداى محمد عثمان ، (من إتاوة ، والتزام بالخروج من وهران ، الخ) .

« فقد رفض الداى محمد قبـول عرضه بعقد السلم ، رغم التجاء شارل الثالث الى الخليفة العثمانى ، الذى أرسل مبعوثا خاصا الى الجزائر للتوسط له لدى الداى ، الذى أجاب المبعوث العثمانى الخاص ، رافضا توسط الخليفة الذى أرسله :

« انـى اعرف أن شارل الثالث يعد حملـة ضدى . ولكنى لا أخافه » .

« وذلك أن الداى محمد عثمان كان مطلعا كل الاطلاع على سير المفاوضات التى كان الملك الإسبانى يجريها سريا فى الوقت ذاته مع كل من جنوة ، ونابولى ، ومالطة ، وليفورن ، لإقناعها بالانضمام إلى الحملة الصليبية التى كان البابا بيوس السادس ينادى بها ، والتى قد أحكم تنظيمها وإعدادها ، ولم يمنع من تحقيقها سنـة 1780 إلا الهزيمة التى ألحقها الأنجليز بالأسطول الإسبانى فى قادش . (188)

« وفى مواجهة تكتل دول البحر الأبيض المتوسط القـوية (بأساطيلها) ، فلم يهن الداى محمد ، ولم يفشل ؛ بـل ضاعف من نشاطه وجرأته أكثر من أى وقت مضى ؛ فبنى اثنتى عشرة سفينة حربية جديدة ؛ وأعلن الحرب على الأمبراطورية الألمانية، رغم توسطات وإلحاحات الباب العالى ؛ كما بنى أيضا مائة وحدة بحرية مزودة بالمدافع للدفاع عن خليج وميناء الجزائر ؛ وأشرف

(188) De Grammont : ibid, p. 330.

بنفسه يوميا على التدريبات ، متكبدا كل ذلك العناء رغم سنه (قرب الثمانين) ، ومرضه المـزمن ، والمجاعة التى كانت قـد اجتاحت الجزائر منذ سنة 1778 بسبب وباء الجراد ، الذى أتى على كل شىء ولم يعد يجد ما يأكله غير نفسه » . (189)

« وفى هذا الجو جاء الأميرال الإسبانى انطونيو بارثيلو (190) على رأس أسطول ضخم ، مهاجما عاصمة الجزائر يوم أول أوت 1783 ، بالتعاون مـع البرتغال ، وبمباركة مـن البابا المذكور (وكانت تلك الحملة الإسبانية التاسعة على الجزائر منذ 1505م).

« ولكن الداى محمد عثمان (الذى كان ينتظره ، كما ذكرنا)، واجهه بكل استعداد وقوة ، وألحـق خسائر بأسطولهم ، فرجع بارثيلو ناجيا بنفسه ، تاركا وراءه خسائر فادحة » . (191)

وقـد كتب القنصل الفرنسى العـام فى الجـزائر اذ ذاك ، دوكيرسى De Kercy ، إلى حكومته ، عن هذه الحملة التى دامت تسعة أيام ، ورد الجزائريين عليها ، ما يلى :

« وقد كان الجزائريون أول من يبدأ وآخر من يتوقف . » :
(« Ils commencent les premiers et finissent les derniers ») (192)

(9) الغارة الثانية للأميرال بارثيلو سنة 1784 :

وهى الغارة الإسبانية التاسعة ، مما ذكرنا هنا ، والعاشرة فى الحقيقة ، والأخيرة ، وقد أغفلنا ذكـر غارات ثلاث أخرى قبلها ثانوية غير ذات قيمة كبرى .

بقيت آثار وذكرى انهزام الإسبان سنة 1783 تحز فى نفوسهم، والبابا بيوس السادس (Pie VI) من ورائهم يستحثهم على إعادة الكـرة ...

---

(189) De Grammont : ibid : pp. 330-333.

(190) انظر الشكل رقم : 46 .

(191) E. Cat : ibid, p. 325.
(192) De Grammont : ibid, p. 330.



— Combat entre l'escadre de don Barcelo et les Barbaresques.

الشكل رقم : (46)

وفى التاسع من يونيو من السنة التى بعدها (1784) ، عاد الأميرال بارثيلو فعلا إلى الجزائر « فى إطار حملة صليبية حقيقية » (193) («une véritable croisade») ، بمائة وثلاثين سفينة كبرى (194) ، فى تكتل وتحالف مع فرسان مالطا (195) ، ونابولى ، بمباركة من البابا مقدما ، ودحروا هذه المرة أيضا أكثر من ذى قبل ، وكانت آخر محاولة لهم ضد الجزائر نهائيا » . (196)

« وقد حرص الداى محمد عثمان طوال مدة تلك الحروب على ضمان حفظ النظام ، وسير الأمور ، بكل شدة ، كعادته » . (197)

أما كاط فيقول :

« وفى العام التالى 1784 عاد الأميرال بارثيلو بأسطول أضخم مما كان فى العام السابق . ولكن الجزائريين برهنوا على شجاعة كبيرة ، وأوقفوا أسطول العدو بعيدا عن المدينة .

« وهكذا اضطر الإسبان إلى أن يعودوا ، مرة أخرى ، من حيث أتوا ، بدون الحصول على أية نتيجة ، واضطر ملك اسبانيا إلى عقد معاهدة مع داى الجزائر ، وإلى القبول بأقسى الشروط ، سنة 1786 » . (198)

ونعود إلى دى غرامون ، الذى يطلق زفرة التأسف والتحسر العميق ، فيقول :

« وفى الليل عقد الأميرال بارثيلو (199) مجلسا حربيا أعلن فيه قراره بشن غارة شاملة على عاصمة الجزائر ، ولكن اقتراحه

---

(193) De Grammont : ibid, p. 336.

(194) انظر الشكل رقم : 47 .

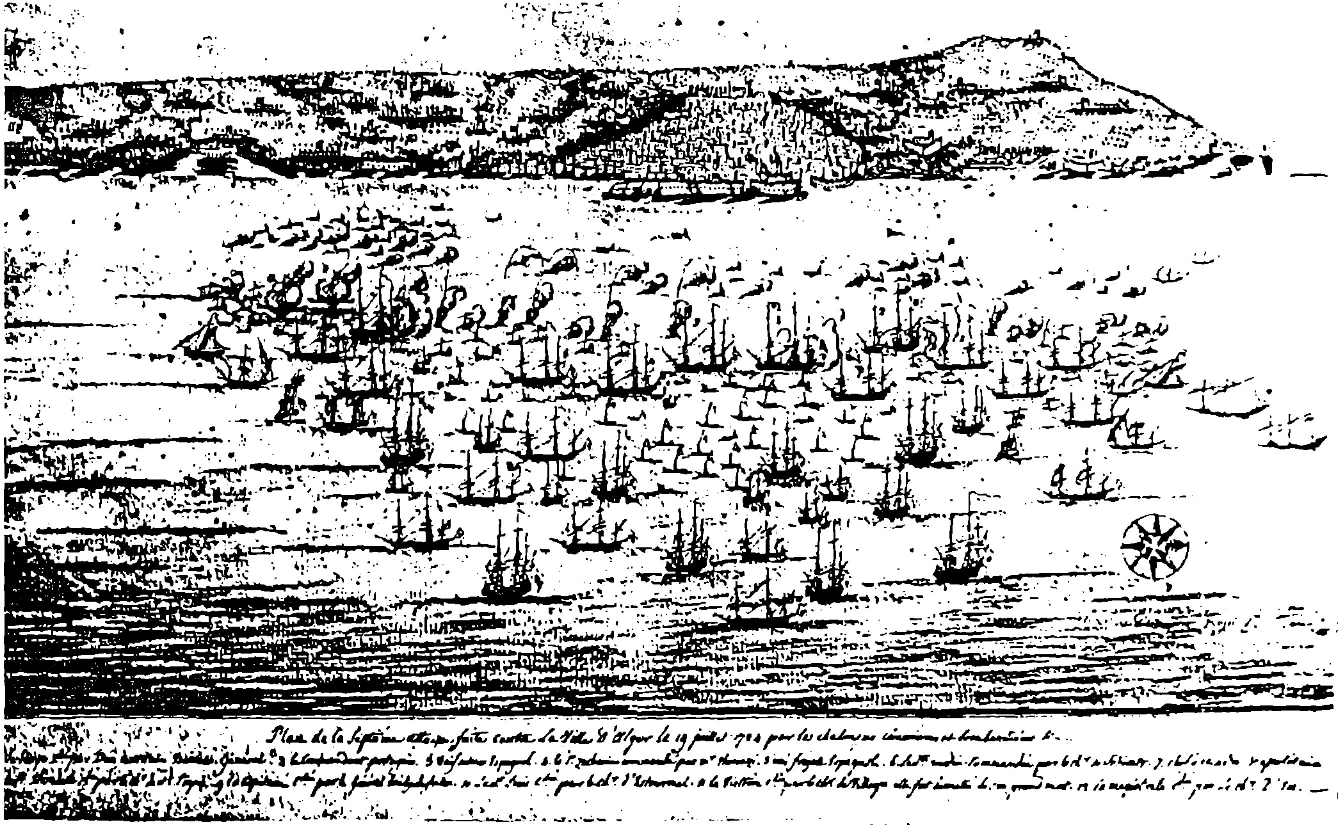
(195) انظر الشكل رقم : 48 .

(196) De Grammont : ibid, p. 336.

(197) De Grammont : ibid, p. 338.

(198) E. Cat : ibid, p. 326.

(199) انظر الشكل رقم : 49 .



Attaque d'Alger par Barcelo (1784)

الشكل رقم : (47)



(الشكل رقم : (48)

Combat entre des navires de l'Ordre de Malte et les Algériens (18e siècle)



الدون أنطونيو بارثيلو

Don Antonio Barcelo.

الشكل رقم : (48)

هذا قوبل بالرفض من طرف الجميع . وفي مساء يوم 23 (يوليو 1784) أقلع الأسطول ، راجعا الى اسبانيا ، بعد أن بذر عبثا ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعاوسبعين (3379) قنبلة ، وعشرة آلاف وستمائة وثمانين (10.680) قاذفة ، وألفي ومائة وخمسا وأربعين (2.145) قنبلة يدوية .

« هكذا كانت الخاتمة غير المشرفة للمحاولة الأخيرة لاسبانيا ضد الجزائر ! وإنها لحقيقة ثابتة تستحق الاعتبار أن هذه الأمة (الإسبانية) ، التي لم تكن تعوزها الفضائل العسكرية ، والتي كثيرا ما أنجزت أعمالا عظمى بأقل التكاليف ، قد كان **مصيرها الحتمي الفشل والإخفاق في جميع غاراتها ضد الجزائر ،** وبقوى ووسائل أكثر من كافية للنجاح .

« وفي الخامس يونيو من السنة التي بعدها (1785) جاء إلى الجزائر وفد إسباني للتفاوض ، لعقد معاهدة سلم ، يرأسه الكونت ديسبيلي (d'Espilly) والكونت دي ماثاريدو (200) (.de Mazareddo)

« ولكن الداي محمد عثمان رفض عقد معاهدة معهم . ودامت المفاوضات سنة كاملة ، وأخيرا عقدت معاهدة سلم وصداقة بينهما يوم 14 يونيو 1786 » (201) :

1) معاهدة سلم وصداقة دائمتين بين محمد عثمان ، داي الجزائر ، ودون كارلوس الثالث ، ملك اسبانيا ، في الجزائر يوم 17 شوال سنة 1200 هـ (14 يونيو 1786 م) (202) و (203) و (204) و (205) .

---

(200) انظر الشكل رقم : 50 .

(201) De Grammont : ibid, p. 337.

(202) انظر الشكل رقم : 51 .

(203) De Martens : ibid, t. IV, p. 126.

(204) انظر الشكل رقم : 52 .

(205) انظر الشكل رقم : 53 .



الـكونت دى ماثاريـــــــدو

الشكل رقم : (50)

Art 16

1786 Traité de paix et d'amitié entre S. M. le Roi d'Espagne et le Dey et la Regence d'Alger conclu le 14 Juin 1786.

14 Juin.

Nouv. extraord. 1786: No. 86. et 90. et se trouve en Italien dans Storia dell' Anno 1786 p. 190.)

Loué soit Dieu le Tout-Puissant

Le 17. jour de la Lune de Chavau l'an 1200. de l'Hégire il s'est conclu une paix et amitié perpétuelle entre l'Espagne et Alger: Et en conséquence il a été fait un Traité de bonne harmonie et avec bonne volonté, pour complaire au Grand Seigneur, entre le Sérenissime et Très-Puissant Prince Don Carlos III. par la grace de Dieu Roi d'Espagne et des Indes, etc. d'une part, et de l'autre le magnifique Mahamet Baxa-Dey, le Divan et la Milice de la ville et du Royaume d'Alger.

ART. I.

Paix. Il y aura une paix perpétuelle entre le Tres Puissant Roi d'Espagne et les magnifiques Baxa-Dey, Divan, et Milice de la ville et du Royaume d'Alger, ainsi qu'entre les sujets des deux Etats, lesquels pourront faire réciproquement le commerce dans les deux Royaumes, et y naviguer en toute sûreté, sans que l'une des Parties ne cause de l'embarras ni de la peine à l'autre, sous quelque prétexte que ce soit.

ART. II.

Visitation sur mer. Les Corsaires de la Régence ou des Particuliers d'Alger, qui rencontreront en mer des navires marchands Espagnols, devront non seulement les laisser naviguer librement, sans les inquiéter, mais de plus ils leur donneront du secours et toute l'assistance, dont ils auront besoin; prenant garde que, lorsqu'ils voudront les visiter, ils leur envoyent à bord de leurs chaloupes, outre les rameurs seulement deux personnes de prudence, lesquelles seront les seules qui passeront à bord du navire pour le visiter. Réciproquement les

الشكل رقم : (51)

les vaisseaux de guerre Espagnols en agiront de même à l'égard des Corsaires de la Régence ou des particuliers d'Alger, lesquels seront tenus de se pourvoir d'un passeport du Consul d'Espagne à Alger pour qu'il n'y ait point de doute ni d'erreur sur leur qualité.

ART. III

Les vaisseaux Algériens seront admis dans tous les ports et rades d'Espagne, toutes les fois qu'ils se verront obligés à y entrer, soit par la tempête, ou par le besoin de se réparer, ou pour se soustraire à la poursuite d'ennemis: On leur fournira tous les secours et autres objets dont ils auront besoin, pourvu qu'ils les payent au prix courant. Hors des dits cas on les admettra seulement à commercer ou à acheter des vivres à Alicante, Barcelone et Malaga: Ils ne resteront dans les dits ports qu'uniquement le tems nécessaire; et ils ne les bloqueront point, pour troubler le commerce des autres nations. Les navires Espagnols feront la même chose dans les ports du pays d'Alger, dans lesquels ils seront admis et secourus de la même manière. Admission des vaisseaux réciproque dans les ports

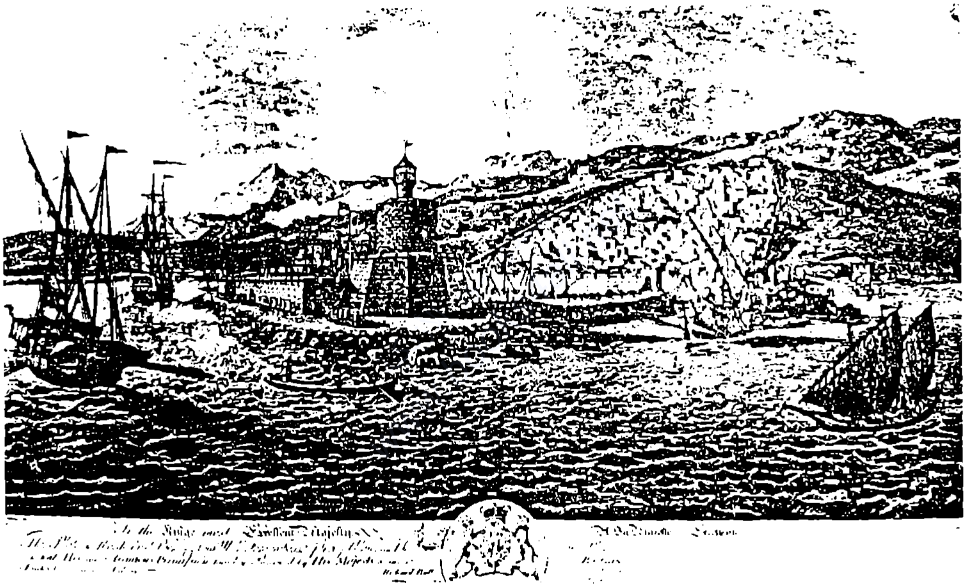
ART. IV

S'il arrivait que quelque navire marchand Espagnol fût attaqué à la rade d'Alger ou en quelque autre port de ce Royaume par les ennemis de l'Espagne sous la portée du canon des forteresses; celles-ci devront le défendre et le protéger: Et le Commandant obligera les dits ennemis à donner un tems suffisant, pour que le navire Espagnol sorte et s'éloigne des dits ports et rades; durant lequel tems, qui ne sera pas moins de 24. heures, l'on retiendra les vaisseaux ennemis, sans qu'il leur soit permis de poursuivre le bâtiment Espagnol. La même chose s'observera de la part du Roi d'Espagne en faveur des navires Algériens, bien entendu que ceux-ci ne pourront faire les prises sur leurs ennemis en deçà de la portée du canon de toutes les côtes Espagnoles; si ces bâtimens sont à la voile, ni à la vue des dites côtes, s'ils les rencontrent à l'ancre; puisqu'un navire mouillé doit être considéré comme étant sous la protection de la côte. Protection accordée sur les côtes

ART. V

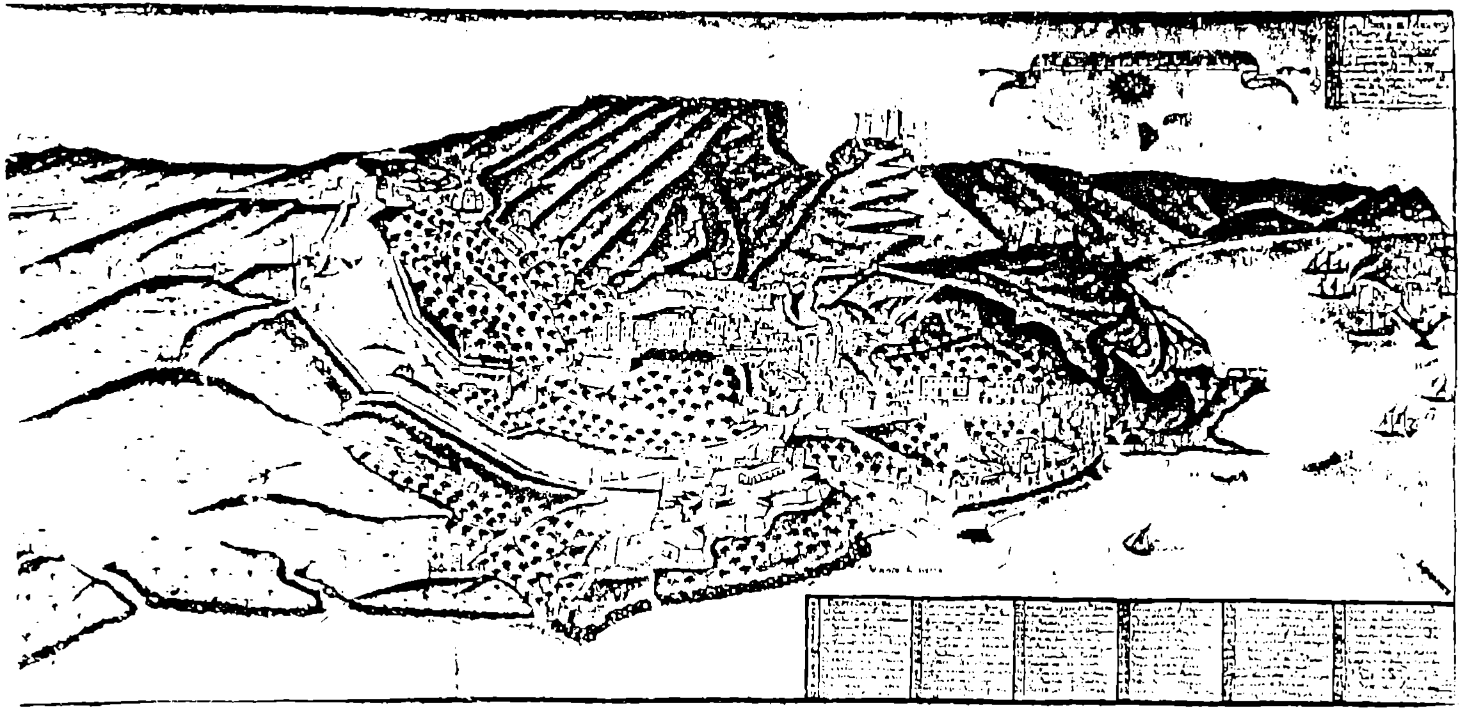
Les ennemis des Algériens, qui se trouveront être comme passagers sur les navires Espagnols, et les passagers Espagnols, Passagers sur des vaisseaux

تابع للشكل رقم : (51)



Vue d'Alger en 1786

الشكل رقم : (52)



منظـر عام لوهـران سنة 1786 Vue d'Oran (1786)

الشكل رقم : (53)

ويقول دو غرامون عن هذه المعاهدة :

« كانت معاهدة قاسية على اسبانيا ، وجد مرهقة لها ماليا ، فضلا عن الالتزام بالجلاء عن وهران والمرسى الكبير .

« وقد جاءت مصادقة ملك اسبانيا عليها بسرعة ، إذ وصلت يوم 10 يوليو .

« وكانت باهضة ، مرهقة لاسبانيا ، ودون جدوى » . (206)

وحيث إن الإسبان لم ينفذوا التزامهم بالخروج من وهران والمرسى الكبير ، فقد أمر الداى محمد عثمان بايه على الغرب ، محمد بن عثمان الكبير ، (فى مقــره المؤقت بمدينة معسكر ، كما أسلفنا) بشن حرب عليهم في وهران والمرسى الكبير ، وهكذا استمر الحال ، « حتى ربيع وصيف 1791 م ، حيث اشتدت المعارك التى كانت تقريبا يومية » . (207)

وطوال تلك المدة واسبانيا تسعى لعقد معاهدة سلم جديدة . ولكن الداى محمد عثمان كان مستمرا فى رفضه ، ما لم تنفــذ اسبانيا التزامها المنصوص عليه فى معاهدة 1786 م . ثم جــاء وفــد إسبانى أرسله الملــك الجــديد ، دون كارلوس الرابــع (Don Carlos IV) ، للتصالح ، فى أبريل 1791 م ، يلح على عقد معاهدة سلم جديدة . فرد عليه الداى محمد عثمان (وكان قــد تجاوز الثمانين) بالرفض .

وأخيرا ، بعد أن توفى الداى محمد عثمان (يــوم 12 يونيو 1791) ، « أرسل الملك الإسبانى دون كارلوس الرابع يــوم 12 سبتمبر (1791) وفــدا ثانيــا للتصالح ، بضمان الخروج مــن وهران » . (208)

---

(206) De Grammont : ibid, pp. 337-338.
(207) E. Cat : ibid, p. 327.
(208) De Grammont : p. 344.

ويلخص المؤرخ الأمريكي بارنبي هذا في فقرة بليغة :

« وبعد حملة أوريلي (1775) ، التي كانت كارثة لاسبانيا ، عقدت هذه الأخيرة معاهدة سلم مئوية مع الجزائر . ولكنها لما عجزت عن دفع المبلغ مقابل المعاهدة أرسلت بغزوة بحرية فشلت فشلا ذريعا ، فوضع الإسبان إذ ذاك كبرياءهم في جيبهم واستجابوا لما اشترطه الجزائريون » . (209)

« وبقبول اسبانيا بشروط الجزائر وافق الداي الجديد حسن (حسن الخزناجي سابقا) على عقد معاهدة سلم مع الملك دون كارلوس الرابع » . (210)

2) معاهدة سلم وصداقة بين الداي حسن ودون كارلوس الرابع ، ملك اسبانيا ، يوم 12 سبتمبر 1791 .

« وفي يوم 12 سبتمبر عقدت معاهدة سلم وصداقة جديدة بين الداي حسن والوفد الإسباني في الجزائر ، صادق عليها الملك دون كارلوس الرابع في السادس عشر ديسمبر ، وبدأ الجلاء عن وهران والمرسى الكبير في اليوم التالي (17 منه) ، وانتهى في يوم 24 فيفري (1792 م) .

« وكانت هذه المعاهدة مرهقة لاسبانيا ، حيث تلزمها ، زيادة عن الجلاء ، بدفع ضريبة سنوية قدرها مائة وعشرون ألف حنيه (211) ، فضلا عن هدايا (أسلحة ، وسفن ، وعتاد بحري)، وبأن ترجع إلى وهران المدافع ، والقاذفات ، والذخائر ، وجميع المعدات الحربية الأخرى التي كانت لها (لاسبانيا) بمدينة سيدي الهواري ، ثم نقلتها قبل خروجها مباشرة إلى قرطجنة (Cartagène) ،

---

(209) Barnbay : ibid, p. 40.
(210) De Grammont : ibid, p. 344.
(211) E. Cat : ibid, pp. 326-327 et De Grammont : ibid, pp. 344-345.

فى اسبانيا ، قبالة وهران ، (مثلما فعل ديغول ، قبل استرجاع استقلالنا مباشرة ، بوثائقنا وبكنوز مختلفة أخرى) .

« كما فرض الداى حسن على الملك دون كارلوس شروطا مرهقة أخرى رضخت لها اسبانيا ، تتمثل فى :

« حمل مفتاحين من ذهب لمدينة وهران (212) وجرتين من ماء عيونها إلى اسطنبول وتقديمها للخليفة العثمانى » (213) ، سليم الثالث ، الذى كان رمزا للوحدة الإسلامية ، مثلما كان البابا يتوج ملوك أوروبا ، ويجسم وحدة النصرانية .

والمفتاحان (214) من ذهب يرمزان للمفتاحين اللذين أخذهما بيترو دى نفارو والكردينال خيمنيث إلى اسبانيا رمزا لالحاق وهران باسبانيا ، كما سبق أن ذكرنا . والجرتان من ماء وهران رمز إضافى ، لأن الماء رمز الحياة حسب التعبير القرآنى .

وقد أنعم الداى حسن ، تكريما للجهاد ، بلقب « الكبير » على بايه فى وهران ، محمد بن عثمان الكبير ، الذى بنى من ماله الخاص ، قريبا من حصن « فيليب » (ابن شارلكان) ، بيتا لله ، هو المسمى جامع الباشا ، شكرا لله على نصره إياه ؛ « كما بنى الداى حسن سنة 1794 جامع كتشاوة فى العاصمة » ، أى سنتين بالضبط بعد هذا النصر المبين الذى تحقق فى عهده ، شكرا لله أيضا (215) . وفعلا ، فإن النصر تحقق بالتعاون بين الداى محمد عثمان ، وخلفه الداى حسن ، وبايهما محمد بن عثمان الكبير ، المجاهدين من أبناء هذا الشعب المجاهد ، رمز الجهاد !

(212) De Grammont : ibid, p. 344.

(213) انظر الشكل رقم : 54 .

(214) انظر الشكل رقم : 55 .

(215) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 562.

des munitions ; aussi lorsque Barcelo reparut l'année suivante, avec une flotte encore plus forte que la première, Alger ne résista pas moins énergiquement. Dans une série de petits combats, les reïs montrèrent une grande bravoure, et empêchèrent les vaisseaux ennemis d'approcher assez pour faire du tort à la ville. Les Espagnols furent encore obligés de se retirer sans avoir obtenu de résultats. La cour de Madrid dut traiter, accepter les conditions les plus dures et encore n'obtint-elle la paix que grâce aux efforts du consul de France, de K[illegible], 1786. Les reïs se dédommagèrent de ne plus porter la guerre sur les côtes de la Péninsule en courant sus aux navires des États Italiens, de Naples, de Venise, des États-Unis, de Hambourg et de la Prusse ; ils firent des prises considérables, 12 millions dans les huit premiers mois de 1786, et l'année suivante ils se distinguèrent dans la lutte que soutinrent les flottes ottomanes contre les Russes. Ce sont là les derniers exploits des corsaires algériens. Quant au dey Mohammed, affaibli par l'âge et les maladies, il laissa tout le pouvoir à son fils adoptif, le khaznadji Hassan, [illegible] 1788; quand il mourut, en 1791 son successeur désigné fut proclamé sans opposition.

Baba-Hassan (1791-1798)

Baba-Hassan était déjà le véritable souverain depuis plusieurs années. Il dut d'abord s'occuper de forcer les Espagnols à la cession de Mers-el-Kébir et d'Oran, cession qui était stipulée par le traité de 1786, mais que la Cour de Madrid retardait dans l'espoir d'obtenir pour cet abandon quelques conditions commerciales avantageuses. Un tremblement de terre, qui renversa presque toute la ville, en octobre 1790, donna occasion aux troupes de Mohammed, bey d'Oran, de pénétrer dans la place par les brèches faites aux murailles ; mais les Espagnols les repoussèrent et pendant le printemps et l'été de 1791, il y eut sur ce point des batailles presque journalières. La Cour d'Espagne décida enfin de rendre Oran au bey, mais obtint en revanche l'établissement dans cette ville d'une compagnie espagnole de commerce analogue à la compagnie française ; elle paya ce privilège d'une somme de 120,000 livres par an.

Le Bey eut à réprimer plusieurs émeutes et complots, et même à soutenir une guerre contre le Portugal, dont les marins empêchèrent les reïs

E. Cat : Petite Histoire de l'Algerie t. 1

الشكل رقم : (54)

qui lui donna l'assaut pendant douze jours, à la tête de dix-huit mille hommes ; le 26, il était arrivé d'Espagne un renfort de sept mille soldats, des tentes et des provisions. Le Bey, vivement repoussé le 29, reprit ses campements dans le voisinage de la place, et demanda à Alger des renforts qui ne lui furent pas envoyés ; car on s'y méfiait de son ambition, et on ne tenait pas à accroître sa popularité en l'aidant à prendre de vive force une ville qui devait fatalement être acquise à l'Odjeac. Réduit à ses propres troupes, il escarmoucha dans la plaine et sous les remparts pendant le printemps et l'été de 1791 ; les affaires les plus chaudes furent celles des 3 et 9 mai, du 25 juillet, du 17 et du 18 septembre, jour d'un assaut général bravement repoussé. Le chevalier de Torcy, des gardes wallones, s'y distingua tout particulièrement par son courage.

Pendant cette longue lutte, le Conseil Royal, effrayé à l'idée des dépenses qu'entraînerait la reconstruction des forts et des remparts d'Oran, avait décidé Charles IV à faire offrir au vieux Dey Mohammed de lui abandonner cette ville et Mers-el-Kebir en échange d'un comptoir à Oran ; l'ambassade arriva à Alger en avril 1791, et ne réussit pas dans sa mission, le Divan ayant refusé de rien concéder. Elle revint le 12 septembre, et, cette fois, eut affaire à Hassan, qui lui accorda la création d'un établissement près de Djemma-R'azaouât, la permission d'acheter trois mille charges de blé par an et de pêcher le corail sur les côtes de l'ouest ; la signature du Roi fut donnée le 16 décembre, et l'évacuation commença le 17 ; elle ne se termina qu'en mars 1792. Ce traité coûta cher à l'Espagne, qui s'engagea à payer cent vingt mille livres par an, dépensa en présents des sommes énormes, fut forcée de faire revenir de Carthagène les canons, projectiles et munitions qu'on avait emportés des Présides, et enfin dut se soumettre à la dure condition de transporter elle-même à Constantinople deux clefs d'or, représentant celles d'Oran, et deux jarres d'eau prises aux fontaines de la ville : ces objets étaient offerts au Sultan par le Dey, qui reçut en échange le caftan d'investiture. Le commerce français fut gravement atteint par l'établissement que M. Campana fonda

à Oran, et les événements justifièrent les prophéties du nouveau consul Vallière, qui avait succédé à M. de Kercy le 15 janvier 1791, et qui écrivait à la date du 15 septembre de la même année [1] : « Le traité qui cède Oran et Mers-el-Kebir aux Algériens a été signé le 12 de ce mois. Ces places doivent être rendues démantelées, évacuées, etc.; il est à croire que la politesse espagnole n'exécutera pas à toute rigueur cette condition. Il y a quatre mois pour la remplir et pour le déménagement. L'Espagne a obtenu en retour l'établissement à Oran d'une Compagnie à l'instar de la Compagnie Royale d'Afrique, paye ce privilège un peu plus de cent vingt mille livres par an, et pour ce tribut aura annuellement environ trois mille charges de blé, au prix du marché, et la pêche du corail dans les parages de la province de Mascara ; de plus, la traite des blés, orge, fèves, cuirs, laines, cire lui est accordée préférablement à tous autres, à prix égal. Cette faveur doit être regardée comme exclusive (quoique l'exclusion ne soit pas prononcée), attendu que personne ne sera en position de donner des prix aussi élevés que la nouvelle Compagnie, et que, le cas même arrivant, celle-ci ferait des sacrifices plutôt que de laisser entrer quelques étrangers en concurrence avec elle.

« Nul prix n'est arrêté pour les marchandises ci-dessus. La Compagnie devra le négocier tous les ans, avec le Bey de Mascara directement, sans pouvoir rien recevoir des mains des particuliers. — Ainsi elle doit s'attendre à bien payer. — Elle aura un agent à Mascara.

« Le succès de cette négociation a été acheté par un présent considérable au Dey et par des promesses brillantes à ses Ministres, qu'il faudra tenir. La somme à donner à la Régence est un article secret. Les Espagnols, depuis leur établissement à Alger, y versent à tonnes les piastres fortes; au reste, quoi qu'il puisse leur en coûter en cette occasion, ils ont conclu une très bonne affaire. Oran leur coûtait annuellement quatre millions, occupait et rendait malheureuse une garnison

1. Lettres de Césaire-Philippe Vallière. (*Archives de la Chambre de Commerce de Marseille*, AA, art. 481.)

ونود أن نختتم هذا الفصل عن اسبانيا بهذا التعليق الذى بعث به القنصل الفرنسى العام فى الجزائر ، فاليير Vallière ، إلى حكومته بتاريخ 15 سبتمبر 1791 ، فى باريس ، عن هذه المعاهدة الجزائرية الإسبانية ، بثلاثة أيام بعد عقدها :

« فقد بعث فاليير في تقرير منه إلى وزارة الخارجية (الفرنسية) متأسفا جدا من إبرام هذه المعاهدة ، متوقعا منها أسوأ النواجم لفرنسا ، خاصة فيما يتصل بموضوع « شراء القمح الجزائرى فى شرق البلاد ، حيث إن الأسعار سترتفع بالتنافس مع اسبانيا، نعم ، اسبانيا هذه التى ساعدتها فرنسا ، ها هى الآن تنافس فرنسا فى الجزائر » . (216)

مع انكلترا :

أوليات العلاقات معها :

بعكس العلاقات مع اسبانيا تماما ، بدأت علاقات الجزائر مع انكلترا (أو بريطانيا) سلمية ، إيجابية ، قوامها الود والتعاون.

ولئن تخللتها عدة غارات من طرف انكلترا ، إلا أنها ، فى الغالب ، كان يسودها الوئام طوال قرون ، إلى درجة أن ملكا من ملوكها عرض على أحد دايات الجزائر التحالف ضد الدول الأوروبية الأخرى والولايات المتحدة الأمريكية ... ثم طرأ طارىء ... قبيل العدوان الفرنسى ... وهذا ما سنراه ..

فإلى جانب الإيمان القوى بالقضية ؛ والشجاعة الفائقة فى التعبير عنها ، وروح التضحية ، والفداء ، والاستشهاد فى الدفاع عنها ؛ وازدهار الاقتصاد ، خاصة الزراعة والتجارة ، كانت هناك نقطة نقص فى النظام الجزائرى ـ وفى غيره فى

(216) De Grammont : ibid, p. 345.

العالم الإسلامى عامة ـ تتمثل فى التخلف الصناعى منذ بداية العصر الحديث ، ومنه فى مجال صناعة الأسلحة والعتاد البحرى.

وهذا النقص فى صناعة التسليح كانت الجزائر تسده بوسيلتين :

1) التعويضات والإتاوات الحربية ، التى كانت تشترط فيها على الدول المتعاقدة معها أن تكون بالسلاح والعتاد الحربى ، لا بالمال ، كما سنذكر لذلك مثلا أو اثنين .

2) بالصفقات التجارية : السلاح المعدنى بالسلاح الغذائى ، الذى لا يقل عنه قيمة استراتيجية ، ويتمثل فى الحبوب ، خاصة منها القمح ، التى كانت الجزائر تنتج منها كميات وافرة إلى حد أن دولا أوروبية عديدة مثل فرنسا ، وهولاندا ، واسبانيا ، وأنكلترا ، كانت تتنافس إذ ذاك على شراء القمح الجزائرى .

وهكذا بدأت العلاقات مع انكلترا خاصة .

يقول دو غرامون :

« كان الأنكليز فى بداية القرن السادس عشر يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر ، إذ يصدرون إليها السلاح والبارود ...

« وكانت تلك التجارة من الخصوبة بقدر ما كانت الدول الكاثوليكية عاجزة عن منافستها فى هذا المجال ، على الأقل علانية ، وذلك لأن أوامر صارمة من البابا ضد تصدير أدوات الحرب إلى المسلمين كانت تمنعها (تمنع الدول الكاثوليكية) من تصدير هذه المواد إليهم فعلا ؛ والقناصل الأوروبيون كانوا يتلقون التعليمات بالمراقبة ، والتتبع ، والسهر بصرامة على تنفيذ تلك الأوامر البابوية (التى لا تشمل انكلترا البروتستانتية) .

« ومقابل هـذه الإمدادات العسكرية والبحرية التي كـان الأنكليز يبيعونها للجزائر لدى الاحتياج ، كانت هذه ترخص لهـم اشتراء الحبوب ، والزيوت ، والأصواف ، والشمـوع ، والجلود ، ومواد أخرى لديها لتصديرها إلى انكلترا ، وتعفيهم مـن رسوم التصدير ، (وتسمى إذ ذاك ، حسب ما وردت في النص : التذكرة tesqra) ، التي كانت تفرض عـلى الأمـم الأوروبية الأخرى ، والتي كانت باهضة جدا .

« ولـم يلبث أن لحق الهولانديون بالأنكليز لينافسوهم في هذا الميدان » . (217)

هكذا إذن بدأت العلاقات مـع أنكلترا طيبـة ، سلميـة ، تعاونية ، وديـة .

إلا أن تطور جو القرصنة الأوروبية في ذلك العصر ، الذي اندرجت فيه أمريكا أيضا فيما بعد ، والغارات الصليبية التي كانت بدأت من البلدان الكاثوليكية (اسبانيا ، فرنسا ، إيطاليا، مالطـا ، البابوية) ، كما سبـق ، ثم انضمت إليها فيما بعـد البروتستانتية (انكلترا ، هولاندا ، الدانمارك ، أمـريكا ، ألمانيا . . .) كل ذلك ، دفع بأنكلترا إلى أن تدخل هذا الغمار ، فأرسلت بعدة غارات الى الجزائر ، تتجاوز العشر ، باءت كلها بالفشل الذريع ، وعادت عـلى أنكلترا بالخسارات الباهضة ، والتعويضات المرهقة التي كان عليها دفعها للجزائر ، عدا حملة واحدة في الأخير ، سنة 1816 ، سنذكرها في محلها . وهـا هو تتابع الغارات الأنكليزية على الجزائر في الفترات الآتي ذكرها :

---

(217) De Grammont : ibid, pp. 136-137.

1) 1620 غــارة روبير مانسيل Robert Mansell على الجزائر العاصمة يوم 27 نوفمبر 1620 ، فى عهد الملك البريطانى جيمس الأول . (218)

2) 1622 ـ 1672 : غارات عديدة قام بها الأميرالات بليك Blake ، وألــن Allen ، ومربرو Marlborough عــلى العاصمة ، وكانت نتيجتها كلها : خسارات لهم ونجاتهم بأنفسهم . (219)

3) غارة ادوارد سبراغس Eduard Sprags على بجاية سنة 1670 أو 1671 . (220)

على أن فترات الغارات والحروب هذه تتخللها ومضات تعاون خصب : فمثلا زود الأنكليز الجزائريين بالعتاد البحرى والأسلحة مقابل السماح لهم باشتراء القمــح فى الجــزائر سنــة 1682 (والهولانديون نفس الشيء تجـاه الجــزائر قبلهم بسنتــين : 1680) . (221)

كما أن الجزائر ، من جهتها ، لم تكن تكتفى برد هذه الغارات ودحرها . بل كانت هى أيضا ، بدورها ، تأخذ نفس المبادرات وترد الكيل كيلين .

فقد ذكرنا فى بدء هذه الدراسة نماذج لذلك . وهــا نحن نضيف إليها اثنين هنا :

« ولم يقف الجزائريون عند حدود مراسى أنكلترا ، بل دخلوا أراضيها ، ودخلوا إيرلندا ، سنــة 1631 » (222) ، « إذ كانــوا

(218) a) W. Spencer : ibid, p. 150.
b) Reftelius : ibid, t. 2, p. 666.

(219) a) Ch.-A. Julien : ibid, p. 554.
b) Reftelius : ibid, p. 667.

(220) Reftelius : ibid, t. 1, p. 80-81 ; Plantet : ibid, p. LXVI (Introduction).

(221) Ch.-A. Julien : ibid, p. 554.

(222) Reftelius : ibid, p. 403.

يعيثون فسادا بصفة دائمة وبجرأة وجسارة حتى سواحل أنكلترا وإيسلندا ، فضلا عن غيرها » . (223)

وكذلك كان طابع العلاقات بين البلدين يتأرجح . ولكن الطابع الودى كان يغلب عليها خاصة طوال النصف الثانى تقريبا من القرن الثامن عشر والعشرية الأولى من التاسع عشر . وكان وديا للغاية ، إلى حد أن عرضت أنكلترا على الجزائر التحالف ، كما سنرى .

وقد حل أول قنصل أنكليزى مقيم عندنا سنة 1580 ، واسمه يوهان تيبتون Yohan Tipton ، وكان ثانى قنصل أوروبى يصل إلى الجزائر . (224)

وربما بلغت العلاقات الطيبة إحدى قممها فى عهد الداى محمد عثمان وجورج الثالث . ولكن جودة تلك العلاقات لم تمنعه من طرد قنصلين أنكليزيين (225) ، أحدهما هوفوكن Falcon (226) ، والثانى هو فريزر Fraser . ولم يقبل الداى محمد عثمان توسط الباب العالى فى السماح للثانى بالرجوع بعد الطرد أو بتعويضه . ومن الأسباب التى ذكرها الداى لطرد هذا القنصل فريزر ، هو أن هذا الأخير كان « يقلقه فى كل مناسبة وبدون مناسبة بطلباته الملحة على شراء القمح من الجزائر ، وذلك أن هناك ثلاث دول أوروبية تتزاحم وتتنافس فى ذلك الوقت على شراء القمح الجزائرى : أنكلترا ، وفرنسا ، واسبانيا » . (227) انضمت إليها هولاندا .

(223) De Grammont : ibid, p. 170.
(224) Reftelius : ibid, p. 577.
(225) E. Cat : ibid, p. 330.
(226) انظر الشكل رقم : 56 .
(227) De Grammont : ibid, pp. 323-333.

gleterre qui avait, par ses intrigues, amené ce conflit. Le consul Falcon fut chassé et embarqué de force, et quand Nelson vint croiser devant Alger et demander des satisfactions, il ne put rien obtenir. L'Angleterre était trop occupée ailleurs pour pouvoir pousser les choses à l'extrême.

Cependant la faveur croissante des juifs, leur vanité de parvenus, leur avaient attiré de nombreux ennemis; Busnach et Bakri particulièrement étaient détestés, et le dey qui écoutait leurs conseils était enveloppé dans la même haine. Plusieurs émeutes éclatèrent contre lui; trois fois à diverses reprises il reçut des blessures graves. Une sédition plus sérieuse éclata au mois de juin 1805; un janissaire tua Busnach d'un coup de pistolet en le saluant ironiquement : roi d'Alger. Il fut pour ce fait porté en triomphe par ses camarades, et le dey tremblant pour lui-même dut lui pardonner; mais déjà l'émeute avait gagné le reste de la population : Maures, Kabyles, Biskris, Mozabites se précipitèrent dans les boutiques des juifs qu'ils dévalisèrent et massacrèrent une cinquantaine de personnes. Le dey dut s'incliner devant la rébellion, éloigner un grand nombre de juifs, prendre contre eux des mesures exceptionnelles et répandre l'argent avec profusion ; tout cela ne le sauva

E. Cat : ibid, t, 1

الشكل رقم : (56)

ونورد هنا مثلين اثنين أو ثلاثة على حسن العلاقات بين الجزائر وأنكلترا في الفترة المذكورة ، أمثلة بسيطة ولكنها رمزية :

1) عدم استجابة الداى محمد عثمان إلى إلحاحات أمريكا على عقد السلم مع الجزائر . ويقول المؤرخ الأمريكي بارنبي : « إن ذلك كان بسبب صداقته لأنكلترا ، وأمريكا كانت إذ ذاك في حالة حرب مع أنكلترا » . (228)

2) أن الداى حسن (الذى جاء بعد الداى محمد عثمان) رفض السماح لوفد أمريكي رسمي كان يود المجيء إلى الجزائر ، وقال للقنصل الأنكليزى تشارلز لوجى إنه (الداى حسن) « لا يثق بالأمريكان، وأنهم (الأمريكان)، إذا كانوا يودون إرسال مبعوث خاص إلى الجزائر (لعقد السلم) ، فما عليهم إلا أن يزودوه بأوراق اعتماد من ملك الأنكليز » . (229)

3) اعتزاز ممثلي بريطانيا في الجزائر في ذلك الوقت ـ بل وملك بريطانيا أيضا ـ بالصداقة الجزائرية .

ويكتب القنصل المذكور آنفا ، لوجى ، الذى لعب دورا كبيرا في توثيق تلك العلاقات ، في تقرير منه إلى وزير الخارجية البريطانية ، اللورد غرينفيل Lord Grenville ، بتاريخ 13 يوليو 1791 ، عن وفاة الداى محمد عثمان :

« توفي داى الجزائر ، محمد عثمان ، يوم 12 يوليو 1791 ، بين السابعة والثامنة صباحا ، مأسوفا عليه كثيرا من رعاياه .

« وقد خلفه حسن الخزناجي ، الداى الجديد ، في ظرف نصف ساعة بدون أى شغب » .

(228) Barnbay : ibid, p. 80.
(229) Irwin : ibid, p. 94.

ويعلق المؤرخ الأمريكي بارنبي فيقول :

« ويدعى لوجي أنه أول قنصل سمح له بزيارة الداى الجديد حسن لتهنئته ، وأن الداى عبر لـه عن عواطفه الودية نحـو بريطانيا ، وأكد دوام صلاحية جميع المعاهدات المعقودة بـين بريطانيا وذلك البلد (الجزائر) » . (230)

4) عرض ملك أنكلترا وإرلندا وهانوفر ، جورج الثالث ، سنة 1812 ، على الداى الحاج عـلي أن تتحالف الجزائر وأنكلترا (ضد أمريكا) ، وذلك فى رسالة يعده فيها بالمساندة بأسطوله فى حالة عدوان خارجي (أمريكى) ، كما يرجو منه ألا يسمح لأعداء بريطانيا (أى الأمريكان) بأن ينالوا مـن الانسجـام السائد بين الأمتين : الجزائرية والبريطانية ، وألا يسمع لأقوال السوء التى يتفوهون بها ضد بريطانيا » . (231)

المعاهـدات مـع بريطـانيا :

نـود أن نعرض هنـا المعاهدات التى عقدت بـين الجـزائر وبريطانيا (= أنكلترا) . وأثناء عرضها نذكر بعض الغارات البريطانية على الجزائر من التى لم نذكرها بعد أو ذكرناها ولم نعلق عليها . ومما وجدنا مـن المراجع ـ ولـم نجدها كلها ـ نستخلص أنه عقدت بين الجزائر وبريطانيا ثماني عشرة (18) معاهدة واتفاقية على الأقل قبل 1830 :

1) معاهدة سلم وتجارة سنة 1655 بين حامـد باشا ، رئيس دولة الجزائريين ، وأوليفر كرومويل ، « اللورد الحامى لجمهورية أنكلترا ، وسكوتلاندا ، وإرلندا » . (232)

(230) Barnbay : ibid, p. 97.
(231) a) Irwin : ibid, p. 238.
b) Shaler : Sketches of Algiers, p. 118.
(232) Galibert : ibid, p. 224.

2) معاهدة سلم وتجارة بين بابا رمضان وشارل الثانى ، ملك بريطانيا ، سنة 1660 (233) بعد عودة الملكية .

3) معاهدة سلــم وتجارة بين الآغــا شعبان ، رئيس دولــة الجزائر ، وشارل الثانى ، ملك بريطانيا سنة 1662 م . (234)

4) تجديدها سنة 1664 بين الآغا علي ، رئيس دولة الجزائر ، وشارل الثانى ، ملك بريطانيا . (235)

5) معاهدة سلم وتجارة سنة 1668 بين الآغا علي ، رئيس دولة الجزائر ، وشارل الثانى ، ملك بريطانيا (236) .

« وبين معاهدتى 1664 و 1668 م ، غنمت الجزائر من بريطانيا ألفي وتسعمائة وخمسا وأربعين (2945) وحدة بحرية من أحجام مختلفة : كبيرة ، ومتوسطة، وصغيرة » (237)، بسبب توتر فى العلاقات طرأ بين البلدين .

6) معاهدة سلم بتاريخ 10 أبريل 1682 م (238) ، بين الداى باباحسن والملك شارل الثانى .

ويقول غاليبــير :

« لقد تخلت بريطانيا بحكم هذه المعاهدة لصالح الجزائر عن ثلاثمائة وخمسين (350) وحدة بحرية تجارية ، وذلك إثر هزيمة منى بها الأسطول البريطانى ، تحت قيادة الأميرال هيربرت ، في معركة مع الأسطول الجزائرى .

« إنها لفرصة انتهزتها بريطانيا من تدهور العلاقات بــين الجزائر وفرنسا ، حيث إن الداى باباحسن استدعى القنصــل

(233) Reftelius : ibid, p. 614.
(234) » : » p. 614.
(235) » : » p. 614.
(236) » : » p. 614.
(237) » : » p. 614.
(238) » : » p. 614.

العام الفرنسى ، القسيس لوفاشى Levacher ، وأشــار لــه إلى الأسطول الجديد الذى جهزه حديثا قائلا له :

«انتهى عهد السلم مع بلادك، وويل لسيدك !» (أى ملكك) :

« Malheur à ton maître ! » (الذى كان إذ ذاك لويس الرابع عشر).

« وهكذا سارعت بريطانيا إلى انتهاز فرصة حالة الحرب هذه بين الجزائر وفرنسا للحصول على معاهدة سلم مع الجزائر وصفها لوفاشى بأنها مخزية لبريطانيا : (« un traité honteux »).

« وذلك أن الأمــيرال هيربرت Herbert تنازل عــن حقه فى ثلاثمائة وخمسين (350) وحدة بحرية تجارية لصالح الجزائريين، الذين كانوا غنموها منهم (من البريطانيين)، ورد للجزائريين أسراهم الذين كانوا على أسطوله ، بدون أن يطالب ، مقابــل ذلك ، باسترجاع مواطنيه الذين كانوا فى سجون الجزائر .

« ثم إنه ، زيادة على ذلك ، سلم للجزائريين كمية هائلة من عتاد الحرب » (239) .

أمــا غــارو فقــد وصفهــا بأنهــا « معاهدة سلــم مهينة (« un traité humiliant ») لكل من بريطانيا وهولاندا » (240) .

7) معاهدة سلم وتجارة فى عهد إبراهيم خوجة، داى الجزائر، وجيمس الثانى ، ملك أنكلتــرا ، وإرلنــدا ، وإسكوتلاندا ، بتاريخ 05 أبريل 1686 (241) .

8) معاهدة سلم وتجارة سنة 1691 ، بين حاجى شعبان ، داى الجزائر ، ومارى سيتوارت الثانية وزوجها فيلهيلم الثالث ، ملك

(239) L. Galibert : ibid, p. 227.
(240) H. Garrot : ibid, p. 506 et p. 679.
(241) William Shaler : Sketches of Algiers, p. 393.

أنكلترا ، وإرلندا ، وإسكوتلاندا ، حاكم البلاد المنخفضة (هولاندا) (242) .

9) معاهدة سلم بين الداى باباحسن وفيلهيلم الثالث ، ملك أنكلترا ، وإسكوتلاندا ، وإرلندا ، حاكم البلاد المنخفضة (هولاندا) ، سنة 1698 م (243) .

10) معاهدة سلم وتجارة فى عهد الحاجى شعبان ، داى الجزائر ، وفيلهيلم الثالث Wilhelm III von Nassau ، ملك أنكلترا، وإرلندا ، وإسكوتلاندا ، حاكم البلاد المنخفضة ، جددت بإضافة مادتين ، سنة 1700 م (244) .

11) معاهدة سلم وصداقة بين السيد الأمجد مصطفى باشا ، داى الجزائر ، والأميرة آن ، ملكة بريطانيا ، وفرنسا ، وإرلندا، فى 28 أكتوبر 1703 م (245) .

12) تجديدها بإضافة مادة إلى المعاهدات السابقة بين علي شاوش ، داى مدينة ومملكة الجزائر المجاهدة ، وجورج الأول ، ملك بريطانيا العظمى وإرلندا ومنتخب هانوفر ، بتاريخ 03 يونيو 1715 م (246) .

13) معاهدة سلم وتجارة بين جورج الأول ، ملك بريطانيا، وفرنسا ، وإرلندا ، وعلي باشا ، داى مدينة ومملكة الجزائر ، بتاريخ 29 أكتوبر 1716 م (247) و (248) .

14) تجديد المعاهدة السابقة بإضافة مادة واحدة .

(242) Reftelius : ibid, p. 614.
(243) Galibert : ibid, p. 235.
(244) Reftelius : ibid, p. 614.
(245) انظر الشكل رقم : 56 مكرر .
(246) Wenk. II, p. 592.
(247) a) Scholl, t. 1, p. 148.
b) De Martens : ibid, suppl. 1, p. 148.
(248) انظر الشكل رقم : 57 .

4

1703. Articles of Peace and Commerce between the most Serene and Mighty Princess Anne, by the Grace of God, Queen of Great Britain, France, and Ireland, Defender of the Christian Faith, etc. and the most Illustrious Lord Mustapha Dey, the Bashaw, Aga, and Governors of the famous City and Kingdom of Algiers, in Barbary; ratified, confirmed, and renewed, by George Byng, Esq.; Rear Admiral of the Red Squadron of her Majesty's Fleet, on the 28th Day of October, old Stile, 1703.

28 Oct. 8 Nov.

(CHALMERS *Coll.* T. II. p. 388.)

ART. I.

In the first place, it is agreed and concluded, that from this day, and for ever forwards, that the peace made by Arthur Herbert, Esq. then admiral of her Majesty's fleet in the Mediterranean in the year 1682, and since confirmed by Sir William Soames, Bart. Ambassador to the Grand Signior in the year 1686, with the additional articles agreed to with Captain Munden and Consul Cole in the year 1700, be renewed and confirmed (with the farther addition of the articles agreed to in this treaty with George Byng, Esq; rear-admiral of the red squadron of her Majesty's fleet) be kept inviolable between the most Serene Queen of Great Britain, France, and Ireland, Defender of the Christian Faith, &c. and the most Illustrious Lord Mustapha Dey, the Bashaw, Aga, and Governors of the famous city and kingdom of Algiers, and between all the dominions and subjects of either side; and that the ships and other vessels, and the subjects and people.

Georg Friedrich de Martens : Supplément
an t, I, du Recueil des principaux traités.

Articles de paix et de commerce entre la Serenissime et très-puissante Princesse Anne par la Grace de Dieu Reine de la Grande-Brétagne, de France et d'Irlande, défenseur de la foi &c. et le très illustre Seigneur Mustapha Dey, les Bacha, Aga et Gouverneurs de l'illustre ville et royaume d'Alger en Barberie, ratifié, confirmé et renouvellé par George Byng Esq. Contre-Amiral de l'Escadre rouge de la Flotte de S. M. le 28 jour d'Octobre vieux style 1703. 1703. 28 Oct. 8 Nov.

(*Traduction privée.*)

Premierement il est arrêté et conclu que de ce jour et pour toujours à l'avenir la paix conclue par *Arthur Herbert* Esq. alors Amiral de la Flotte de S. Majesté dans la mediterranée en l'an 1682 *a*) et confirmée depuis par Sir *William Soames* Baronet, Ambassadeur près le Grand Seigneur en l'an 1686 *b*) avec les articles additionnels convenu avec le Capitaine *Munden* et le Consul *Cole* en l'an 1700 *c*) qui sont renouvellés et confirmés en y ajoutant de plus les articles accordés dans ce traité avec George *Byng* Esq., Contre-Amiral de l'Escadre rouge de la Flotte de S. M. sera observée inviolablement entre la très-Serenissime Reine de la Grande-Brétagne, de France et d'Irlande, defenseur de la foi Chrétienne &c. et le très-illustre Seigneur Mustapha Dey, le Bacha, Aga et Gouverneurs de l'illustre ville et royaume d'Alger, et entre tous les domaines et sujets reciproques; et que les vaisseaux et autres navires et les sujets et peuple de Paix et amitié.

a) Dumont T. VII. P. II. p. 20.
b) Dumont T. VII. P. II. p. 126.
c) Chalmers T. II. p. 361. 386.

تابع للشكل رقم : (56)

29.

1716 Articles of peace and commerce between
19 Oct. the most Serene and Mighty Prince George, by the grace of God King of Great-Britain, France and Ireland; defender of the Christian Faith, etc., and the most Illustrious Lord Ally Dey Bashaw, and Governor of the famous city and kingdom of Algiers, in Barbary; ratified, confirmed, and renewed, by Capitain Coningsby Norbury, Commander of his Majesty's ship Argyle, Capitain Nicholas Eaton, Commander of his Majesty's ship Chester, and Thomas Thompson Esq., his Majesty's Consul at Algiers, on the 29th Day of October 1716, by virtue of a full power given and granted to us by John Baker Esq., Vice-Admiral of the blue squadron of his Britannic Majesty's fleet, and Admiral and Commander in Chief of his Majesty's ships employed and to be employed in the Mediterranean.

(CHALMER'S *Collection of treaties*. T. II, p. 376.)

ART. I.

In the first place, it is agreed and concluded, that from this day and for ever forwards, the peace made by Arthur Herbert, Esquire, then Admiral of his Majesty's fleet, Sir William Soames, Bart. ambassador to the Grand Signior in the year 1686, with the additional articles agreed to with Capitain Munden, and Consul Cole, in the
K 5 *year*

Georg Friedrich de Martens : ibid
Supplément an t. 1

(57) : الشكل رقم

Articles de paix et de commerce entre le Serenissime et très-Puissant Prince George par la grace de Dieu Roi de la Grande Bretagne, France et Irlande, defenseur de la foi etc. et le très-illustre Seigneur Ally Dey Bashaw et Gouverneur de l'illustre ville et royaume d'Alger en Barbarie; ratifiés, confirmés et renouvellés par le Capitaine Coningsby Norbury, Commandeur du vaisseau de S. M. l'Argile, le Capitaine Nicolas Eaton Commandeur du vaisseau de S. M. le Chester et Thomas Thompson Esq., Consul de S. M. à Alger le 29 Octobre 1716 en vertu d'un plein pouvoir qui nous a été donné par Jean Baker Esq. Vice-amiral de la bleue de la flotte de S. M. et Amiral et Commandant en Chef des vaisseaux de S. M. employés et à employer dans la mediterranée. 1716

(*Traduction privée.*)

ART. I.

Premierement il est arrêté et conclu que de ce jour et pour toujours à l'avenir la paix faite par Arthur Herbert Esquire alors Amiral de la flotte de S. M. Sir William Soames Baronet, Ambassadeur près le Grand Seigneur, en 1686 *) avec les articles additionels convenus avec le Capitaine Munden et le Consul Cole en 1700 **) et de Paix confirmée.

*) DUMONT T. VII. P. II. p. 126.

**) CHALMER'S T. II. p. 361. 386.

تابع للشكل رقم : (57)

15) معاهدة سلم وتجارة بين جورج الثالث ، ملك بريطانيا ، وفرنسا ، وإيرلاندا ، وهانوفر ، والسيد العظيم علي باشا (249)، داى مملكة الجزائر المجاهدة (warlike) ، بتاريخ 14 مايو 1762 . (250)

16) اتفاقية بين الجزائر وبريطانيا بخصوص جزيرة كورسيكا فى عهد الداى حسن وجورج الثالث ، ملك بريطانيا العظمى وإيرلاندا ومنتخب هانوفر ، بتاريخ فاتح يناير 1796 . (251)

17) هدنة بين الجزائر وبريطانيا فى عهد الداى عمر وجورج الثالث ، بتاريخ 28 أوت 1816 . (252)

18) اتفاقية سلم بين الجزائر وبريطانيا العظمى فى عهد الداى حسين والملك جورج الرابع بتاريخ 26 يوليو 1824 .. (253) « وقد ألغاها الداى حسين من طرف واحد سنة 1825، وطرد القنصل العام البريطانى أودونيل (O'Donnel) ». (254). وكانت هذه آخر وثيقة أمضيت بين الجزائر وبريطانيا ... ولم يكن يفصلنا عن 1830 إلا ست سنوات ، إلا أنها ظلت تدفع الإتاوة للجزائر حتى 05 يوليو 1830 !

الغارات البريطانية الأخيرة على الجزائر

وقد سبق أن قلنا إن الغارات من الدول الأوروبية على الجزائر كانت تسير جنبا إلى جنب مع العلاقات والمعاهدات .

(249) انظر الشكل رقم : 58 .

(250) De Martens : ibid, t. 1, p. 68.

(251) a) De Martens : ibid, alphabétique, suppl., t. VI.
b) Collection of State Papers, t. III, p. II.

(252) انظر الشكل رقم : 58 مكرر .

(253) William Shaler : ibid, p. 32.

(254) E. Cat : ibid, p. 337.

b.

'62 *Articles of Peace and Commerce between the most Serene and Mighty Prince George the Third, by the Grace of God, King of Great Britain, France, and Ireland, Defender of the Christian Faith, Duke of Brunswic and Luneburg, Arch-treasurer and Prince Elector of the Holy Romain Empire etc. etc. etc., and the most Illustrious Lord Ally Bashaw, Dey and Governor of the warlike City and Kingdom of Algier, in Barbary: concluded, ratified, confirmed, and renewed, by his Excellency Archibald Clevland, Esq.; his Britannic Majesty's Ambassador to the Emperor of Fez and Morocco; and to all the other Barbary States.*

(Chalmers *collection* T. II. p. 375.)

Archb. Clevland. (L. S.)

Art. I.

In the first place, it is hereby agreed and concluded, that from this day, and for ever, there shall be a strict and inviolable peace and friendship between his Britannic Majesty and the Kingdom of Algier: and that all the articles and treaties of peace and commerce, subsisting between the Kingdom of Great Britain etc. and the Kingdom of Algier, be hereby renewed, ratified, and confirmed. That the ships and other vessels, and the subjects and people, of both sides, shall not henceforward do to each other any harm, offence, or injury, either in word or deed; but shall treat one another with all possible respect and friendship; and that all demands and pretences whatsoever, to this day, between both parties, shall cease and be void.

Art.

Georg Friedrich de Martens; Recueil des traités t. I

b.

Articles de paix et de commerce entre le Serenissime et très puissant Prince George III. par la grace de Dieu, Roi de la Grande-Brétagne, France et Irlande, defenseur de la foi, Duc de Bronswic et Lunebourg, Archi-tresorier et Prince Electeur du Saint Empire Romain etc. etc. etc. et le très illustre Seigneur Ally Bashaw, Dey et gouverneur de la ville et royaume d'Alger en Barbarie: conclûs, ratifiés, confirmés, et renouvellés, par S. Excellence Archibald Clevland Esq.; Ambassadeur de Sa Majesté Britannique auprès de l'Empereur de Fez et de Maroc, et de tous les autres états de la Barbarie. 176 14 Ma

(Traduction privée, de l'Anglois.)

ARCHB. CLEVLAND. (L. S.)

ART. I.

En premier lieu il est convenu et conclu que dès aujourdhui, et pour toujours, il y aura une paix et amitié stricte et inviolable entre Sa Majesté Britannique et le royaume d'Algèr: et que tous les articles et traités de paix et de commerce, subsistans entre le Royaume de la Grande Brétagne etc. et le royaume d'Algèr, sont renouvellés, ratifiés et confirmés par le present traité. Que les vaisseaux et autres navires, et les sujets et peuples des deux côtés ne se feront à l'avenir reciproquement aucun mal, offense, ou injures ni verbales ni réelles; mais ils se traiteront mutuellement avec toute sorte d'égards, et que toutes demandes et pretentions quelconques jusqu'à ce jour, entre les deux parties, cesseront et seront annullées.

E 3 ART.

تابع للشكل رقم : (58)

الوثيقه رقم ٨

نص المعاهدة العربى التى عقدت بين عمر باشا واللورد اكسموث ٠

الحمد لله ٠

العهد والشروط التى صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع (74) (كذا) المدينة الجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلى ادوارد بارون اكسموث كواليز (كذا) (75) علامة الصليب الكبير متاع (كذا) باشا المنسوب لاهل الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، ورأس حاكم على كل السفاين (كذا) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين فى بحر الشرق وهذا اعتبارا (-كذا-) لعظم المنافع والفائدة التى اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلى الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطانى متاع دولة الانكلترة العلية فى انتها (كذا) وعدم اسار (76) (كذا) النصارى حضرة الجناب العلى عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لمودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة (كذا) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اى دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون (كذا) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية فى الاوروبة فى ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء ٠ والعادة الاولى التى كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومنكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين ٠

هذا العهد قد تحرر (كذا) نسختين فى المدينة المجاهدة محروس بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

---

(73) F.O. : 0/2 .C نص هاته الوثيقة بالعربية والانقليزية . ولعل هاته الاتفاقية هى اول اول معاهدة جزائرية مع دول اجنبية ، تحرر باللغة العربية فى عهد الاتراك !

(74) اى صاحب .

(75) هى الكلمة الفرنسية (Cavaller) اى فارس وهو رتبة شرفية .

(76) اى عدم اسر .

(77) اى وصاعدا .

الشكل رقم : (58) مكرر

د .عبد الجليل التميمي : نفس المرجع .

وهكذا قامت أنكلترا بعدة غارات علينا فى المرحلة الأخيرة من علاقاتنا .

وكان مجموع الغارات البريطانية الهامة على الجزائر عشرا وقد مرت بنا أربع منها ، وها هى الست أو ، إن شئت الدقة ، الثمانى الأخيرة :

(5) و (6) : غارتا الأميرال نيلسون Nelson سنتـى 1802 و 1804 ، وقد باءتا بالفشل والخيبة . (255)

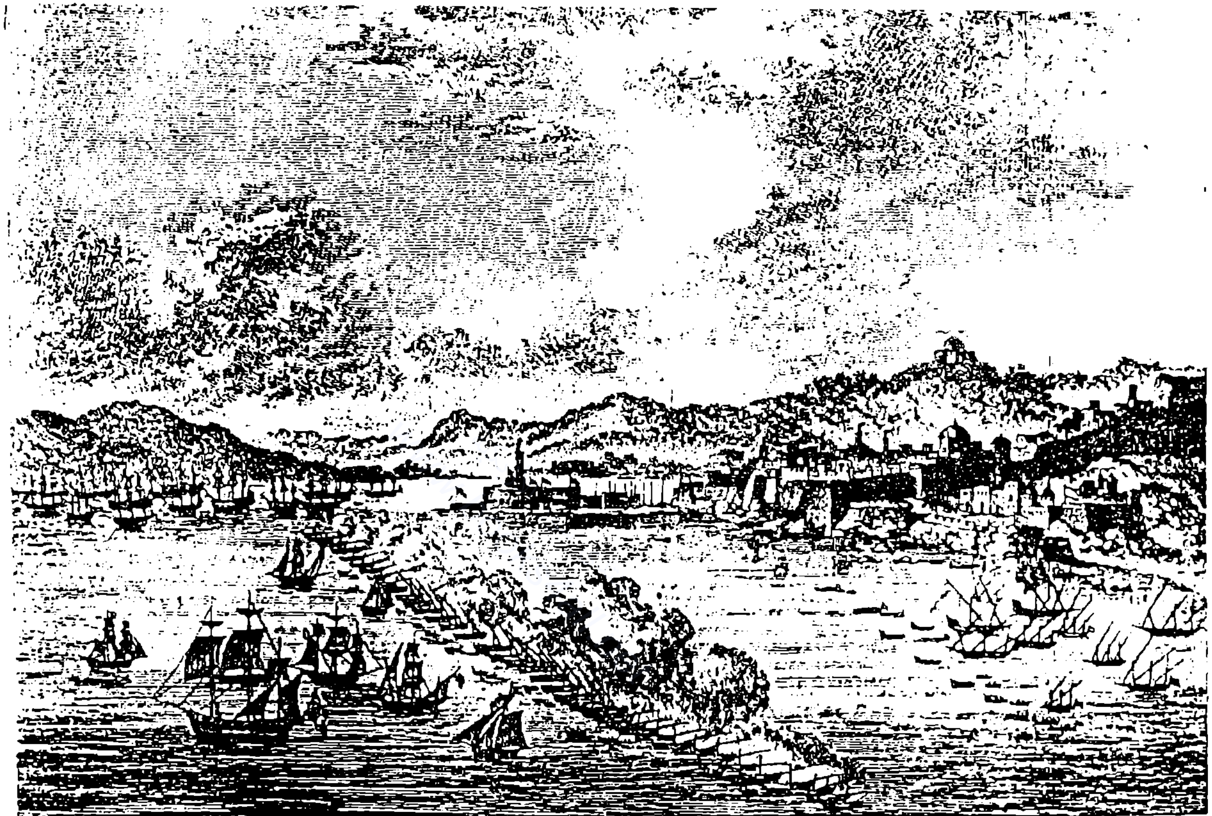
ويقول المؤرخ الأمريكى سبنسر :

« وفى سنة 1812 ، أمـام خطر نابليون والحرب البريطانية الأمريكية ، اقترح الملك البريطانى جورج الثالث عـلى الداى الحاج علي حلفا عسكريا بحريا ، « طالما استمر وجـود الصداقة الحالية بين الأمتين ، (الجزائرية والبريطانية) » ، « ويطلب من الداى ألا يسمح « لأولئك الذين هـم أعداء بريطانيا العظمى (الأمريكان والفرنسيون) أن ينالوا من الانسجام السائد بين الأمتين (الجزائرية والبريطانية) » .

« وهكذا بـدا كأن القوتين البحريتين الكبيرتين فى البحـر الأبيض المتوسط قد وحدتا سياستهما البحرية » . (256) (وهما الجزائرية والبريطانية ، طبعا) .

ولكن بعد أربع سنين فقط تتراجع بريطانيا وتقوم بغارتين على الجزائر . (257)

(255) E. Cat : ibid, p. 330.
(256) Spencer : ibid, p. 158-159.
(257) انظر الشكل رقم : 59 .



VUE DE LA VILLE D'ALGER,

Et de l'Attaque de cette Place, par la Flote Anglaise commandée par le Lord Exmouth, le 27 Aout 1816.

La Flote Anglaise, après un Bombardement et une Canonade de 9 heures, qui incendia la Marine Algérienne, l'Arsenal, les Chantiers et nombre de Maisons, força le Dey à signer un Traité de Paix. Les principales conditions de ce Traité sont, 1. l'abolition à perpétuité de l'esclavage des Chrétiens, de quelque Nation qu'ils soient. 2. La délivrance de tous ceux qui se trouvent actuellement sous la domination d'Alger sans exception. 3. La restitution de toutes les Sommes [illegible] pendant l'année pour le rachat des Esclaves. 4. Une indemnité et une réparation personnelle par le Dey au Consul Anglais [illegible]

Château du Môle. — La nouvelle Batterie. — Porte du Môle. — Le Château neuf bâti [illegible] — Porte de Babalouet. — Château bâti par les Espagnols. — Armée Anglaise. — Bombardes. — Bâtiments Algériens.

• الشكل رقم : (59)

(7) و (8) : غارتا اللورد الأميرال إيكسموت (258) في أول سنة 1816 (259) وفي 27 أوت من نفس العام ، بمعية الأميرال الهولاندى فان كبيلين van Kappellen ، بأسطوله هو أيضا ، طبعا . (260) وهذه قابلها الداى عمر بنفسه . (261)

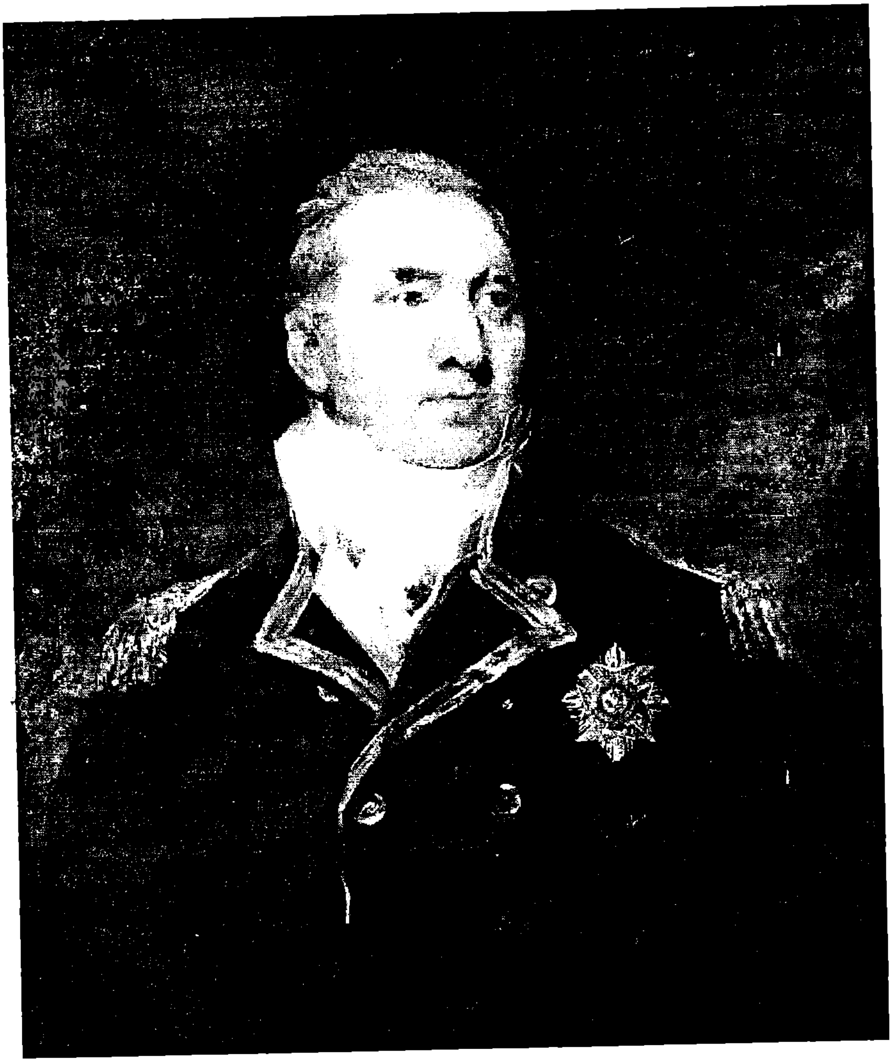
وقد استعمل الأسطولان في هذه الحملة وسيلة الغدر ، « ولكن الحرب خدعة » ، كما يقول صلى الله عليه وسلم !

فقد رفع الأميرالان البريطاني والهولاندى العلم الأبيض ، الذى كان الصيغة المعترف بها دوليا إذ ذاك ، كتعبير عن مسعى سلمي ... أى أنه طلب للمفاوضات ، فاغتر قادة الجزائر إذ ذاك ... وتركوا الأسطولين يقتربان جدا من الميناء ، عوض أن تردهما المدفعية من كل مشارف العاصمة ، كما هو التقليد المتبع بكل حزم وعزم في العادة ، عند عدم وضوح النوايا ، أى سوءها.

ولما وصل الأسطولان إلى الميناء ... أطلقا فجأة نارا جهنمية على الأسطول الجزائرى ، الراسى في الميناء في أمان وطمأنينة ، والذى كان قادته معتمدين على المدفعية لتنبيههم إلى اتخاذ الأهبة، وهذه لم تفعل لانخداعها ... وكانت الكارثة (262) ، وكان تخريب جزء كبير من المدينة ، فضلا عن أسطولنا بكامله ، الذى كان راسيا هناك ... ولم تنج منه إلا الوحدات التى كانت في رحلة .

وهكذا ... كانت المعاهدة مع الداى عمر (263) (1816) ، التى هي رمز لصداقية قول أبى الطيب بن شريف الرندى :

(258) انظر الشكل رقم : 60 .
(259) انظر الشكل رقم : 61 .
(160) انظر الشكل رقم : 62 .
(261) انظر الشكل رقم : 63 .
(262) انظر الشكل رقم : 64 .
(263) انظر الشكل رقم : 65 .

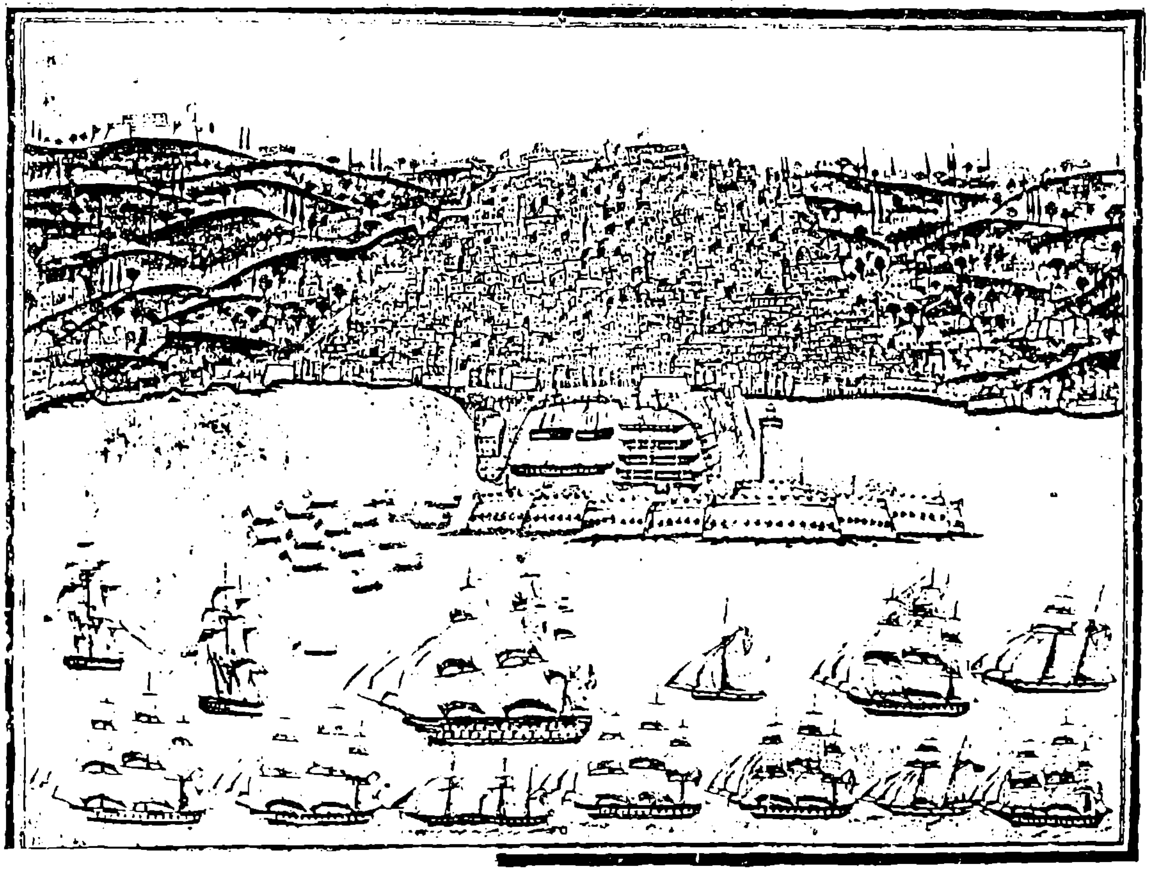


(ORTHCOTE.) Lord Exmouth.

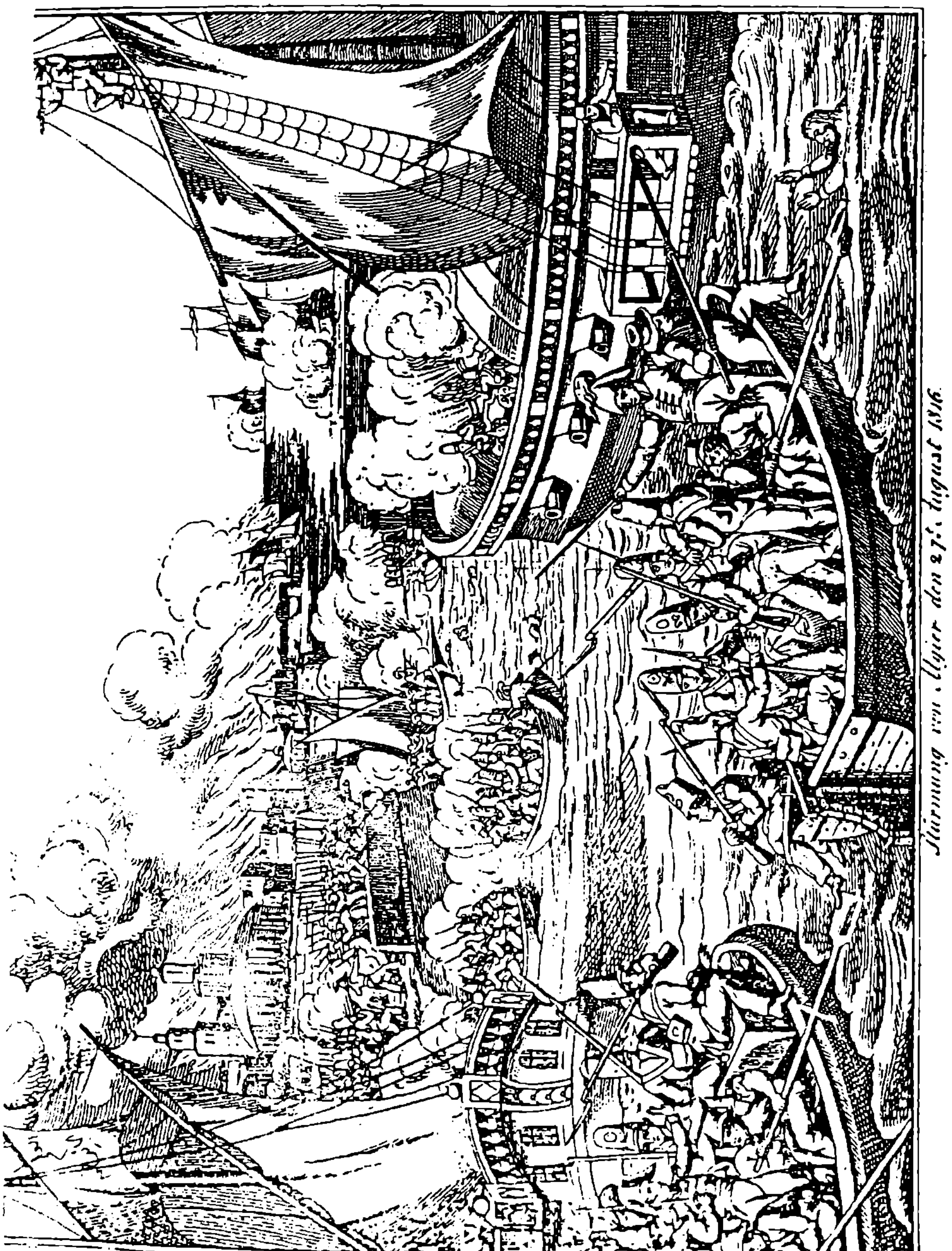
اللورد إيكسموث

الشكل رقم : (60)

Expédition de lord Exmouth (1816).

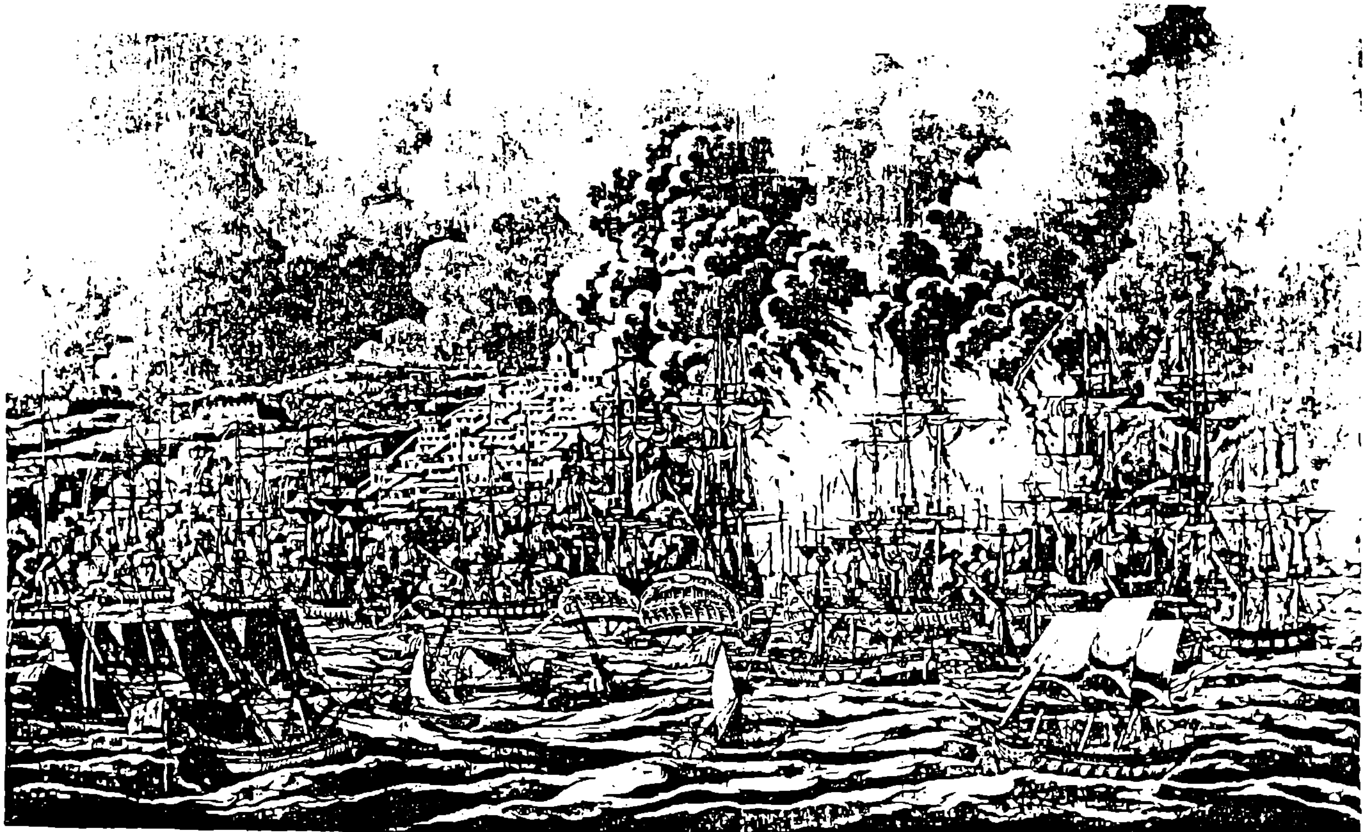


- Bombardement d'Alger



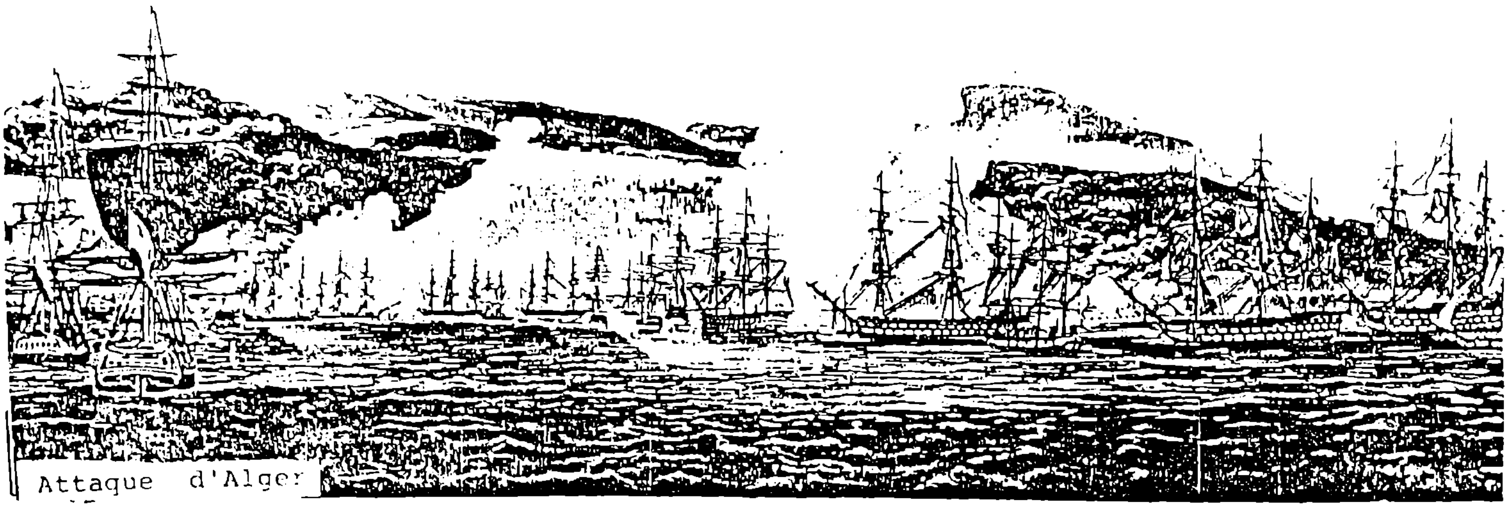
الشكل رقم : (62)

- Bombardement d'Alger

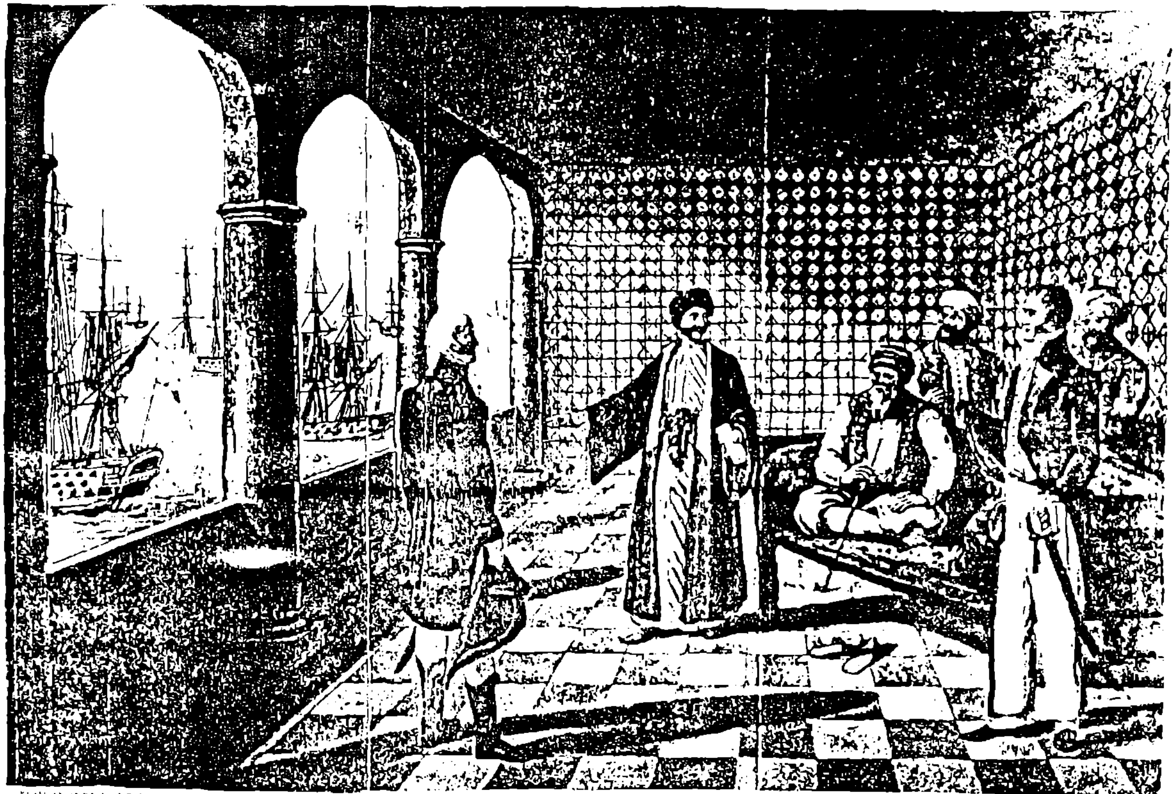


Expédition de Lord Exmouth (1816) HET BOMBARDEMENT

الشكل رقم : (63)



الشكل رقم : (64)



INTERVIEW WITH THE DEY | Entrevue des parlementaires anglais et du dey d'Alger, Omar
"الداى عمر جالسا أثناء المفاوضات"

1. OMAR PASHAW, DEY of ALGIERS, seated when the Negotiations were carried on
2. CAPTAIN SIR JAMES BRISBANE, LORD EXMOUTH'S representative during the first ... days of the Negotiations
3. REAR ADMIRAL SIR CHARLES PENROSE, LORD EXMOUTH'S representative during the last three days
4. Mr ABRAHAM SALAME, Interpreter on the part of the British government
5. ... ALGERINE ADMIRAL and CAPTAIN of the Port

الشكل رقم : (65)

« لكل شيء إذا ما تم نقصان » ... وإن كان ذلك مجرد إنذار ... وأصدروا ميدالية لتخليد المناسبة ... (264)

ويقول المؤرخ الأمريكي المذكور عن « هذا التحول السريع في سياسة بريطانيا تجاه الجزائر ، في ظرف أربع سنين ، من عرض تحالف وصداقة وود إلى غارات وخداع ، أن الظروف الدولية قد تغيرت ، بعودة السلم إلى أوروبا » ! (265)

وفعلا ، فنابليون قد سحب قواه من البحر الأبيض المتوسط ، والحرب البريطانية الأمريكية قد انتهت (يوم 24 ديسمبر 1814)، ثم إن الداى الحاج علي أعلن حربا على أمريكا (كما نبينه فيما بعد) ؛ ثم إن الجزائر كانت ، كما سبق أن ذكرنا ، في حالة حرب بحرية سنة 1814 مع سبع دول ، كانت أمريكا إحداها ، وهي الدانمارك ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وهولاندا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وأمريكا ، وروسيا (266) ، فرأت أنكلترا أن تنضم إليها وتكون الثامنة ضدنا !

الزمان يمر بسرعة ، بالأمس ، واليوم ، وغدا : فأوروبا (ومنها انكلترا ، أول دولة صناعية في العالم في العصر الحديث) كانت في تطور وتقدم ؛ والعالم الإسلامي ــ ومنه الجزائر ــ كان في تقهقر ؛ فضلا عن الظروف السياسية المتغيرة في أوروبا .

فطالما كانت أنكلترا بحاجة إلى قوة الجزائر للتحالف معها ضد اسبانيا ، مثلا ، وفرنسا ، ثم أمريكا ، كانت تبذل قصارى جهودها لتكسب ودها ، وتتحالف معها ، طبقا لمصالحها .

(264) انظر الشكل رقم : 66 .

(265) Spencer : ibid, p. 159.
(266) Irwin : ibid, p. 245.

ولكن الزمن قلب ، والجناس بين القلب والقلّب ليس لفظيا فحسب !

هذا هو تفسير تحول السياسة البريطانية إذن تجاه الجزائر بهذه السرعة : فبعد أن كانت تلح على التحالف ، وتؤكد الصداقة ... إذا بها تصبح هى نفسها المهاجمة ، وبغدر علم الهدنة : العلم الأبيض ! حسبما تبينه الصورة ، وأكدته المراجع المختلفة . وكما يقول الداى عمر نفسه فى رسالة منه إلى الخليفة العثمانى محمود الثانى « عن الأسطول الأنكليزى الهولاندى اللعين ، الذى استعمل الحيلة برفع العلم الأبيض » (267) ، أو « علم الهدنة » ، كما يقول عنه المؤرخ الأمريكى سبنسر ، ملحا عليه مرتين . (268)

(9) ورجعت أنكلترا ، مرة أخرى ، بغارة مشتركة مع الفرنسيين ، تحت قيادة الأميرال البريطانى فريمنتل Freemantle والفرنسى Jurien de la Gravière ، فى سبتمبر 1818 ، بتكليف من المؤتمر الأوروبى المنعقد قبل ذلك بقليل فى آخن فى ألمانيا ، وقابلها الداى حسين بعزم وجزم ، ورجع الأسطولان خائبين فى مسعاهما .

(10 و 11) وكانت الغارتان البريطانيتان قبل الأخيرتين تلكما اللتين قام بهما الأميرال نيل Neale (269) يومى 22 مارس 1824 و 24 يوليو من نفس العام ، أى بست سنين فقط قبل 1830 ، وقد منيتا بالفشل الذريع . (270)

---

(267) د. عبد الجليل التميمى (تونس) : بحوث ووثائق ، ص 253 .

(268) Spencer : ibid, p. 160-161.

(269) انظر الشكل رقم : 67 .

(270) انظر الشكل رقم : 68 .



Médailles Commémoratives (1816)

الشكل رقم : (66)



J. Brown. Sir Harry Neale

هـــاري نــيل

الشكل رقم : (67)



Bombardement d'Alger par l'amiral Neale (1824)

(11 و 12) « وجاءت غارتان أخريان عام 1825 فـرد عليهما الداى حسين بتعال ، ولاذتا بالفرار » (271) ، ولم تعد بريطانيا بعد ذلك .

وأخيرا نـود أن نذكر هنـا أن بريطانيا عارضت الاحتلال الفرنسي للجزائر . هل كان ذلك ودا وصداقة منها نحو الجزائر أم غـيرة مـن الفرنسيين ، وحسدا لهـم ، كما يقـول هـؤلاء الأخيرون ؟ فنحن نسجلها ، على كل ، عـلى أنها نقطة إيجابية ، يسرنا أن نختم بها فصل العلاقات الجزائرية البريطانية في تلك العصور، ونفضل أن يكون موقفها هذا من باب «حسن الخواتم» ، حتي ولو كان رمزيا فحسب !

مع الولايات المتحدة الأمريكية :

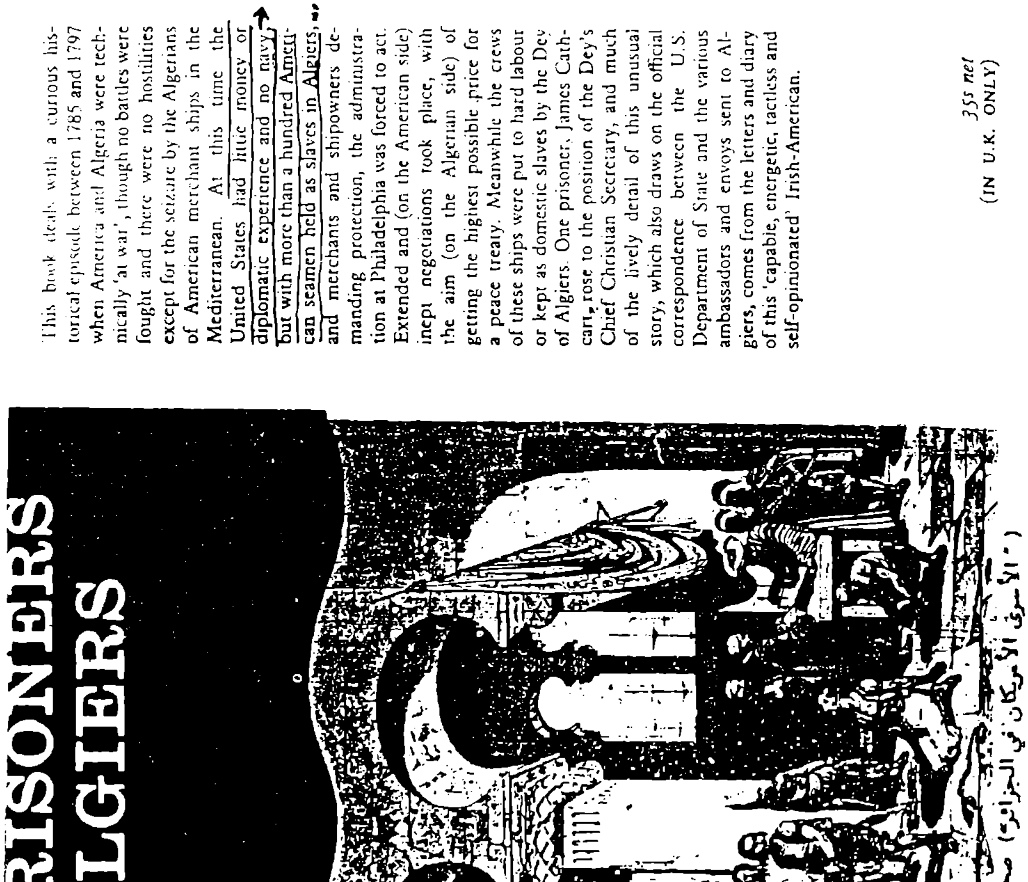
رأى المؤرخ الأمريكي بارنبي ، في كتابه المذكور آنفا عن « حرب العشر سنوات بـين أمريكا والجزائر » ، لجـذب اهتمام القارئ إلى الموضوع ، أن يورد هاتين الفقرتين التاليتين عـلى غطاء الغلاف :

« كانت هناك حرب بين أمريكا والجزائر ، وإن لم تقع معارك حربية ، عدا استيلاء الجزائريين على بواخر أمريكية في البحر الأبيض المتوسط .

« وفي ذلك الوقت لم يكن لدى الولايات المتحدة الأمريكية من المـال إلا القليل ، وتجربـة دبلوماسية ضئيلة ؛ ولا أسطـول إطلاقا » . (272) و (273)

---

(271) E. Cat : ibid, p. 337.
(272) H.-G. Barnbay : The Prisoners of Algiers : An Account of the forgotten American-Algerian War 1785-1897.
(273) انظر الشكل رقم : 69 .



وفي ذلك الوقت، لم يكن لدى الولايات المتحدة من المال إلا القليل؛ ونفس الشيء عن التجربة الدبلوماسية، ولا أسطول إطلاقا، ولكن أكثر من مائة بحار أمريكي أسرى في الجزائر.

هل صحيح؟ الآن، شعوب بكاملها أسرى !

الشكل رقم : (69)

ليست هذه هى الحقيقة كلها ، على الأقل فيما يخص الأسطول التجارى ، إذ أنها بمجرد إعلان استقلالها يـوم 4 يوليو 1776 ، سارعت الى الاهتمام بتكوين أسطول تجـارى يربطها بالعـالم التجارى القديم .

وفى ذلك الوقت كانت البحار والمحيطات مستنقعات للقرصان من جميع الدول البحرية فى العالم . وكان قانون الغاب هـو السارى ، والغلبة للقوى ، والضعيف يهدر مالـه ، وهو نفسه يفقد حريته ، اذ يضم إلى حظائر العبيد والإماء .

ومن هنـا فالجزائر ـ وبلدان المغرب الأخرى ـ التى عانت السطو البحرى على شطوطها من اسبانيا ، وإيطاليا ، وفرسان مالطا ، خاصة ، منذ أواخر القرون الوسطى ، ثم خاصة فى آخر القـرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ، بدخـول الإسبان ، رأت أن تسارع إلى تكوين أسطول قوى وبحارة مهرة ، لتدافع عن نفسها ، وترد الغارات عن شواطئها .

وهكذا كانت ترد كيلا بكيلين فى البحر الأبيض المتوسط ، ثم فى غيره من البحار ، بـل والمحيطات . وهكذا اصطدمت ، فيمن اصطدمت بهم فى البحار ، بأمريكا ، وكان هناك أسرى ، طبعا ، كما هو المعمول به لدى الجميع .

وإذا لم اعثر على مـا سبق لى أن قرأته عن اعتراف الجزائر بالولايات المتحدة الأمريكية بمجرد استقلالها ، فإن كل المراجع التى وقعت بيدى تؤكد أن الاتصالات المباشرة الأولى بين الجزائر وأمريكا ـ ومـن جانب الثانيـة ، إذا مـا استثنينا الاعتراف الدبلوماسى من طرف الأولى ، كانت مبكرة .

وعلى كـل ، فإن أول المبعوثين الأمريكيين إلى الجـزائر كانا جـون لام John Lamb ـ وكان الممثل الأمريكى الأول أيضا



جـورج واشنطن

الشكل رقم : (75)



كاترين الثانية

الشكل رقم : (71)

فيها ــ وراندال Randal ، وذلك سنة 1786 ، للتفاوض على عقد معاهدة سلم ، إلا أن الداى محمد عثمان رفض استقبالهما (274).

على أن أول معاهدة بين الجزائر وأمريكا لم تعقد إلا سنة 1795 حيث دامت الاتصالات والمفاوضات عشر سنوات كاملة .

وأثناء هذه المدة ، لم تترك أمريكا دولة أوروبية لم تتصل بها ، من الصغرى ، مثل البندقية ، إلى المتوسطة ، مثل هولاندا ، الى الكبرى مثل روسيا ، لتكون معها حلفا ضد الجزائر خاصة ، والدول المغربية عامة .

وهكذا اقترح جيفرسون على فرنسا عقد معاهدة تحالف ضد الجزائر (275) . ويضيف إروين :

« كانت هناك دول مثل فرنسا ، وبريطانيا ، وأخرى ، تناور لمنع عقد تلك المعاهدة ، لأن الجزائر لم تكن إذ ذاك تعقد معاهدة سلم مع دولة ما ، أو مجموعة من الدول ، إلا للتفرغ لشن حرب على دولة أو مجموعة دول أخرى » . (276)

وهذا ، وإن كنا لا نصدق به ، إلا أنه ، إذا كان صحيحا ، يعطينا فكرة عن هيبة ، ومنعة ، وقوة جانب ، وهيمنة ، كانت تتمتع بها الجزائر فى نظر الدول الكبرى .

ومن هنا حاولت أمريكا أن تكون كتلا ضد الجزائر ، وسعت إلى كل من الدانمارك ، وإيطاليا ، وهولاندا ، واسبانيا ، وفرنسا ، وأخيرا لدى روسيا ، إذ أرسل جورج واشنطن (277) ، الرئيس الأمريكى الأول ، مبعوثه Dana إلى كاثرين الثانية (278)، قيصرة روسيا ، ليحثها على الانضمام إلى حلف أوروبى أمريكى

---

(274) Barnbay : ibid, p. 74.
(275) Irwin : ibid, p. 77.
(276) Irwin : ibid, p. 87-115.

(277) انظر الشكل رقم : 70 .
(278) انظر الشكل رقم : 71 .

ضد بلدان المغرب (279) ، التى يقول إروين إن الجزائر كانت المعنية منها بذلك فى الدرجة الأولى ، إذ كانت « أقواها وأخطرها شأنا » . (280)

بل ونجد الرئيس جورج واشنطن ينصح لويس السادس عشر ، ملك فرنسا ، بغزو الجزائر ، « الذى سيكون أكبر عملية صليبية تقوم بها فرنسا ، وستكون الجزائر أرضا خصبة لاستيطان أبنائها » . (281)

ونفس المساعى قام بها جيفرسون ، وزير خارجيته ، « الذى عمل على خط دولى (عمل دولى) لتنسيق الأعمال ضد بلدان المغرب . وكان ينوى تنظيم عملية محاصرة الجزائر (282) بأسطول دولى ، واستعان فى ذلك برأى وتأييد الكونت الأميرال جان ـ باتيست ديستان le Comte Amiral Jean-Baptiste d'Estaing فى باريس ، الذى شجعه ، وقال له إن ذلك سيؤدى حتما إلى استسلام الجزائر » . (283)

وعندما لم ينجح فى جميع هذه المحاولات أخذ يقنع بدول أو دويلات منفردة ، لتتحالف مع أمريكا ضد الجزائر .

« وهكذا طلب جيفرسون فى يوليو 1791 مساعدة هولندا لحمل الجزائريين على الرضوخ بواسطة إرسال قوات بحرية أمريكية هولندية مشتركة إلى المياه الجزائرية .

« ولكن هذه الفكرة لم تجد تشجيعا ، وبذلك ماتت فى مهدها » . (284)

---

(279) Dupuy : ibid, p. 17.
(280) Irwin : ibid, p. 119.
(281) Dupuy : ibid, p. 17.
(282) انظر الشكل رقم : 72 ـ 73 ـ 74 .
(283) Dupuy : ibid, p. 31
(284) Irwin : ibid, p. 86.

que la France, l'Angleterre, la Hollande, l'Empereur, etc., s'abaisseront à payer tribut à ces brigands et parfois même à les encourager, à quoi cela nous servira-t-il de leur faire la guerre? La résolution peut être héroïque, mais elle ne sera pas avisée. La lutte sera inégale; nos ennemis peuvent nous faire beaucoup de mal, tandis que nous, nous ne pouvons leur infliger que des pertes extrêmement minimes. Même si nous arrivions à envoyer une force suffisante pour incendier une de leurs villes, leurs princes ne s'en trouveraient pas davantage punis pour cela et redoubleraient leurs insultes pour nous persifler. Nous ne leur aurions pas causé plus d'effet que si nous nous étions amusés à tuer seulement quelques chenilles sur un pommier qui en serait couvert.

« A moins qu'il ne fût possible de persuader toutes les grandes puissances maritimes de s'unir pour supprimer ces pirates, ce serait une véritable imprudence de notre part de penser à nous mesurer avec eux; nous n'aurions qu'à nous en repentir. Car cela ne servirait qu'à irriter leurs passions et à accroître leur insolence et leurs exigences. »

De son côté, Jefferson écrivait à John Page (20 août 1785) :

Vous estimerez probablement que les tributs à payer à ces états seront la cause d'une telle augmentation des taxes fédérales, que chaque citoyen s'en ressentira sensiblement en acquittant les dites taxes. La question est de savoir ce qui coûtera le moins cher, la paix ou la guerre. Mais c'est une question qui s'adresse autant à notre honneur qu'à notre avarice, et il s'agit d'être respectés non plus seulement par ces pirates, mais encore par les puissances européennes. Si nous désirons que notre commerce soit libre et ne soit jamais molesté, nous devons montrer au monde entier que nous possédons une énergie à laquelle personne ne croit en ce moment. L'opinion plutôt faible qu'à l'étranger on a de nos moyens ne peut manquer de nous entraîner à brève échéance dans une guerre navale. »

Adams et Jefferson ne se contentaient pas d'exposer leurs

idées à des tiers; c'était encore un des thèmes les plus courants de leurs discussions personnelles. C'est ainsi que le 3 juillet 1786 Adams écrivait à Jefferson :

« J'ai l'avantage de soumettre à votre attention quelques idées :

« 1° Nous pouvons en ce moment, au prix d'un sacrifice pécuniaire, traiter avec les Etats Barbaresques, en dépit de toutes les intrigues des Anglais ou autres, faites pour nous en empêcher. — 2° Nous n'aurons jamais la paix sans débourser d'argent, quand bien même la France, l'Espagne, l'Angleterre et la Hollande réunies dépenseraient en notre faveur toute leur influence. — 3° Ni la bienveillance de la France, ni la malveillance de l'Angleterre ne pourront, la première faire diminuer, la deuxième faire augmenter l'importance de la somme. — 4° Plus nous retarderons les négociations, plus les exigences augmenteront.

« De ce qui précède je conclus que le plus sage pour nous est de conclure un traité et de payer, sans perdre un instant, ce qui est nécessaire.

« Donnez-moi votre avis au sujet des quatre points exposés plus haut. Peut-être allez-vous me répondre : Faisons la guerre, bien que celle-ci doive coûter plus cher. Si tel est votre sentiment, et si vous pouvez rallier à cette idée les Etats du Sud, je m'empresse de vous déclarer que je suis sûr de l'acquiescement de la Pensylvanie et des Etats du Nord. Ce sera pour nous une bonne occasion de nous créer une marine. La politique de la chrétienté a fait de ses marins des lâches devant l'étendard de Mahomet; ce sera, pour nous, héroïque et glorieux de montrer que les nôtres sont plus courageux. Je ne doute pas un instant que nous y arrivions, si nous nous mettons sérieusement à l'œuvre; mais la difficulté qu'il y a à mettre tous nos concitoyens d'accord sur ce point m'a toujours découragé. »

A cela Jefferson répondit le 11 juillet : « Nos instructions portent que nous devons obtenir la paix par la voie de négociations. C'est donc notre devoir de le faire. Je

تابع للشكل رقم : (72)

reconnais avoir toujours pensé qu'il eût été préférable de l'obtenir par les armes.

Au sujet des idées exposées dans votre lettre du 3 courant, je suis d'accord avec vous sur les trois premières. En ce qui concerne la quatrième, j'estime que tout dépendra de la valeur des captures immédiates faites par les pirates : si celles-ci sont nombreuses et riches, le prix de la paix sera augmenté; sinon, il sera diminué. Dans tous les cas, s'il est décidé que nous devons acheter un traité, je ne vois aucune raison pour retarder cette opération. Je n'en continuerai pas moins à déclarer que j'aurais préféré l'obtenir par les armes pour les raisons suivantes :

« 1° La justice est en faveur de cette manière de voir. — 2° L'honneur l'est aussi. — 3° Cela nous procurera le respect de l'Europe; or le respect que nous lui inspirerons sera une sauvegarde pour nos intérêts. — 4° Cela dotera le gouvernement fédéral du plus efficace instrument de coercition contre celui des membres de notre communauté qui commettrait un délit. — 5° J'estime cette façon d'agir moins coûteuse. — 6° Je l'estime également plus efficace.

« Je demande pour cela une flotte de cent cinquante canons; j'ai, jusqu'ici, supposé que nous serions seuls à supporter tout le poids de la guerre; mais j'ai de bonnes raisons de croire que : 1° Naples se joindra à nous et que 2° le Portugal fera de même, pour des motifs identiques.

« Ainsi donc, je crois qu'une convention peut être conclue entre le Portugal, Naples et les Etats-Unis, suivant laquelle chacune de ces nations participera aux dépenses de la guerre proportionnellement à sa richesse; et si Alger souscrit à la paix qui lui aura été imposée, les stipulations des traités seront les mêmes pour chacune d'elles. »

Adams s'empressa de répliquer le 13 juillet :

« Je reçois à l'instant votre honorée du 11. J'y ai trouvé de solides et puissantes raisons en faveur d'une expédition contre les Algériens, et, je le confesse, si nos états pouvaient être mis d'accord sur l'opportunité de cette mesure, je serais le premier à défendre de tout mon pouvoir le principe d'une guerre pour la protection de nos gens et

de notre commerce. Mais le Congrès ne voudra jamais, sinon pendant de longues années, se rallier à une telle résolution et il en résultera pour notre négoce et pour notre honneur des souffrances illimitées. Nous ne devons pas penser à combattre les Algériens, si ce n'est une fois pour toutes. Or je crains qu'il soit difficile de faire partager à notre peuple cette façon de voir. Combattre les Algériens au prix de plusieurs millions, et faire la paix ensuite, moyennant plus d'argent et des présents plus précieux que ne le demanderait actuellement la conclusion d'une paix perpétuelle, ne me paraît pas précisément être une façon d'agir économique.

« Mon opinion est semblable à la vôtre au sujet de l'opportunité et même de la nécessité de posséder une marine pour d'autres usages; mais j'ai beaucoup d'appréhensions au sujet des résultats que cette marine obtiendrait contre les Algériens. Je suis complètement d'accord avec vous pour [illegible] la création d'une marine, que ce soit ou non contre ces derniers; mais je suis d'avis en même temps que nous devons nous efforcer de conclure tout d'abord un traité. Je reconnais que sur ce point votre lettre m'a mis plus à l'aise. Cependant, je pense que vous avez donné une estimation bien trop faible des forces qui seraient nécessaires pour amener les Algériens à composition. »

Le grand projet de Jefferson était le blocus perpétuel d'Alger par une flotte internationale. Il avait même demandé sur ce sujet l'opinion de d'Estaing qui lui avait répondu « qu'en bloquant Alger à l'aide de navires solidement ancrés et amarrés et réunis les uns aux autres par des câbles et des chaînes de fer, cette cité serait bien vite dans l'obligation de demander la paix ».

« Les bombardements, ajoutait d'Estaing, n'ont qu'un effet momentané. Ils ne consistent, si je puis m'exprimer ainsi, qu'à briser des vitres avec des guinées. Aucun n'a réussi à impressionner sérieusement ces brigands, tandis qu'un blocus, même imparfait, pourvu qu'il soit persistant, causera chez eux une perturbation profonde et con-

...ue, qui finira, à la longue, par leur devenir absolument insupportable.

...efferson avait aussi pensé à une ligue internationale contre les Etats Barbaresques.

« J'avais toujours été opposé, raconte-t-il dans ses Mémoires, à ce que les Etats-Unis partageassent l'humiliation européenne de payer tribut à ces pirates sans foi ni loi, et j'avais cherché à unir entre elles les puissances les plus exposées à leurs habituelles déprédations. Conformément à cette idée, j'avais préparé et rédigé une sorte de convention spéciale, que je remis à leurs représentants à Paris pour qu'elle fût soumise à leurs gouvernements respectifs. L'Espagne venait précisément de conclure un traité avec Alger, moyennant une dépense de trois millions de dollars et elle ne tenait pas à ce que le bénéfice d'un tel sacrifice dépendît exclusivement de l'observation du traité par la seule autre partie. Le Portugal, Naples, les Deux-Siciles, Venise, Malte, le Danemark et la Suède étaient favorablement disposés; mais leurs ministres à Paris m'exprimèrent la crainte que la France n'intervint soit directement, soit indirectement, en faveur des Etats Barbaresques, et ils me conseillèrent de m'assurer d'abord des bonnes dispositions du comte de Vergennes.

« Or j'avais déjà eu l'occasion de l'entretenir de mon projet; il était donc fort difficile et délicat d'exprimer des doutes sur la conduite et la loyauté de son gouvernement. Je me tirai de ce mauvais pas en lui exprimant la crainte que l'Angleterre fût favorable aux pirates. « Elle ne l'oserait pas » me répondit le ministre. Je n'insistai pas davantage. D'ailleurs les ambassadeurs me déclarèrent que cette réponse leur donnait toute satisfaction. Il ne manquait plus à la réussite de mon projet que l'assentiment de mon gouvernement et son autorisation de faire des propositions officielles et formelles.

« Je lui fis ressortir la perspective agréable de voir notre commerce protégé contre les attaques barbaresques; je lui donnai également à espérer qu'en excluant de la mer pendant un temps assez long ce peuple de brigands, on

arriverait certainement à modifier ses mœurs et ses habitudes et à éveiller en lui le goût de l'agriculture. Ce résultat, ajoutais-je, serait obtenu en y contribuant par la mise d'une frégate, à nos frais, en croisière constante. Mais le gouvernement américain n'était malheureusement pas en état de prendre un tel engagement. Ses recommandations au Congrès, en vue d'obtenir des États de l'Union des ressources pécuniaires, étaient trop peu écoutées et suivies par les représentants de certains d'entre eux ; aussi se refusa-t-il à prendre une part effective à la combinaison et à contracter une obligation qu'il était conscient de ne pouvoir remplir avec ponctualité. C'était l'échec de mon projet. »

تابع للشكل رقم : (74)

وكانت هناك محاولات أمريكية أخرى عديدة من هذا القبيل ضد الجزائر ، ونكتفي بهذا القدر .

ولما لم تنجح جميع تلك المساعي ، رضخ الأمريكان ، وسأل الرئيس جورج واشنطن في 08 مايو 1792 مجلس الشيوخ الأمريكي عما إذا كان يوافق على مشروع لعقد معاهدة سلم مع الجزائر ، قدمه للمجلس ، وكان مرهقا لأمريكا فيما يتصل منه بالضريبة السنوية وغيرها التي على أمريكا دفعها . (وكان الأغلب منها يدفع عتادا بحريا باشتراط الجزائر) . فقبل المجلس ، « نظرا لإخفاق المحاولات الحربية » ، بل عرض من نفسه على الرئيس رفع هذه المبالغ ، إذا كانت الأولى لا ترضي الجزائر . (285)

ومع ذلك « رفض الداي حسن عقد معاهدة مع الأمريكان حتى لو دفعوا كل الملايين » . (286)

واستمرت المساعي الأمريكية بدون جدوى . وفي 02 يناير 1794 أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قرارا يقضي بإنشاء أسطول حربي لمقاومة الأسطول الجزائري ، ولكنهم استمروا مع ذلك يقومون بمساع دبلوماسية متوازية وعروض مالية . ويعبر عن عدم جدوى تلك الجهود الأمريكية كلها ، من دبلوماسية وحربية ، ما لخصه في جملة مركزة نائب الرئيس الأمريكي آدمز (الذي أصبح فيما بعد بدوره رئيسا) إلى وزير الخارجية توماس جيفرسون (وهو أيضا أصبح فيما بعد رئيسا) ، إذ قال له :

« إن محاولاتك الحربية (ضد الجزائر) لم تكن أجدى وأكثر نفعا من مساعي الدبلوماسية » . (287)

(285) Irwin : ibid, p. 88.
(286) « : « « 94.
(287) « : « « 80 : Jefferson Papers XXIII.
Adams to Jefferson, July 31, 1786.

وأخـيرا ، وبعد استرضاءات ، ومفاوضات ، وتوسطات ، ومحاولات ، قبل الداى حسن (الذى خلف الداى محمد عثمان سنـة 1791) بعقد معاهدة سلـم ، ولكن بشروط كانت مرهقة لأمـريكا .

ومن المهم أن نقول هنا إن الداى حسن ــ ومن جـاء بعده ، كما سنرى ، وخاصة الحاج علي ــ كان يصر على العتاد البحرى أكثر ، ويفضله على الدولارات ...

وعقدت المعاهدة الأولى للسلم والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية .

وكانت تلك الشروط الجزائرية التى رضخت لهـا أمريكا تتلخص فيما يلى :

مبالغ ضخمة ــ لا داعي لذكر الأرقام ــ ، يقول عنها كثير من المؤرخين إنها لم تدر بحسبان أمريكا ، منها :

1) مبلغ لافتداء الأسرى الأمريكان .

2) وآخر لعقد معاهدة سلم .

3) وآخر ضريبة سنوية تدفع فى شكل عتاد حربى وتجهيزات بحـرية .

ويقول القنصل الأمريكى العـام الذى عـين فيما بعد ، فى كتاب له عن الجزائر ، ما يلى :

« إن الأحوال المالية لأمريكا كانت إذ ذاك من الضعف ، بحيث عانت الحكومة مشقة كبيرة فى جمع هذا المبلغ لمواصلة وإنهاء المفاوضات » . (288)

---

(288) W. Shaler : ibid, p. 138.

ويضيف :

« وهكذا حدث أن خضعت الولايات المتحدة الأمريكية،تحت ضغط ظروف قاهرة (289) ، لشروط الجزائر .

« ولكن حتى فيما بعد ، عندما ازدهرت تجارة أمريكا ، واتسعت إلى درجة خارقة ، استمر الجزائريون في الضغط ، واستمرت أمريكا في الاستجابة ، لتجنب قطع للعلاقات قد تنجم عنه خسارات فادحة لتجارتها ، وتعقدات سياسية كبرى » . (290)

ويقول المؤرخ الأمريكي المذكور ، إروين :

« إن سياسة الترضيات نحو الجزائر كانت غلطة ، وإن معاهدة 5 سبتمبر 1795 قد انطوت على تضحية كبرى في الكرامة القومية الأمريكية » . (291)

المعاهدات معها : ثلاث

1) معاهدة سلم وصداقة يوم 5 سبتمبر 1795 بين الداي بابا حسن والرئيس جورج واشنطن . المعاهدة أمضيت بالجزائر ، أمضاها عن الجزائر : بابا حسن ، داي الجزائر ، وعن الولايات المتحدة الأمريكية : المبعوث الخاص ، يوزيف دونالدسن ، والقنصل العام لأمريكا في الجزائر ، وليام شيلر ، بتفويض خاص من الرئيس جورج واشنطن : (292)

« **حررت بالعربية أصلا** ، (293) وأمضيت اليوم ، السبت ، الواحد والعشرين من صفر 1210 هـ (الخامس سبتمبر 1795) . »

---

(289) انظر الشكل السابق رقم : 69 .

(290) W. Shaler : ibid, p. 139.
(291) Irwin : ibid, p. 261.
(292) De Martens : ibid, t. VI, p. 553.
(293) « The original treaty in Arabic ».

وهاكم ترجمة الصيغة التى صادق بهـا الرئيس الأمريكى الأول ، جورج واشنطن ، على هذه المعاهدة :

« والآن : فليكن معلوما أنـي ، جـورج واشنطن ، رئيس الولايات المتحدة لأمريكا ، بعد أن قرأت ودرست هذه المعاهدة ، وبعد استشارة وقبول مجلس الشيوخ ، اقبلها ، وأصادق عليها ، وأؤكدها فى جميع فقراتها وموادها .

« وإشهادا على هذا ، فإنى قـد وضعت ختم الولايات المتحدة لأمريكا عليها ، وأمضيتها بيدى ، فى مدينة فيلاديلفيا ، اليوم 7 مارس 1796 ، والعـام العشرين من استقلال الولايات المتحدة الأمريكية » . الختم :

الرئيس جـورج واشنطن
وتيموثى بيكرينغ ، كاتب الدولة
للخـارجية

وكانت مادتها الأولى هكذا :

« ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة ستسود سلم ومودة دائمتان صادقتان بـين رئيس وسكان الولايات المتحدة لشمال أمريكا ، من جهة ، وبابا حسن ، داى الجزائر ، وديوانه ، وسكان الجزائر، من جهـة أخرى . وسيعامل رعايا الأمتين بالمودة ، والشرف ، والاحترام » . (294)

(294) انظر الشكل رقم : 75 .
وهنا يرى القارىء أن الاتفاقية المنعقدة بين الداى عمـر وجورج الثالث، سنة 1816 م ، ليست « الوحيدة المحـررة بالعربية ، والباقيـة كلها بالتركية » ، خلافا لما كتبه صديقنا الدكتور عبد الجليـل التميمى فى تعليقه على الاتفاقية الجزائرية الانكليزية (بحوث ووثائق ، ص 256) ، إذ نجد ، مثلا ، المعاهدة الأولى بين الداى حسن وجورج واشنطن منصوصا عليها فى مقدمتها أنها « حررت أصلا بالعربية ، ثم ترجمت إلى لغـة الولايات المتحدة » (= الانكليزية) .
وإن كان الدكتور التميمى لم يجـزم بما كتب ، بـل كان متحفـظا ، إذ استعمل : « لعل » ، وكيف لا ، وهو المحقق القدير ، والذى له الفضل الكبير على تاريخ بلدان المغرب ، خاصة من حيث مراجعه العثمانية .

72.

Traite de paix et d'amitié entre les Etats Unis d'Amérique et le Dey d'Algèr conclû le 5 Septembre 1795.

1795 5. Sept.

(D'après l'imprimé publié à Philadelphie 1796. 12. & se trouve dans: *Collection of State Papers.* Vol. III. P. II. p. 33 a)

George Washington, president of the United States of America.

To all to whom these presents shall come: Greating:

Whereas a Treaty of Peace and Amity has been concluded in the manner herein-after mentioned by the Plenipotentiary of the United States of America, and the Dey and Regency of Algiers; which Treaty, written in the Arabic language being translated into the language of the United States, is in the words following, to wit:

Treaty of Peace and Amity, concluded this present Day, Iima Artasi, the twenty-first of the Luna Safer Year of the Hegira, 1210, corresponding with Saturday the 5th of September, 1795, between *Hassan Bashaw*, Dey of Algiers, his Divan and Subjects, and *George Washington*, President of the United States of North America, and the Citizens of the said United States.

ART. I.

From the date of the present treaty there shall subsist a firm and sincere peace and amity between the President and citizens of the United States of North America, and Hassan Bashaw, Dey of Algiers, his Divan and subjects; the vessels and subjects of both nations reciprocally treating each other with civility, honour and respect. Paix et amitié.

ART. II.

All vessels belonging to the citizens of the United States of North America shall be permitted to enter the different ports of the regency, to trade with our subjects, or any other persons residing within our jurisdiction, on paying the usual duties at our custom-house Libre entrée.

Mm 5

De Martens : ibid, p. 553, vol. Suppl. VI

الشكل رقم : (75)

وقـد نشر نص هذه المعاهدة فى جريدة فيلاديلفيا (التى كانت العاصمة الأولى لأمريكا حتى سنة 1800) بتاريخ 9 مارس 1796 ، فى اثنتى عشرة صفحة ؛ ثم نشرت مع مجموعة المعاهدات والمواثيق الدولية الأمريكية سنة 1931 ، وذكر بها مجلد ضخـم بقائمة المعاهدات الأمريكية صدر عــن مكتبة مجلس الشيوخ الأمريكى سنة 1978 .

وقد أطنب المؤرخون الأمريكان فى مدح مزايا هذه المعاهدة لأمريكا ، وسجل ، مثلا ، المؤرخ اروين ، فى كتابه « تاريــخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية البربروسية » ، ما يلى :

« ولئن كانت هذه المعاهدة مــع الجزائر تتضمن تضحية فى الكرامة القومية للولايات المتحدة الأمريكية ، ومرهقة لماليتها ، فقد كانت لها ، على الأقل ، ثلاث فوائد رئيسية :

« 1) إطلاق سراح الأسرى الأمريكان فى الجزائر .

2) إقامة سلم مع أقوى بلدان المغرب وأخطرها شأنا .

3) توسط الجزائر ، بطلب من أمريكا ، لدى كل من حمودة باشا ، بــاى تونس ، ومحمد يوسف كرمنلى ، باى طرابلس ، لعقد معاهدة سلم معهما بضمان داى الجزائر » . (295)

وفعلا ، فقد عقدت معاهدة ، بعد ذلك ، بين أمريكا وكل من تونس وطرابلس .

ولئــن لم أجـد ضمان الجزائر بخصوص تونس ، فبالنسبة لطرابلس وجدته كاملا ، وها هو :

« هذه معاهدة سلــم وصداقة مــع باشا طرابلس بتاريخ 4 نوفمبر 1796 ، أمضيت بين محمد يوسف باشا ، باى طرابلس ،

(295) Irwin : ibid, p .119.

وجويـل بارلو ، القنصل العـام لأمريكا فى الجـزائر ووكيلها المفوض من الرئيس الأمريكى .

« ضمنها : بابا حسن ، داى الجزائر ، بتوقيعه يـوم 3 يناير 1797 بالجزائر المحروسة » . (296)

هذا كان في آخر نص المعاهدة . وها هي المادة الأولى مـن المعاهدة :

1) « المادة الأولى : هذه معاهدة سلم دائمة وصداقة متينة بين الولايات المتحدة الأمريكية وباى وسكان طرابلس البربروسية ، بقبول الطرفين ، وبضمان الداى القوى جدا ، داى الجزائر » .

وبالعكس من هذه الشخصية المستقلة تمام الاستقلال ، التى كانت للجزائر ، فى إعلان الحـرب ، وعقـد السلم ، وإمضاء المعاهدات ، نجد دولا شقيقة (297) لم تكن تتصرف باسمها ، بل كان لابد لها من تفويض خاص من الباب العالى ، مثل باشا بغداد ، الذى لم يكن يتحرك إلا بتخويل كتابى للسلطات الخاصة من الباب العالى ، ليجرى أية مفاوضة ، أو يمضى أية معاهدة ، فضلا عـن إعلان الحرب ، وعقد السلم ؛ ونفس الشيء عن باشا طرابلس (ليبيا) ، وغيرهما . (298)

واستمرت العلاقات الجزائرية الأمريكية على أساس معاهدة السلم والصداقة المذكورة ، التى تدفع أمريكا بمقتضاها المبالغ المتفق عليها كضريبة ، حتى سنة 1812 .

(296) De Martens : ibid, t. VII, p. 147.
(297) a) « Plein pouvoir (sic) donné par l'empereur turc à Ahmed, Pacha de Baghdad, pour signer un traité avec... ».
b) « ...et son Excellence Ahmed, Pacha de Tripoli, avec l'approbation de la Haute Porte », ibid, suppl. t. 1, p. 188.
(298) انظر الشكل رقم : 76 .

1728

Tripolitains pris ſur vaiſſeaux Holl.

ART. X.

Lors qu'un Vaiſſeau Hollandois prendra un Vaiſſeau ennemi, ſur lequel ſe trouveront des Marchands de nôtre Nation, on ne les outragera, ni endommagera leurs effets, mais on les debarquera dans le lieu qu'ils voudront, moïennant qu'ils païent le fret. Et lors que nos Corſaires prendront un Vaiſſeau ennemi, ſur lequel ſe trouveront des marchands Hollandais, nos vaiſſeaux les traiteront de même, ſe feront paier le fret, ſans outrager les Marchands, et ſans endommager leurs effets.

ART. XI.

Faillites.

طرابلس

En Cas qu'un Marchand Hollandois negotiant en perſonne à Tripoli devint inſolvable, et s'évadât, on ne pourra rien exiger du Conſul Hollandois ni l'inquieter.

ART. XII.

Vaiſſeaux venant pour charger du ſel.

S'il arrivoit qu'un Vaiſſeau Hollandois loué ou par un Venitien, ou par un Chrétien de quelque Religion qu'il ſoit, étant entré dans un de nos ports pour charger du ſel, un Vaiſſeau Maltois ou quelque autre Corſaire vint enlever dans le voiſinage de ce Vaiſſeau chargeant du ſel, quelques effets du Navire, ou qu'il fit quelques Eſclaves le maitre de ce Navire ne pourra former aucune prétention pour ces effets ou ces Eſclaves enlevez ni contre le maitre du Vaiſſeau, ni contre le Conſul, mais uniquement contre le Marchand Chrétien qui a pris le Vaiſſeau à louage.

ART. XIII.

Cas de rupture.

En cas de rupture avec les Hollandois, on ne moleſtera ni ne fera moleſter le Conſul, ni ſes Marchands, ni ſes Serviteurs, ni ſes Domeſtiques; mais il lui ſera libre de ſe retirer avec les ſiens et avec ſes effets où il voudra, et pendant ce tems il ne ſera pas permis de l'inquieter.

Cette Année mille et cent quarante unième, le quinzieme jour de la lune Zafer le bon, les Vaiſſeaux de la Republique de Hollande étant venus vers nous avec les preſens, on a renouvellé la paix ci-devant faite, en convenant encore de trois articles, ce qui fait le nombre de treize en tout, entre le Commandeur Grave, le Conſul Gerbrants, et ſon Exellence Achmed Paſcha avec l'approbation de la Haute Porte, et dreſſé cette Capi-

De Martens, ibid : Suppl. t. 1

الشكل رقم : (76)

ففى هذه السنة تغير الجـو السياسى فى أوروبا بين أنكلترا وفرنسا ، وبين أنكلترا وأمريكا ، وبالتالى مع الجزائر أيضا ، التى كانت بريطانيا صديقتها الأولى ، على الأقل حسبما كانت تدعيه هذه الأخيرة ، طبقا لمصالحها ...

ففى هذه السنة ، إذن ، 1812 ، وقـع خلاف بين الداى الحاج عـلي وجيمس ميديسون ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، حول تنفيذ بنـود المعاهدة الخاصة بتلك الضريبة . فالرئيس الأمريكى ميديسون كان يصر عـلى أن يـدفع المبالـغ المتبقية بالدولار ، والداى الحاج علي كان ، من جهته ، متمسكا بما كان قـد اتفق عليه الطرفان من دفـع تلك الضريبة عتادا بحريا ؛ وأثار الأمريكان أيضا خلافا آخر ، لا من حيث نوعية المدفوعات فحسب ، بل أيضا من حيث مبالغها ، حيث بدا لهم أن الفارق بين التقويم الهجرى والتقويم الميلادى يكلفهم مبالغ إضافية . (299)

وامتـد ذلك الخلاف طوال سنتين ، وأعلن الداى الحاج عـلي الحرب على أمريكا ، وتوسطت دول ، أو تدخلت ، لتأييد أمريكا : وهى السويد ، واسبانيا ، وأنكلترا . ولكن الداى الحاج علي ظل متمسكا بموقفه ، وقال : « لـن أطلق سراح الأسرى الأمريكان الذين فى حوزتى ولو بمليون دولار » (300) ، وكان يلح ، كما قلنا ، على العتاد .

وفى هذه الأثناء كانت الحرب بين أمريكا وأنكلترا قد وضعت أوزارها يوم 24 ديسمبر 1814 ؛ كما أن أسطول نابليون ، الذى كان يهدد أنكلترا ، قد انسحب من مناطق البحر الأبيض المتوسط ، ويضاف إلى هذا شيء أهم : « وهو أن الجزائر كانت سنة 1814 فى حالـة حرب مـع ست دول هى : هولاندا ، والدانمارك ،

---

(299) Irwin : ibid, p. 238-239.
(300) Irwin : ibid, p. 243.

وإيطاليا ، واسبانيا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ؛ فرأت أمريكا أن الفرصة قد سنحت لها ، وانضمت إلى هذه الكتلة ، وكانت الدولة السابعة ضد الجزائر في الوقت الواحد ، « إذ رأت أن الوقت قد حان لتصفية الحساب مع الجزائر » . (301)

وقد عنون المؤرخ الأمريكي إروين هذا الفصل بهذا العنوان بالضبط : « تصفية الحساب » (مع الجزائر) (302 و 302 م) .

وهنا أوصى الرئيس الأمريكي جيمس ميديسون الكونغرس الأمريكي بإعلان الحرب على الجزائر ، وتم ذلك فعلا يوم 23 فبراير 1815 ، وكانت الحرب ! (303)

وقد أرسل الرئيس جيمس ميديسون ووزيره للخارجية ، مونرو ، (الذى أصبح فيما بعد رئيسا بدوره) ، تعليمات إلى قنصلهم شيلر باتخاذ جميع التدابير الممكنة والأهبة الضرورية ، حسب الظروف ، بالعمل للصلح ، إن أمكن ، وإلا فليستعد لاستقبال الأسطول الأمريكي ضد الجزائر .

غارة ديكاتور : وفعلا جاء الكومودور ستيفن ديكاتور (Stephen Decatur) يوم 17 ، (أو 28) — حسب الروايات — يونيو 1815 ، وحصل صدام ، ووقعت معركة بين مجموعة سفنه وبارجة الرايس حميدو ، المسماة «مشهودة» ، بالعربية ، («والبرتغالية» (Portekisa) ، باسمها النصراني ، وكان غنمها عن البرتغاليين) في عرض البحر ، ودامت المعركة البحرية يومين ، واستشهد أثناء تلك المعركة « الأميرال العظيم الرايس حميدو » (304) وثلاثون

---

(301) Irwin : ibid, p. 245.
(302) Irwin : ibid, p. 245.
(302م) من ترجمة إسماعيل العربى ، كما سبق أن ذكرنا .
(303) Irwin : ibid, p. 245.
(304) Spencer : ibid, p. 144-145.

من بحارته يوم 28 يونيو 1815 ، في عرض البحر ، عند راس غاطا (Cape de Gata) ، اثـر انفجار أحـد مدافـع البارجة الأمريكية « جيريير » (305) للقائد العـام لأسطول العدوان الأمريكي هذا ، وهو الأميرال ديكاتور . (306)

« وقد كان الذى واجه الأسطول الأمريكى هو الداى عمر نفسه ، (الذى خلف الداى الحاج علي) ، وهو « يتسم بكثير مـن الشجاعة والتصميم » . (307) (307م)

ولكـن الشجاعة وحدها لا تكفي ! فالأمريكان قـد تطوروا صناعيا ، وتقنيا ، وعلميا ، طوال تلك المدة ، أى منذ ما يقرب من نصف قرن من استقلالهم ، بينما داياتنا ظلوا على ما كانوا عليه ! وكانوا يظنون أن الشجاعة وحدها تكفي ، أو أن العالم متوقف عند المستوى الذى كان عليه.فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ... وأنه لن يتغير ، ولن يتطور ...

على أن الحرب سجـال ، وكل شيء متداول ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، كما تقول الآية الكريمة ، وما هى الدولة التى لم تخسر ولو مرة حربا فى التاريخ ؟

2) المعاهدة الثانية (308) : وفى يـوم 3 يوليو 1815 عقدت معاهدة سلـم وصداقة (Treaty of peace and amity) بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية ، فى عهـد الداى عمر وجيمس ميديسون ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، الـذى صادق عليها يوم 26 ديسمبر من نفس العام . (309)

---

(305) Irwin : ibid, p. 247.
(306) Irwin : ibid, p. 247.
(307) Irwin : ibid, p. 247.
(307م) وهو شيخ كبير ، كما يرى فى الصورة ، وشج فى رأسه(ص 208)
(308) De Martens : ibid, t. 2, p. 596-601.
(309) انظر الشكل رقم : 77 .

52 ½.

1815 *Traité de paix conclu entre les Etats-unis d'Amérique, et S. A. Omar Bashiaw Dey d'Algèr, signé le 3 Juil. 1815.*

3 Juil.

(*Journal de Francfort* 1816. No. 136. 137.)

Paix. ART. I. A dater de la conclusion de ce traité, il y aura paix constante, inviolable, et universelle, entre le président et les citoyens des Etats-unis d'Amérique d'une part, et le Dey et les sujets de la régence d'Algèr en Barbarie de l'autre, conclue d'un commun accord et dans les termes des nations les plus favorisées; et si une des parties contractantes était dans le cas d'accorder à l'avenir à quelque autre nation quelque faveur particulière ou privilège pour la navigation ou le commerce, cela deviendra immédiatement commun à l'autre partie, si cela a été accordé librement; si la concession est conditionnelle, les parties respectives auront le choix de l'accepter, de la modifier, ou de la rejetter, suivant qu'elles le jugeront conforme à leurs intérêts.

Restitution des captifs récipr. ART. II. Le Dey d'Algèr remettra immédiatement à l'escadre américaine actuellement devant d'Algèr tous les citoyens américains qui se trouvent en son pouvoir; et tous les sujets du Dey d'Algèr, qui sont au pouvoir des Etats-unis, seront également rendus, sans qu'on puisse demander des indemnités pour le plus ou moins grand nombre de ces individus.

Compensations. ART. III. Le Dey d'Algèr accordera une juste et entière compensation aux citoyens des Etats-unis qui ont été pris et retenus par les croiseurs algériens, et à ceux qui ont été forcés à abandonner leurs propriétés à Algèr lors de la violation du traité du 5 Septembre 1795, conclu entre les Etats-unis et le Dey d'Algèr.

Le navire couvre la cargaison. ART. IV. Si quelque marchandise appartenant à une nation en guerre avec une des parties contractantes, était chargée à bord de quelque bâtiment de l'autre partie, elle devra passer librement, et sans le moindre obstacle, et l'on ne pourra faire la moindre tentative pour la prendre ou pour l'arrêter.

ART.

S De Martens : ibid, t. II

الشكل رقم : (77)

Art. V. Si quelque citoyen ou sujet des deux parties étoit trouvé avec ses effets à bord de quelque bâtiment pris comme ennemi, les deux parties doivent réciproquement le mettre immédiatement en liberté; et dans aucun cas, et sous aucun prétexte, aucun citoyen américain ne pourra être retenu en captivité, ni sa propriété séquestrée; et lors même qu'il se trouveroit à bord de quelque bâtiment d'une nation en guerre avec les algériens, la marchandise sera remise à son vrai propriétaire sur le vu des documens prouvant qu'il est citoyen américain et que cette propriété lui appartient, ou sur le vu des preuves présentées par le consul des Etats-unis résidant à Alger.

Art. VI. Les passeports nécessaires seront donnés immédiatement aux bâtimens des deux parties contractantes, à condition que les bâtimens de guerre algériens, rencontrant des navires marchands appartenant au citoyen des Etats-unis, ne pourront, pour le visiter, mettre plus de deux personnes, outre les rameurs, dans la chaloupe; et dans ce cas ils pourront monter à bord sans en avoir obtenu préalablement la permission du commandant. Mais aussitôt après que le passeport aura été examiné, il devra être permis au navire visité de continuer librement son voyage. Si quelque sujet algérien insultait ou molestait le commandant, ou quelque autre personne, à bord du navire visité, ou se permettait d'enlever des marchandises existantes à bord de ce navire, sur la réclamation du Consul des Etats-unis résident à Alger et en administrant les preuves suffisantes du fait, le commandant ou raïs du bâtiment de guerre algérien, et toute autre personne ayant participé à l'offense, devront être punis de la manière la plus exemplaire. Les vaisseaux de guerre américains rencontrant un Croiseur appartenant à la régence d'Alger, après avoir vu ses passeports et le certificat du Consul des Etats-unis résident à Alger, lui permettront de continuer son voyage sans le retenir ni le molester. Les parties respectives n'accorderont, sous quelque prétexte que ce soit, aucun passeport à un vaisseau à moins qu'il ne soit absolument la propriété d'un citoyen, ou sujet de leurs états.

Art. VII. Un citoyen ou sujet d'une des deux parties contractantes ayant une prise condamnée par l'autre

Pp 3 partie

تابع للشكل رقم : (77)

وقـد أدرجت في المادة الأولى مـن هذه المعاهدة ، الى جانب « السلم الدائمة الشاملة التي لا يمكن أن تخرق » ، فكرة « أن هذه المعاهدة عقدت عـلى أساس المعاهدات المنعقدة بين الدول الأكثر حظوة » . (« dans les termes des nations les plus favorisées... »).

وسرعان ما جددت هذه المعاهدة بالتعديل ، بطلب من الجزائر التي ألحت عـلى إلغاء فكـرة « الحظوة » هذه ، « وإلا اعتبرت المعاهدة ملغاة من طرفها » . وبعد تبادل رسائل في هذا الشأن بـين الداى عمـر والرئيس ميديسون ، أجرى التعديل حسب طلب الداى عمـر ، بإلغـاء (310) صيغـة « المحظوظية » ، أو « الحظوية » ، التي عدلت ، بإدراج « حرية الاختيار » ، وأصبحت بذلك :

3) المعاهدة الثالثة (311) بين نفس الرئيسين : الداى عمـر وجيمس ميديسون ، يوم 23 ديسمبر 1816 . وقد ظل الأمريكان مدة ثماني سنين ساخطين عليها ، ولـم يصادق عليها إلا يوم 11 فبراير 1822 من طرف الرئيس جيمس مونرو ، (الذى أصبح إذ ذاك الرئيس الثالث لأمريكا) ، وإن كـان المؤرخ الأمريكي إروين يقول ... « إن التأخر في المصادقة على تلك المعاهدة (312) كان سهوا » . ! (313) ... وبدون تعليق منا ... لأن ما لا يعجب ينسى ، ويصبح ضحية « السهو » ، ويغوص في اللاشعور !

ويعلق « دليل الوثائق الأمريكية الرسمية » ، الصادر سنـة 1978 ، عـلى هـذه المعاهدات الجزائـرية الأمريكية « أن هـذه المعاهدات الثلاث قـد أصبحت غـير ذات موضوع (obsolete) ،

---

(310) بنصوصها كاملة يجدها القارىء لدى:
(310) W. Shaler : ibid, p. 344-388.
(311) U.S.A. Laws, statues, etc, Vol. 8, p. 244-248.
(312) انظر الأشكال رقم : 78 ـ 79 ـ 80 ـ 81 .
(313) Irwin : ibid, p. 258.

1816 *Traité de paix et d'amitié, conclu entre les Etats-Unis de l'Amérique septentrionale et le Dey et la Regence d'Alger et signé à Alger le 22 et le 23 Décembre 1816; ratifié par le président des Etats-Unis le 11 Février 1822.*

(*Acts passed at the first session of the seventeenth congress of the United-States.* pag. 117.)

The President of the United States and the Dey of Algiers, being desirous to restore and maintain, upon a stable and permanent footing, the relations of peace and good understanding between the two powers, and for this purpose to renew the treaty of peace and amity which was concluded between the two states by William Shaler and commodore Stephen Decatur, as commissioners plenipotentiary on the part of the United States, and his Highness Omar Basbaw, Dey of Algiers, on the 30th of June, 1815. 1816

The President of the United States having subsequently nominated and appointed, by commission, the above named William Shaler, and Isaac Chauncey, commodore and commander in chief of all the naval forces of the United States in the mediterranean, commissioners plenipotentiary to treat with his Highness the Dey of Algiers, for the renewal of the treaty aforesaid; and they have concluded, settled, and signed, the following articles:

Art. I. There shall be, from the conclusion of this treaty, a firm, perpetual, inviolable, and universal, peace and friendship between the President and citizens of the United States of America, on the one part, and the Dey and subjects of the Regency of Algiers, in Barbary, on the other, made by the free consent of both parties, and on the terms of the most favored nations: And if either party shall hereafter grant to any other nation any particular favor or privilege in navigation or commerce, it shall immediately become common to the other party; freely, when freely it is granted to such other nations, but when the grant is conditional, it shall be at the option of the contracting parties to accept, alter, or reject, such conditions, in such manner, as shall be most conducive to their respective interests.

Art. II. It is distinctly understood between the contracting parties, that no tribute, either as biennial presents, or under any other form or name whatever, shall be required by the Dey and Regency of Algiers from the United States of America, on any pretext whatever.

Art. III. [Relates to the mutual restitution of prisoners and subjects, and has been duly executed.]

الشكل رقم : (78)

1816 ART. IV. [Relates to the delivery, into the hands of the Consul General, of a quantity of Bales of Cotton, etc. and has been duly executed.]

ART. V. If any goods belonging to any nation with which either of the parties are at war, should be loaded on board vessels belonging to the other party, they shall pass free and unmolested, and no attempt shall be made to take or detain them.

ART. VI. If any citizens or subjects, belonging to either party, shall be found on board a prize vessel taken from an enemy by the other party, such citizens or subjects shall be liberated immediately, and in no case, or on any pretence whatever, shall any American citizen be kept in captivity or confinement, or the property of any American citizen found on board of any vessel belonging to any nation with which Algiers may be at war, be detained from its lawful owners after the exhibition of sufficient proofs of American citizenship and American property by the consul of the United States residing at Algiers.

ART. VII. Proper passports shall immediately be given to the vessels of both the contracting parties, on condition that the vessels of war belonging to the Regency of Algiers, on meeting with merchant vessels belonging to the citizens of the United States of America, shall not be permitted to visit them with more than two persons besides the rowers; these only shall be permitted to go on board without first obtaining leave from the commander of said vessel, who shall compare the passports, and immediately permit said vessel to proceed on her voyage; and should any of the subjects of Algiers insult or molest the commander, or any other person on board a vessel so visited, or plunder any of the property contained in her, on complaint being made to the consul of the United States residing in Algiers, and on his producing sufficient proofs to substantiate the fact, the commander or rais of said Algerine ship or vessel of war, as well as the offenders, shall be punished in the most exemplary manner.

All vessels of war belonging to the United States of America, on meeting a cruiser belonging to

الشكل رقم : (79)

the Regency of Algiers, on having seen her paſs- 1
ports and certificates from the consul of the United States residing in Algiers, shall permit her to proceed on her cruise unmolested, and without detention. No paſsport shall be granted by either party to any vessels, but such as are absolutely the property of citizens or subjects of the said contracting parties, on any pretence whatever.

Art. VIII. A citizen or subject of either of the contracting parties having bought a prize vessel condemned by the other party, or by any other nation, the certificates of condemnation and bill of sale shall be a sufficient paſsport for such vessel for six months; which, considering the distance between the two countries, is no more than a reasonable time for her to procure paſsports.

Art. IX. Vessels of either of the contracting parties putting into the ports of the other, and having need of provisions or other supplies, shall be furnished at the market price; and if any such vessel should so put in from a disaster at sea, and have occasion to repair, she shall be at liberty to land and re-embark her cargo, without paying any customs or duties whatever; but in no case shall be compelled to land her cargo.

Art. X. Should a vessel of either of the contracting parties be cast on shore within the territories of the other, all proper assistance shall be given to her and her crew; no pillage shall be allowed; the property shall remain at the disposal of the owners; and, if reshipped on board of any vessel for exportation, no customs or duties whatever shall be required to be paid thereon, and the crew shall be protected and succored until they can be sent to their own country.

Art. XI. If a vessel of either of the contracting parties shall be attacked by an enemy within cannon-shot of the forts of the other, she shall be protected as much as is possible. If she be in port, she shall not be seized or attacked, when it is in the power of the other party to protect her; and when she proceeds to sea, no enemy shall be per-

تابع للشكل رقم : (79)

1816 mitted to pursue her from the same port within twenty-four hours after her departure.

ART. XII. The commerce between the United States of America and the Regency of Algiers, the protections to be given to merchants, masters of vessels, and seamen, the reciprocal rights of establishing consuls in each country, the privileges, immunities, and jurisdictions, to be enjoyed by such consuls, are declared to be on the same footing, in every respect, with the most favored nations, respectively.

ART. XIII. The consul of the United States of America shall not be responsible for the debts contracted by the citizens of his own country, unless he gives previously written obligations so to do.

ART. XIV. On a vessel or vessels of war belonging to the United States anchoring before the city Algiers, the consul is to inform the Dey of her arrival, when she shall receive the salutes which are, by treaty or custom, given to the ships of war of the most favored nations on similar occasions, and which shall be returned gun for gun; and if, after such arrival, so announced, any Christians whatever, captives in Algiers, make their escape and take refuge on board any of the said ships of war, they shall not be required back again, nor shall the consul of the United States or commander of the said ship be required to pay any thing for the said Christians.

ART. XV. As the government of the United States has, in itself, no character of enmity, against the laws, religion, or tranquillity, of any nation, and as the said states have never entered into any voluntary war or act of hostility, except in defence of their just rights on the high seas, it is declared, by the contracting parties, that no pretext arising from religious opinions shall ever produce an interruption of the harmony between the two nations; and the consuls and agents of both nations shall have liberty to celebrate the rites of their respective religions in their own houses.

The consuls respectively, shall have liberty and personal security given them to travel within the

الشكل رقم : (80)

territories of each other by land and sea, and shall 181
not be prevented from going on board any vessel they may think proper to visit; they shall likewise have the liberty to appoint their own drogoman and broker.

Art. XVI. In case of any dispute arising from the violation of any of the articles of this treaty, no appeal shall be made to arms, nor shall war be declared on any pretext whatever; but if the consul residing at the place where the dispute shall happen, shall not be able to settle the same, the government of that country shall state their grievance in writing, and transmit the same to the government of the other, and the period of three months shall be allowed for answers to be returned, during which time no act of hostility shall be permitted by either party; and in case the grievances are not redressed, and a war should be the event, the consuls, and citizens, and subjects, of both parties, respectively, shall be permitted to embark with their effects unmolested, on board of what vessel or vessels they shall think proper, reasonable time being allowed for that purpose.

Art. XVII. If, in the course of events, a war should break out between the two nations, the prisoners captured by either party shall not be made slaves; they shall not be forced to hard labor, or other confinement than such as may be necessary to secure their safe keeping, and shall be exchanged rank for rank; and it is agreed that prisoners shall be exchanged in twelve months after their capture; and the exchange may be effected by any private individual legally authorized by either of the parties.

Art. XVIII. If any of the Barbary powers, or other states at war with the United States, shall capture any American vessel and send her into any port of the Regency of Algiers, they shall not be permitted to sell her, but shall be forced to depart the port on procuring the requisite supplies of provisions; but the vessels of war of the United States, with any prizes they may capture from their enemies, shall have liberty to frequent the ports of Algiers for refreshment of any kind, and to sell

تابع للشكل رقم : (80)

1816 such prizes in the said ports, without paying any other customs or duties than such as are customary on ordinary commercial importations.

ART. XIX. If any of the citizens of the United States, or any persons under their protection, shall have any disputes with each other, the consul shall decide between the parties; and whenever the consul shall require any aid or assistance from the government of Algiers to enforce his decision, it shall be immediately granted to him; and if any disputes shall arise between any citizens of the United States and the citizens or subjects of any other nations having a consul or agent in Algiers, such disputes shall be settled by the consuls or agents of the respective nations; and any disputes or suits of law that may take place between any citizens of the United States and the subjects of the Regency of Algiers, shall be decided by the Dey in person, and no other.

ART. XX. If a citizen of the United States should kill, wound, or strike, a subject of Algiers, or, on the contrary, a subject of Algiers should kill, wound, or strike, a citizen of the United States, the law of the country shall take place, and equal justice shall be rendered, the consul assisting at the trial; but the sentence of punishment against an American citizen shall not be greater or more severe than it would be against a Turk in the same predicament; and if any delinquent should make his escape, the consul shall not be responsible for him in any manner whatever.

ART. XXI. The consul of the United States of America shall not be required to pay any customs or duties whatever on any thing he imports from a foreign country for the use of his house and family.

ART. XXII. Should any of the citizens of the United States of America die within the Regency of Algiers, the Dey and his subjects shall not interfere with the property of the deceased, but it shall be under the immediate direction of the consul, unless otherwise disposed of by will. Should there be no consul, the effects shall be deposited in the hands

الشكل رقم : (81)

of some person worthy of trust, until the party shall 1816 appear who has a right to demand them, when they shall render an account of the property; neither shall the Dey or his subjects give hindrance in the execution of any will that may appear.

Article additional and explanatory.

The United States of America, in order to give to the Dey of Algiers a proof of their desire to maintain the relations of peace and amity between the two powers upon a footing the most liberal, and in order to withdraw any obstacle which might embarrass him in his relations with other states, agree to annul so much of the eighteenth article of the foregoing treaty, as gives to the United States any advantage in the ports of Algiers over the most favored nations having treaties with the Regency,

Done at the palace at the government, in Algiers, on the 22d day of December, 1816, which corresponds to the third of the moon Safar, year of the Hegira 1232.

Whereas the undersigned William Shaler, a citizen of the state of New-York, and Isaac Chauncey, commander in chief of the naval forces of the United States, stationed in the mediterranean, being duly appointed commissioners, by letters patent under the signature of the president and seal of the United States of America, bearing date at the city of Washington, the twent-fourth day of August, A. D. 1816, for negociating and concluding the renewal of a treaty of peace between the United States of America and the Dey and subjects of the Regency of Algiers, we, therefore, William Shaler and Isaac Chauncey, commissioners as aforesaid, do conclude the foregoing treaty, and every article and clause therein contained, reserving the same, nevertheless, for the final ratification of the President of the United States of America, by and with the advice and consent of the Senate of the United States.

1816 Done in the Chancery of the Consulate General of the United States, in the city of Algiers, on the 23d day of December, in the year 1816, and of the independence of the United States the forty-first.

Wm. Shaler.

I. Chauncey.

The signature of the Dey is stamped at the beginning and end of the treaty.

(The foregoing treaty was ratified on the 11th February, 1822.)

تابع للشكل رقم : (81)

أى ملغاة ، سنة 1830 ، بدخول الجزائر تحت المراقبة الفرنسية » . (314)

ومن عجيب المفارقات ، أن تكون أمريكا هذه ، ـ التى كانت الجزائر من بين أولى الدول التى اعترفت بها ، « وعبر لها الداى حسن عن عواطفه الودية وإعجابه بكفاحها للتحرر ، عن طريق الوفد الرسمى الأمريكى الأول الذى استقبله ، وقال لأعضائه ، بالإسبانية ، ومترجم من بين الأمريكان يترجم لبقية الوفد ، « إنه معجب بالشعب الأمريكى ، ويقدر فيه الطريقة التى تحدى بها ثواره كابوس هذه الأمة البغيضة : بريطانيا » (315) ، « وقال له ، (للوفد) ، ببشاشة : إنه معجب بالولايات المتحدة الأمريكية ، هذه الأمة الجديدة ، وذلك أن أية أمة تزيل عن نفسها كابوس أمة قوية مثل بريطانيا تستحق الإعجاب من العالم » ... (316) ـ هى التى ... نقول إذن : إنه من عجيب المفارقات ، أن تكون أمريكا هذه ، التى يعبر لها الداى حسن عن عواطفه الودية ، وإعجابه بكفاحها ... هى نفسها التى تقف موقف المعاداة للجزائر فى كفاحها التحريرى ، وموقف المساندة التامة والتأييد المطلق للاستدمار الفرنسى !

فزيادة عن التأييد السياسى الدبلوماسى ، بالضغط على جميع الدول ، التى كان يمكنها الضغط عليها ، حتى لا تساندنا ؛ وزيادة عن مواقفها فى هيئة الأمم المتحدة ، وميثاق الحلف الأطلسى ، الذى أقحمتنا فيه أمريكا إقحاما ، بطلب من فرنسا ، « كجزء لا يتجزأ منها » ؛ وزيادة عن التأييد المالى ، بالدولار : والاستراتيجى ، بمختلف الأسلحة ، ومنها أسلحة الميثاق الأطلسى،

(314) Guide to U.S. official Documents and Governement, Library of Congress, Washington 1978.
(315) Barnbay : ibid, p. 318.
(316) Barnbay : ibid, p. 80.

والموازرة العسكرية ، بإرسال ضباط إخصاييين إلى الجزائر مددا لفرنسا ؛ هـا هى ترفع عقيرتها ، معادية للجزائر ، ولإقامـة الحكومة الجزائرية المؤقتة ، فتقول عنها رسميا ، يوم 26 سبتمبر (1958) ، بعد أسبوع واحد من الإعلان عن تكوينها ، ما يلى :

« إن أمريكا لن تعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة ، لأسباب قانونية ، وذلك أنها لا تتوفر فيها الشروط الثلاثة الضرورية للاعتراف بها ، والمحددة منذ عهد توماس جيفرسون ، (وزير خارجية ثم رئيس للولايات المتحدة الأمريكية) ، وهى :

« 1) امتلاك جهاز حكومى ،

«2) قبول الشعب بها ،

«3) إرادة هذه الحكومة الجديدة فى القيام بواجباتها الدولية وقدرتها على ذلك » . (317)

وكان ما كان ــ وهو قليل من كثير ــ مما ذكرناه ــ عن موقفها منا أثناء كفاحنا التحريرى الأخير ، ثم ما أصدرته من تصريحات عـن « جزئية الجزائر التى لا تتجـزأ مـن فرنسا » ! وليقارن القارىء الكريم هذا بموقف الداى حسن منها ، وهى لم تخرج بعد من صراعها مع بريطانيا المحتلة إياها سابقا ، والتى ظلت معها فى حرب طويلة حتى بعد إعلان استقلالها ...

ولكن موقفها هذا من كفاحنا خارج عن نطاق هذه الدراسة (318).

(317) Le Monde, 27 septembre 1958.

(318) فليراجع بعض ذلك فى خربشتنا :
« ردود الفعل على اول نوفمبر
او
بعض مآثر فاتح نوفمبر » . مطبعة البعث ، قرتا ، 1984 .

فهرس صور الاشخاص والوثائق

الفهـــــرس

تدارك خطا فى صفحة 67 فى التعليق على الصورة :
جاء اسم الكردينال (فرانشيكو) والصحيح أنه : « **فرانثيسكو** »

طباعة دار الأمة

2007

ص. ب 109 برج الكيفان 120 16 الجزائر

هاتف / فاكس: 04 22 20 021

مولود قاسم نايت بلقاسم

من مواليد 06 جانفي 1927 بقرية بلعيال، بمنطقة آيت عباس، دائرة آقبو، ولاية بجاية، و«قاسم» لقب استعارة في مرحلة النضال والجهاد.

تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم في مسجد القرية، ثم انتقل إلى زاوية سيدي يحيى العيدلي بتمقرة، فحفظ القرآن الكريم ونهل من العلوم الشرعية وعلوم اللغة على يد العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، حفظه الله. واصل مشواره الدراسي في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقرية قلعة بني عباس، ثم بجامع الزيتونة في تونس سنة 1946. والتحق بعدها بجامعة القاهرة سنة 1950 ودرس في قسم الفلسفة ونال شهادة الليسانس بامتياز، وفي سنة 1954 انتقل إلى باريس لتحضير الدكتوراه في الفلسفة حول «الحرية عند المعتزلة»، وقد أعد جزء من الرسالة إلا أن ظروف الكفاح المسلح ونشاطه النضالي سببا له مضايقات البوليس الفرنسي، فاضطر إلى التوجه نحو (براغ - عاصمة التشيك)، ثم انتقل إلى بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك سنة 1957 لإعداد رسالة حول: «مبدأ الحرية عند كانط»، لكن ظروف الكفاح والمسؤوليات الملقاة على عاتقه حالت دون إنهاء رسالته، فتوقف عن الدراسة وتفرغ للعمل السياسي والجهادي.

ورغم كثرة المهام وتراكم الأعمال، فإنه استطاع أن يجيد عدة لغات: فإلى جانب اللغة العربية، الفرنسية، والأنجليزية، الألمانية، والسويدية، كان يتحدث اليونانية واللاتينية والجرمانية والسلافية والرومانية.

تقلّد بعد الاستقلال عدة مسؤوليات: مديرا في وزارة الخارجية، وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم مسؤولا في حزب جبهة التحرير مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية، ومع المسؤوليات الثقيلة فقد ألّف عدة كتب ونشر مقالات، في الفكر والثقافة والتاريخ، ونظم ملتقيات دولية في الفكر الإسلامي وطبع أعمالها من محاضرات ومناقشات، وأنشأ عشرات المعاهد للتعليم الأصلي، ونظم الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع القانون الأساسي للأئمة وعمال السلك الديني، وشرع في إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية، وأسّس مجلة الأصالة ذات الشهرة الواسعة، هذا دون أن ننسى جهاده المتواصل في ميدان تعميم استعمال اللغة الوطنية في الإدارة العمومية والمؤسسات، وأسّس، إلى جانب المجلس الإسلامي الأعلى، المجلس الأعلى للغة العربية، وأكاديمية اللغة العربية.

كان مناضلا مخلصا ومجاهدا شجاعا مرابطا، منذ صباه حتى وافاه أجله يوم الخميس 27 أوت 1992، رحمه الله.



مُولُود قاسم نايت بلقاسم

ISBN 978-996167229-7